بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة الأعمال الفكرية

إلى أستاذنا العلامة
الشيخ محمد الرابع الندوي
رئيس ندوة العلماء لكهنؤ
(الهند) مع عاطر التحية
واحترامي
الرياض في ١٤٣٣/٦/٢٢هـ
٢٠١٢/٥/١٣م

أبو الحسن النَّدْوِي

حياته، وفكره التربوي

د. عبدالمنعم عثمان أحمد الشيخ

فهرسة المكتبة الوطنية – السودان

218.79092 عبدالمنعم عثمان أحمد الشيخ

م ع. أ

أبو الحسن النَّدْوِي: حياته، وفكره التربوي/ عبدالمنعم عثمان أحمد الشيخ. – الخرطوم: هيئة الأعمال الفكرية، 2010م.

218 ص؛ 24 سم.

ردمك: 978-99942-59-43-4

1. الدعوة والدعاة.

2. أبو الحسن الندوي - التراجم.

أ. العنوان.

اسم الكتاب: أبو الحسن النَّدْوِي: حياته، وفكره التربوي

المؤلف: عبد المنعم عثمان أحمد الشيخ

الناشر: هيئة الأعمال الفكرية

سنة النشر: ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٣٣٤م

الرقم الدولي: ردمك: 978-99942-59-43-4

حقوق الطبع: محفوظة

الطابعون: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

عنوان الناشر: الخرطوم – العمارات – شارع ٣٥

تلفون: ٥٧١٤٣٧ - ٠١٨٣ – فاكس: ٥٧١٤٣٨ – ٠١٨٣

ص. ب: ١٢٠٠١ – الرمز البريدي: ١١١١١

الموقع على الإنترنت: www.fikria.org

الإهداء

إلى روح أمي،

وروح أبي..

يرحمهما الله!

المحتويات

الإهداء ٣

المحتويات..... ٥

المقدمة ٧

الفصل الأول: مؤثرات عالمية وإقليمية ومحلية..... ١١

الفصل الثاني: حياة أبي الحسن الندوي ٥٩

الفصل الثالث: آراء أبي الحسن الندوي (عرض ومناقشة وتحليل)..... ١٢٥

الخلاصة (نتائج وتوصيات)..... ٢٠٥

قائمة المصادر والمراجع ٢١٣

المقدمة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧٠- ٧١) سورة الأحزاب.

وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...» الحديث[١].

أما بعد:

فإن هذا الكتاب[٢] الذي بين أيدينا قد نبعت فكرته من واقع عمل المؤلف في أثناء التدريس بمعهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود بالرياض لمدة تجاوزت العقدين من الزمان، وقد أتاح له عمله: تدريس كتابين للشيخ أبي الحسن الندوي، ومن ثم التعرف إلى أفكاره التي بثها في هذين الكتابين، وفي ضوء ذلك عقد العزم على مطالعة كتب المؤلف وآثاره المختلفة، وبعد ذلك ثبت له بأن للندوي فكراً تربوياً يمكن دراسته والخروج منه بنتائج وتوصيات تساهم في إيجاد حلول لمشكلات التربية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، تلك المشكلات التي يمكن رؤيتها من خلال المسلَّمات التالية:

(١) الأمة الإسلامية التي تلقت الإرشاد والتوجيه والتربية من رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين، وعلماء الصحابة والتابعين، استطاعت أن تقود ركب البشرية الحضاري في وقت كان يخيم على أمم كثيرة ظلام الجهل والتخلف والصراعات المهلكة.

(٢) تبدل حالة الأمة التي حملت أمانة الرسالة الخالدة للإنسانية جمعاء، واعتراها ما اعترى غيرها من ضعف وتأخر وجمود؛ لأنها خالفت الطريق

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، ج١، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م)، ص١٧.

(٢) هذا الكتاب جُمع محتواه من رسالة الدكتوراه التي تقدم بها المؤلف بعنوان: الفكر التربوي عند أبي الحسن الندوي، في كلية التربية بجامعة إفريقيا العالمية (السودان) ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م).

المرسوم لها، وطال بها الجمود والتقليد في جميع شؤون حياتها الثقافية والعلمية، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، واستمر الحال هكذا حتى بداية العصور الحديثة، حيث وقعت الأمة فريسة للاحتلال العسكري والغزو الثقافي الأجنبي.

(٣) أثر الغزو الثقافي على عقول الكثيرين من أبناء الأمة الإسلامية الذين تربوا في أحضان الأفكار الغربية الوافدة، متوهمين بأن كل ما جاءتهم من أفكار ومعارف وثقافات تعني التقدم والنماء، وأن ما ورثوه يعني التأخر والرجعية. وقد تمثل مخطط ذلك الغزو في تشويه التراث الإسلامي، والمساس بقدسية القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، واللغة العربية، والتشريع ونظام الحكم، وكذلك بالدعوة إلى التحلل والإباحية، وعدم الاعتراف بالقيم والتقاليد المكتسبة من الدين، هذا فضلاً عن إبعاد علماء الدين عن مراكز التوجيه والإرشاد، وحصرهم في دوائر الأحوال الشخصية، وبعض النشاط المرتبط بخطب الجمع والعيدين وعقود الزواج ونحوها، وقد كانت أهم الوسائل لنشر الثقافة الأجنبية؛ مؤسسات التعليم المتمثلة في المدارس والمعاهد والجامعات، ومؤسسات الخدمات الاجتماعية المتمثلة في المستشفيات والجمعيات الخيرية ووكالات الإغاثة ودور الأيتام والعجزة، وغيرها مما يمكن أن يمر عبره الفكر التنصيري.

(٤) التمكين لجيل من أبناء الأمة الإسلامية ممن فتنتهم الثقافة الغربية أو من تثقفوا بها؛ من تسلم زمام القيادة الفكرية والثقافية والعقائدية في بلادهم، وما إن قويت شوكتهم، حتى سعوا إلى عزل مجتمعاتهم عن ماضيها وميراثها العقلي، والتوجيهي والسلوكي.

(٥) ازدواجية التعليم في بلاد المسلمين: تعليم تقليدي يتمسك بالقديم، وتعليم عصري قائم على فلسفة التعليم الغربي، لا يعترف بميراث الأمة الإسلامية في مؤسسات التربية؛ لذلك برزت طبقتان متصارعتان من المتعلمين: الأولى

معزولة مقهورة، والثانية مدعومة من المستعمرين ومهيمنة على مقاليد الأمور في الدوائر الحكومية آنذاك.

وفي خضم هذا التراجع الذي كانت تمر به الأمة الإسلامية، وفي النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ١٣٣٣هـ الموافق (١٩١٣/١٩١٤م) ولد أبو الحسن علي الحسني الندوي الذي تفتحت عيناه على ذلك الاستعمار البغيض، الجاثم على بلاده وبلاد المسلمين من قِبَل دول غربية عديدة، ونشأ في أسرة محافظة على تعاليم الدين، قابضة عليه، وقد تم تهذيبه وتعليمه في بيئة صالحة تعاون فيها أفراد الأسرة الصالحون، والمعلمون الربانيون الحاذقون، أتقن العلوم الدينية والعربية، واللغات الوطنية والإنجليزية، وتاريخ الحضارات الإنسانية، واطلع على الثقافة والفكر العصري. وقد شب عالمنا ثم اكتهل، وهو يراقب ما يتحقق للمستعمرين الغربيين من تمكن في بلاد المسلمين، ونهب لخيراتها، وسيطرة على عقول الأمة الإسلامية الذين قرروا إدارة شؤون حياتهم بأنفسهم، فأخرجوا الجيوش الأجنبية من أراضيهم وحصلوا على الاستقلال، غير أن آثار المستعمرين ظلت باقية في مؤسسات التربية والثقافة وغيرها، وفقاً للأسلوب الغربي كما أشرنا إلى ذلك آنفاً، وهكذا ظل أبو الحسن الندوي يشاهد ويعيش لحظة بلحظة ما يجري قبل وبعد الاستقلال في وطنه وفي بلاد المسلمين منذ نعومة أظافره، إلى أن نضج فكره بفضل عناصر موضوعية شكلت له فكراً ربانياً صافياً، ولا غرو فقد اهتدى بهدي العلماء المخلصين، والدعاة العاملين الناشرين لما أمر الله به ورسوله على بصيرة ونور من ربه، وقد أثمرت تربيته التي تلقاها من هؤلاء في بروز عالم مصلح، حمل راية التربية والتوجيه إلى آخر يوم من حياته العامرة بالإنتاج الفكري، والعمل الدؤوب، من أجل إصلاح الأفراد والجماعات، ليس في إطار بيئته المحلية فحسب، ولكن على المستوى الإقليمي والعالمي.. لقد هيأ الله للأمة الإسلامية به عقلاً ثاقباً، وقلماً سيالاً، ولساناً ذاكراً عفيفاً، وعلماً لا ساحل له في علوم القرآن والحديث، والسِّير والتاريخ، واللغات والأدب، فأثرى المكتبة

الإسلامية بفكر في غاية العمق والإحاطة والشمول والتوازن؛ ولذا رأى المؤلف أن يتناول جانباً من جوانب فكر هذا العالم، فاختار الجانب التربوي لأسباب تتعلق بعظمة هذا الفكر من ناحية، ولصلته المباشرة بمجال اهتمام المؤلف.

لقد كانت تدور بذهن المؤلف تساؤلات ظلت تشغل باله، ويمكن تلخيص أهمها في الآتي:

(١) هل التربية السائدة في عصر أبي الحسن الندوي لدى المجتمعات الإسلامية معبرة عن الإسلام، ومحققة له، بحيث تخرج لنا مؤسسات التربية مخرجات تربوية مسلمة كما كان في العصر الإسلامي الأول؟

(٢) هل النظم التربوية الحديثة تغاير الروح الإسلامية وتتنافى معها؟

(٣) هل يمكن المواءمة بين الأصيل الثابت من التربية الإسلامية، وبين المعاصر مما جاءت به عقول وتجارب الأمم؟ وعلى أي أساس تكون؟ وما المخرج السليم؟

يرى المؤلف أن الشيخ أبا الحسن الندوي الذي عاش عمراً مديداً (نحو ست وثمانين سنة ميلادية) قد مكنه هذا العمر المبارك من أن يجتمع لديه قدر من العمل والمعرفة، والثقافة والخبرة، ما لم يجتمع إلا لفئة قليلة في عالمنا الإسلامي المعاصر، فهو قد جمع بين القديم الأصيل وبين الحديث من المعرفة، وله ثقافات متعددة، وإنتاج غزير، وتأثير قوي في كتاباته وأحاديثه؛ ولذا فإن المؤلف يرى أن فكر هذه الشخصية الفريدة، يمكن أن يساعد في الإجابة عن أسئلة كثيرة متصلة بالتحديات التي تواجهها التربية الإسلامية اليوم.

الفصل الأول

مؤثرات عالمية وإقليمية ومحلية

أولاً: أضواء على الاتجاهات التربوية منذ القدم ـ التراث الإنساني المهم ـ حتى عصر الندوي (مؤثرات عالمية)

التربية في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، وفي كل زمان ومكان، من سالف العصور إلى الآن، تنبع من فلسفة ذلك المجتمع ومفاهيمه وثقافته وتقاليده، وإن للعقول المفكرة فيه نصيباً كبيراً وأثراً عظيماً. وهذا المفهوم يبدو واضحاً جلياً في حضارات قديمة وحديثة في بلاد الشرق والغرب.

فالتربية الصينية منذ القدم قد جعلت من تعاليم كونفشيوس (Confucius) الأخلاقية ـ في القرن السادس قبل الميلاد ـ هدفاً للمحافظة على ثقافة المجتمع عن طريق نقل الثقافة من جيل إلى آخر؛ بغرض المحافظة على حضارة واستقرار الأمة الصينية. كما سادت فيها البوذية ـ أيضاً ـ وقد تميزت برياضة النفس، وقمع الشهوات، والزهد، ومثل ذلك يصدق على التربية الهندية القديمة حيث اختلف وضع التربية فيها من ولاية إلى أخرى، وقد تعددت المدارس ونظم التعليم، كما تعددت الديانات والمعتقدات التي منها الهندوسية (الديانة ذات الانتشار الواسع)، والبوذية وغيرها. وكان لتلك الديانات والمعتقدات أثر عظيم على التربية؛ لذا فإن إدارة التربية كانت غالباً ما تكون في أيدي الكهنة ورجال الدين، وصار الزهد في الحياة هو الطابع العام للتربية الهندية التي اتسمت مناهج التعليم فيها بالقسوة والعنف استخلاصاً للروح، واستصفاءً لها. وكان للهبات المالية دور في تسيير مؤسسات التعليم الدينية. أما في بلاد الفرس ذات التاريخ العريق في الآداب والفنون، والموسيقى والصناعات وفنون الحرب، فقد تعددت الديانات وتقلب الفرس في ملل ونحل كان لها تأثير كبير على التربية عندهم آنذاك. ومن مذاهبهم: المانوية ذات الاعتقاد بإلهين، والمزدكية ذات التعاليم الإباحية، والصابئة عبدة الكواكب، والمجوس أتباع زرادشت عُبَّاد النار. كما عرفت النصرانية ـ بتربيتها الروحية المميزة ـ طريقها إلى فارس أيضاً. أما في مصر القديمة والتي ارتبطت ـ بحكم موقعها الجغرافي ـ بالشرق وبحضارات البحر

الأبيض المتوسط القديمة في أوربا (الإغريق والرومان)، فقد ذكر المؤرخون نظام تربية نبع من فكر وثقافة، وتقاليد وعقائد تلك الأمة، وتميزت حضارتها الفرعونية بانتشار التعليم الديني، وازدادت المهارات في الفن والعمارة والنحت، والرسم والكتابة والأدب والتحنيط، مما كان له دلالات تربوية خاصة[1].

وفي أوربا تميز الإغريق على غيرهم من الشعوب الشرقية بنظم تربوية خاصة، لعب فلاسفتهم فيها دوراً مهماً، ومن هؤلاء المفكرين سقراط (Socrates ٤٦٩- ٣٩٩ ق. م)، وكانت تربية وثنية اهتمت بالآداب والفنون، وسادت فيها حرية الفكر والابتكار. وقد برزت مدرستان: مدرسة أثينا القائمة على استقلال الفرد والاهتمام بالأسرة، واعتبار التربية من واجب الأسرة لا الدولة. ومدرسة اسبرطة القائمة على الاهتمام بالرياضة والشجاعة والبطولة. وفي أوروبا ـ أيضاً ـ نشأت الحضارة الرومانية التي مرت بمرحلتين؛ إحداهما قبل تأثير التربية اليونانية عليها إذ كان أظهر ما فيها ابتكار الوسائل العملية لتطبيق الآراء النظرية، فالبيت هو المكان الأول للتهذيب، والأبوان هما المنوط بهما هذا الدور، غير أنه بعد الغزو اليوناني، نشأت مدارس من طراز يوناني، هدفها إنقاذ الأدب والخطابة وفنون الكلام، ودخلت المبادئ التهذيبية الإغريقية، وكان هدف التربية الرومانية ـ بصفة عامة ـ تكوين المواطن الصالح. ثم مرت التربية الرومانية بحقب انحدار فقدت فيها الوسائل العملية مع انتشار الحكم المطلق المستبد، ثم غلبت عليها التربية النصرانية في القرون الوسطى[2] (the Middle Ages) في أوروبا، والتي يكاد يجمع عليها أغلب المؤرخين بأنها بدأت بسقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية على أيدي القبائل الجرمانية سنة ٤٧٦م. وفي تلك الحقبة غلب

---

(١) انظر: علي جريشة، نحو نظرية للتربية الإسلامية، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٦هـ (١٩٨٦)، ص١٢. وعزت جرادات وآخرون، مدخل إلى التربية، ط١، المكتبة التربوية المعاصرة، عمان، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م). وعبد الغني عبود، إدارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، (١٩٧٩م)، ص ص ٢٨ – ٢٩. أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ط٦، مكتبة وهبة، مصر ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، ص ص١٨ - ١٩.

(٢) علي جريشة، مرجع سابق، ص١٣- ١٥.

على التربية طابع التطهير الروحي والأخلاقي، ورفع شعار تجاوز الحد المثالي في هذا الاتجاه وهو تطهير الروح بإذلال الجسد، وتمثل ذلك في انتشار أديرة الرهبان، وقد تأثرت التربية فيما بعد بالمنطق اليوناني. ثم تأثرت بمبادئ الإسلام التي تسربت إليها أثناء فترات الحروب الصليبية ومن بلاد الأندلس كذلك، واستمر الحال إلى أن جاءت الفترة الحديثة للتربية، وأطل ما يعرف بعصر النهضة الأوربية (the Renaissance) التي امتدت حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي. وقد شهدت القارة في تلك الفترة حركة فكرية؛ نتيجة لتحسن ظروفها الاقتصادية، وانتشار الصناعات اليدوية، وزيادة التبادل التجاري مع العالم المعروف، واتساع الحريات السياسية، وازدياد الوعي الثقافي. وقد اتجهت التربية آنذاك إلى ما يعرف بالاتجاه الإنساني الذي له صلة بإحياء التراث اليوناني والروماني. وقد تميز ذلك الاتجاه بإبراز المواضيع التي تتعلق بالفرد ومشاعره ولغته وفنه، والاهتمام بدراسة التاريخ واللغات والفلسفة وبخاصة الفلسفة اليونانية واللاتينية. وقد كان إحياء التراث القديم من أهداف التربية في ذلك الوقت. وكان من أبرز التربويين الإنسانيين الهولندي إرازموس (Erasmus) ١٤٦٦-١٥٣٦م. ثم تلت بعد ذلك فترة (مميزة في العصر الحديث في الغرب حملت آثار ونظريات مفكرين عديدين كان لهم دور بارز في توجيه التربية هناك. وقد اتجهت التربية اتجاهاً إنسانياً واقعياً بارزاً هدفت به إلى تحقيق النمو الجسمي والخلقي والاجتماعي للفرد. ومن أشهر التربويين في تلك الفترة الإنجليزي جون لوك) (John Lock). ثم جاء العصر الذي يعرف بعصر الاستنارة، وقد سادت فيه ما سميت بالحركة الطبيعية التي جعلت تحكيم العقل في جميع الأمور هو المعول عليه بما في ذلك الأمور الدينية، مما أدخل تلك الحركة في صراع مع الجماعات الدينية، وجاهرت بأن الدين ليس إلا وهماً وخرافة. وكانت فرنسا مركزاً لها. ومن أبرز المفكرين آنذاك الفرنسي جان جاك روسو (Jean Jacques Rousseau ١٧١٢- ١٧٧٨م، ومن أشهر مؤلفاته إيميل Emile)[1].

---

(١) محمد حسن العمايرة، أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية، ط١، دار الميسرة، عمان، ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م)، ص ص٢٤٢ - ٢٥٠.

لقد شهدت التربية تطوراً واهتماماً ـ في الغرب ـ بحلول القرن التاسع عشر الميلادي، حيث أصبحت بعيدة عن تأملات الفلاسفة واتجهت نحو استخدام الأسلوب العلمي. وقد برز الاهتمام بمادة الدرس، وعلى وجه الخصوص بالمعلومات الطبيعية، والعناية بالطريقة الاستقرائية، ومن أبرز المربين آنذاك فردريك فروبل (F.W.A.Froebel) ١٧٨٢- ١٨٥٢م، ويمثل النزعة النفسية للتربية، والتي أبرزت الاهتمام بالطفل اهتماماً خاصاً، ولكن ليس على حساب المجتمع، وفروبل هو صاحب فكرة روضة الأطفال، ومن مؤلفاته (تربية الإنسان) و(أغاني الأم والمربية). كما برز اسم هربرت اسبنسر (Herbert Spencer) ١٨٢٠-١٩٠٣م[١]، وفي تلك الأثناء اعتمدت التربية على علم النفس الحديث وبصورة خاصة في القرن العشرين الميلادي، حيث كانت النظرة إلى طبيعة الإنسان كوحدة متكاملة لا تنفصل جوانبها العقلية والروحية والجسمية، وقد جعلت من التلميذ محوراً أساسياً تدور حوله العملية التربوية، واهتمت بحياة الطفل الحاضر بدلاً من الاهتمام بإعداده للحياة المستقبلية، فعلى الطفل أن يعيش طفولته، ثم يعيش فترات العمر الأخرى حين يصل إليها، وعلى المعلم ألا يقتصر دوره على التلقين المباشر، وإنما يمتد دوره إلى تنظيم العملية التعليمية حتى يحرر تلميذه من دوره التقليدي كمتلق إلى فرد فعال ونشيط مع مراعاة الفروق الفردية للمتعلمين. كما برزت مفاهيم استمرارية التعليم: محو الأمية، وتعليم الكبار، والتعليم المبرمج. وحثت التربية المؤسسات التعليمية على توفير مناخ تعليمي مطابق للظروف البيئية خارج المدرسة، وكانت النظرة إلى التربية: أنها عملية استثمارية وعائدها الاستثماري أضعاف أي استثمار في أي عامل من عوامل الإنتاج الأخرى[٢].

ومن أبرز رواد الفكر التربوي في القرن العشرين الأمريكي (جون ديوي John Dewey ١٨٥٩- ١٩٥٢م)، وقد اقترن اسمه مع وليم جيمس (William James) وشارلس بيرس (Charles Peres) كرواد للفلسفة البروجماتية (Pragmatism): أي المذهب العملي، وهي فلسفة أمريكية تتخذ من النتائج العملية مقياساً

---

(١) المرجع السابق، ص ص٢٤٢ - ٢٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص ص٢٥١ - ٢٥٢.

لتحديد قيمة الأفكار الفلسفية وصدقها. وقد رفع ديوي راية الفلسفة البروجماتية حتى صارت ملازمة لاسمه. وقد عرفت ـ أيضاً ـ بفلسفة المدنية الصناعية الأمريكية، ويرى البعض أن خير ما كتب هو: (الديمقراطية والتربية)، وقد سار ديوي في الاتجاه الذي سار فيه من قبل (جان جاك روسو) و(بستالوزي) و(فروبل): في الدعوة إلى ضرورة تمتع الطفل بالحرية، وإفساح المجال له للحركة والنشاط والإبداع. وقد تبلورت أفكار ديوي التربوية ـ من الناحية التطبيقية ـ في التأكيد على الخبرة والعمل، والتفكير والعمل الجماعي التعاوني، كل ذلك إلى جانب الاهتمام بنفسية المتعلم وميوله واهتماماته[1].

ومما هو مسلم به: أن التربية الغربية الحديثة المستندة على النظام الرأسمالي الآن، قد جعلت من الحرية والفردية والديمقراطية (المستمدة من التعاليم الإغريقية القديمة) أساساً للتربية في مجتمعاتها؛ فأعطت الحرية ـ مثلاً ـ حيزاً أكبر من الحد المعتدل في أمور الحياة كافة، وصار الفرد لا يقر بحق أحد في توجيهه، أو التدخل في تصرفاته الشخصية ولو كان فيها ما يهدم الأخلاق، وينافي الفطرة الإنسانية، ويدك التقاليد المرعية.

أما التربية في النظام الشيوعي فعلى النقيض من النظام الرأسمالي حيث إنها تقوم على النزعة الجماعية. يذكر الأستاذ محمد قطب الفلسفة الجماعية ـ بحسب اعتقاد منظريها قائلاً: (... النزعة الجماعية هي الأصل. فالطفل يولد ضعيفاً لا حول له ولا قوة.. ولا كيان.. ولولا وجوده في الجماعة ما استطاع أن ينمو أو يعيش.. وهو في حاجة دائمة للجماعة لكي يستمر في وجوده. وإذاً فالنزعة الفردية رجس ينبغي أن يقاوم.. ينبغي أن تسحق هذه الرغبة وأن تزال)[2].

إن التربية الجماعية في النظام الشيوعي مستمدة من أفكار منظّريها (مثالية هيجل، وفلسفة ماركس وإنجلز ولينين). وإنَّ من أهم سمات هذه التربية هدم

---

(١) عزت جرادات وآخرون، مدخل إلى التربية، مرجع سابق، ص ص٢٧ - ٢٨.

(٢) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج١، ط٧، دار الشروق، بيروت/ القاهرة، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)، ص١٦٣.

الدين،وعدم الاعتراف بما وراء المحسوس وهو عالم الروح؛ فالحياة عندهم مادة والمادة أساس الوجود كله. وقد ألغي تدريس الدين في المدارس في روسيا، وحرم القانون تعليم الدين للأطفال، وفرضت رقابة شديدة على الصلات الثقافية بين رجال الدين المسيحي واليهودي وعامة الشعب. وسمى (ماركس) الدين أفيون الشعوب؛ لذا كان من أهداف التربية الشيوعية محو الدين؛ لتربية إنسان روسي جديد لا إنسان رجعي قديم. ومن أهدافها ـ أيضاً ـ إيجاد إنسان موالٍ للنظرية الشيوعية، ورفع مستوى الفرد ثقافياً عن طريق التعليم بعيداً عن تربية البيت، لأن إضعاف الروابط الأسرية وتقليل سيطرة الآباء كان من الأهداف الماركسية الراسخة. وقد وجهت العناية بالفعل لدراسة التراث الإنساني فيما يتعلق بالمعارف العلمية والتطبيقية، والعلوم والرياضيات حتى يتحقق للشعب التفوق ومن ثم هزيمة الأعداء خاصة الرأسماليين، في المجالات الحضارية كافة، وقد استخدمت الشيوعية التربية كسلاح سياسي لا يمكن الاستغناء عنه، وأيدت ذلك بالرأي القائل بأن التربية النظامية في المدارس كانت دائماً وأبداً اليد المساعدة للسياسة؛ لذا فقد رأى قادة هذا الفكر ومنهم (لينين) بأن مجرد التفكير في وجوب إبعاد المدرسة عن السياسة كذب ونفاق. وقد صمم برنامج المدارس التعليمية المتصل بالمواد الدراسية، وطرق التدريس، وتدريب المعلمين بما يحقق الأهداف العليا للنظرية الشيوعية[1].

كانت تلك هي بعض التجارب التربوية الإنسانية في أمم شرقية وغربية عبر الزمن، وفي بيئات مختلفة غير البيئة التي ظهر فيها الإسلام بتعاليمه السماوية القائمة على منهج الله الذي يُعنى بالفرد والمجتمع في آنٍ واحد، وينظم علاقته بربه وخالقه، وعلاقته بنفسه وأسرته، وبالبيئة الطبيعية من حوله، وبالمجتمع البشري على وجه العموم؛ سعياً وراء إيجاد الإنسان الصالح، والمجتمع الصالح،

---

(١) وهيب سمعان، دراسات في التربية المقارنة، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون تاريخ، ص ص٨٧ - ٩٥.

وفق منهج محدد الغايات والوسائل. ومن هنا لا بد من إلقاء الضوء على شبه الجزيرة العربية مهبط الرسالة الخاتمة للناس أجمعين.

لقد عاش في تلك البلاد بعض العرب قبل الإسلام حضراً في القرى والمدن كالحجاز والشام، واليمن والعراق؛ معتمدين على الزراعة والتجارة والصناعات البسيطة، وعاش آخرون بدواً متنقلين في البوادي الصحراوية خلف حيواناتهم، طلباً للعشب والماء، في نظام قبلي دانوا له بالولاء والعصبية، ولقد كانت علاقة القبيلة بالقبائل الأخرى علاقة عداء ـ غالباً ـ بسبب التنازع على الماء والكلأ، والدفاع عن حمى القبيلة والأخذ بالثأر. وقد كان لكل قبيلة شيخاً يختار لشرفه وسنه، وحكمته وحنكته، وماله وزوده عن القبيلة. ويعاون شيخ القبيلة مجلس يُختار أعضاؤه من أفراد القبيلة للقضاء في الأمور التي تهم قبيلتهم من فض للنزاعات، وإصلاح ذات البين أو إعلان للحرب. وقد يتكون مجتمع القبيلة على أساس طبقي كطبقة الأحرار، وطبقة الموالي الذين خلعتهم قبائلهم لجرائم ارتكبوها، أو من الذين كانوا عبيداً ثم حرروا، وطبقة العبيد الذين أسروا في الحرب، أو من تم شراؤهم من الأسواق.

وكان المجتمع العربي متفاوتاً من حيث الغنى والفقر، ومع ذلك كان أثرياء العرب قلة إذا ما قيسوا بفقرائهم. وقد ظهرت في المجتمع العربي الجاهلي فئة عرفت بالصعاليك، اتخذوا من السلب والنهب من بخلاء الأثرياء ـ بالقوة ـ وسيلة لعطاء المحرومين، وقد عرف الصعاليك بالقوة والأنفة، والشجاعة والذكاء. وتميزت الحياة الاقتصادية في المجتمع العربي ـ عموماً ـ بتنظيمات مالية جائرة تمثلت في انتشار الميسر والربا.

عبد العرب الأصنام والأنصاب والأوثان في الجاهلية، كما عبدوا بعض مظاهر الطبيعة مثل النجوم والكواكب والأشجار، وعيون الماء والكهوف وغيرها؛ لتقربهم إلى الله زلفى. وكان أكثرهم على الوثنية خاصة في وسط الجزيرة العربية. كما كان بعضهم على اليهودية كالذين عاشوا حضراً خاصة

في يثرب، واشتغلوا بالزراعة والتجارة والصناعة البسيطة. أما النصرانية فقد كانت أقل انتشاراً، وأقل نفوذاً في الحجاز، وكان انتشارها في الشمال، وقد اشتغل أكثر النصارى بالزراعة والتجارة.

إن التربية العربية قبل ظهور الإسلام، كانت تهدف إلى تربية الأفراد من خلال مساعدتهم على اكتساب النماذج السلوكية، والعادات، والقيم الاجتماعية السائدة كالكرم والشجاعة، والعفة ونجدة الضعيف، والتفاخر بالأنساب والأخذ بالثأر، كما اكتسبوا المعلومات التي كان العرب يعتبرونها أموراً أساسية وضرورية لحياتهم اليومية في مجتمعهم البدوي: كعلم النجوم والأنواء والريافة (معرفة المياه)، وعلم القيافة (تتبع الأثر الإنساني والحيواني) والشعر والخطابة، والفروسية والفراسة، وعلم الأخبار والأنساب. أما المجتمع الحضري فكانت التربية فيه تهدف إلى اكتساب الفرد حرفة من الحرف، أو مهارة من المهارات، أو علم من العلوم مثل: الصناعة أو الزراعة أو التجارة، أو علم الفلك أو الرياضة. وقد كانت طريقة التعلم بواسطة التلمذة[1].

وبعد بزوغ فجر الدعوة الإسلامية، تم تكوين الجماعة الأولى التي رباها النبي ﷺ على منهج ارتضاه الخالق (جل وعلا) لعباده، واختار لها خاتم الأنبياء والمرسلين للهدى والبشارة والإنذار ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨) سورة الفتح، فأخذ بيدها؛ ليخرجها من ظلمات الجاهلية إلى نور الحق الساطع المبين؛ دين الإسلام الذي اختاره ـ سبحانه ـ لعباده، قال تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ...﴾ (٣) سورة المائدة.

إن عناصر التربية النبوية في الجماعة الأولى اعتمدت على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعلى سنة نبيه القولية والفعلية

---

(١) مستخلص من: محمد حسن العمايرة، أصول التربية...، مرجع سابق، ص ص١٦٨ – ١٧٦. وعزت جرادات وآخرون، مدخل إلى التربية، مرجع سابق، ص ص١٠٠ – ١٥٣.

والتقريرية، مضافاً إليها شخصية الرسول الكريم الذي منحها كل جهده في الرعاية، والتوجيه والإرشاد الذي كلف به طوال حياته منذ سني الدعوة في مكة المكرمة إلى ما بعد الهجرة والاستقرار في المدينة المنورة. يقول الأستاذ محمد قطب عن تلك الجماعة: (... ولقد كانت خير أمة في تاريخ البشرية كله.. حوت من ألوان العظمة في كل اتجاه ما لم يجتمع لأمة أخرى في التاريخ بهذه الوفرة، وذلك التعدد، وتلك الآفاق: عظمات حربية، وعظمات سياسية وإدارية، وعظمات نفسية، وعظمات روحية.. عظمات من كل نوع، وفي فترة وجيزة من عمر الزمن كأنها لحظات! وتلك الأمة هي التي وضعت أسس التاريخ الإسلامي المقبل كله، ورسخت قواعده في الأرض، بما قدمت من مبادئ وقيم ومثل عليا مطبقة في عالم الواقع بصورة فريدة في التاريخ، بصورة يلتقي فيها المثال والواقع. فلا تكاد تعرف من روعة العظمة المذهلة أيهما الواقع وأيهما المثال)[1].

ولقد عنيت التربية الإسلامية الأولى بالإنسان الذي خلقه الله من قبضة من تراب ثم نفخ فيه من روحه ـ عنيت بروحه وجسمه وعقله في شمول وتوازن- لقد ظهر مفهوم جديد للتربية لم تعرفه البشرية من قبل، إنه مفهوم التربية الإنسانية الشاملة، تربية منهاجها القرآن الكريم، والسنة المطهرة، تربية تقوم على احترام الإنسان لأنه مكرم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (٧٠) سورة الإسراء. تربية تهدف إلى تحريره من عبودية العباد إلى عبودية خالق العباد؛ ليقوم بواجب الخلافة في الأرض، والاستعداد لتحمل الأمانة، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ (٣٠) سورة البقرة، وقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ (٧٢) سورة الأحزاب. تربية تقوم

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية (في التطبيق)، ج٢، مطابع الشروق، بيروت القاهرة، بدون تاريخ، ص١٥.

على احترام عقله الذي فضل به على سائر الخلائق، هذا العقل المقترن بالعمل، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) سورة البقرة، وقال جل وعلا: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ۞ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٣- ٥) سورة العلق، وقال: ﴿الرَّحْمَنُ۞ عَلَّمَ الْقُرْآنَ۞ خَلَقَ الإِنسَانَ۞ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (١- ٤) سورة الرحمن، وقال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨) سورة فاطر، وقال تعالى: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (٩) سورة الزمر، وهذا العلم طابعه في أصله دينياً ودنيوياً؛ لإعداده للعمل الصالح من أجل السعادة في العاجلة والآجلة، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) سورة القصص، وتلك هي التربية التي ربى الله بها رسوله، ومن ثم ربى النبي بها أصحابه ومن جاء بعدهم من التابعين: فتحقق الهدف بإعداد الإنسان الصالح المؤمن. يقول الأستاذ محمد قطب: (هذا واقع الحياة الإسلامية الأولى، هو الشاهد على تلك الظاهرة البشرية الفذة، فقد نشطت في كل اتجاه: في العلم والعمل، والفتح والتنظيم والتشييد. فكان علماؤها هم العلماء، وقادتها هم القادة، ونظامها هو النظام، وحضاراتها هي الحضارة. ولم نشعر أن نشاطها المادي يمنعها من عبادة الله والاستمداد من هديه، ولا عبادة الله تمنعها من الضرب في مناكب الأرض وعمارتها، ولا أن هذا وذلك يمنعانها من التفكير)[1].

تلك كانت فترة تأسيس وبناء التربية الإسلامية، بدأت منذ حياة النبي ومن بعده الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم. ويرى بعض مؤرخي التربية أن خير القرون في التربية امتدت إلى القرن الثالث الهجري، أي هي الفترة الممتدة منذ ظهور

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج١، مرجع سابق، ص٢٧.

الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، حيث كانت التربية فيها بالقدوة: النبي يربيه ربه بالوحي، والنبي يربي المؤمنين بالقدوة والأسوة الحسنة، ثم جاء الذين من بعده يربون الأمة على طريقته؛ تربية من سماتها أنها إسلامية خالصة، في بيئة عربية، وأنها استهدفت قواعد الدين الجديد، واعتمدت على العلوم النقلية واللسانية، واهتمت بالكلمة المكتوبة كوسيلة مهمة للاتصال، وأتاحت الفرصة لتعلم اللغات الأجنبية للمتعلمين، وكانت مراكز التعليم متمثلة في المساجد والمكتبات والكتاب[1].

وبعد الفترة الأولى جاءت مرحلة أخرى من مراحل تطور التربية الإسلامية يؤرخ لها من القرن الرابع إلى حوالي القرن الثامن الهجري، أو منذ نشأة الدولة العباسية إلى سقوط بغداد تقريباً، وكانت فترة ازدهار وإبداع. وقد برزت فيها مدارس تربوية متعددة منها[2] :

(١) مدرسة المحدثين، والتي تميزت بالوقوف عند التراث.

(٢) مدرسة الفقهاء، وعرفت بالتعمق في الأدلة والتفريع عليها، والنظر فيما تركته الأمة.

(٣) مدرسة التصوف في القرن الثالث الهجري، ولم تكن على النحو الذي يراه الناس ـ الآن ـ انحرافاً عن السنة أو اتباعاً للبدع، وبدأت تصوغ أصولها في تهذيب النفس وتزكيتها، واستمرت تضع المنهج لتربية المريد نظرياً وعملياً.

(٤) مدرسة الفلسفة، التي اهتمت بالمنهج العقلي، والمنطق الجدلي، واستخدام ذلك كله في قضايا الإيمان، وفي منهج التربية الإسلامية وقد اتجه بعض الفلاسفة إلى أن تقوم التربية على أسس ثلاثة:

أ) أساس نفسي تربوي، قائم على التحليل.

ب) أساس اجتماعي، يبلور الخير والسعادة.

---

(١) علي حريشة، نحو نظرية للتربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٣، ٢٤.

(٢) محمد حسن العمايرة، أصول التربية...، مرجع سابق، ص١٨١.

ج) أساس فلسفي، يحدد ما هو فاضل وما هو رذيل، ومن أصحاب هذه المدرسة أحمد بن مسكويه ٣٢٠- ٤٢١هـ.

(٥) مدرسة علماء الكلام، والتي اتسمت بالتوسع في المناظرة، والأخذ عن التحدث اعتماداً على الذاكرة ـ بمقولة أن المحدث لا يسلم من الخطأ، وانتهاج أساليب التعليم بالإملاء، والإجازة، والأسئلة والقراءة.

ومن أبرز المربين ـ في تلك الفترة - إلى جانب أئمة المذاهب والأدباء (شعراء الزهد مثلاً)، ويبرز اسم: القابسي ٣٢٤- ٤٠٣هـ، والزرنوجي المتوفى سنة ٥٩١هـ والغزالي ٤٥٠- ٥٠٥هـ.

أعقبت مرحلة الازدهار، مرحلة ثالثة من مراحل حركة التربية الإسلامية اتسمت بالركود والتقليد وعدم الابتكار، وقد امتدت هذه الفترة حتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري حيث انعزل فيها المفكرون عن واقع العصر، ولم يعودوا يؤثرون أو يتأثرون، وندرت القيادات المستنيرة، وكثرت الخرافات الصوفية، وظهرت آثار الانقسام المذهبي، وتجمد الفكر، والمؤسسات التعليمية، واقتصرت المعارف على العلوم النقلية، وظهر التميز الثقافي للأقليات الدينية غير الإسلامية، وتسللت المؤثرات التربوية الوافدة، ومع ذلك ظهر مجددون للفكر التربوي الإسلامي منهم[1]: ابن جماعة الكناني ٦٣٩- ٧٣٣هـ، وابن تيمية ٦٦١- ٧٢٨هـ، وابن القيم ٦١٩- ٧٥١هـ، وابن خلدون ٧٣٢- ٨٠٨هـ، وغير هؤلاء ممن كان لهم دور في البعث والتجديد.

ومن الأحداث المهمة التي شهدتها بلاد المسلمين في تلك الأثناء، غزو شرقي تتاري على الدولة العباسية، أدى إلى سقوط عاصمتها بغداد على يد الغزاة، ثم ثماني غزوات صليبية غربية متوالية، استمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر

---

(١) مستخلص من: علي حريشة، نحو نظرية للتربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ص٢٣، ٣٧. ومحمد حسن العمايرة، أصول التربية، مرجع سابق، ص١٨٢.

الميلادي، وقعت فيها حروب شرسة ودامية، أمعن الغزاة فيها على المعتدى عليهم قتلاً وتمثيلاً، ونهباً وإحراقاً، وقد جاءت بغرض استعماري ولكن الله قيض للأمة ـ رغم ما أصابها من فوضى وتفكك ـ رجالاً مؤمنين أبلوا بلاءً حسناً في مدافعة الأعداء، فكان النصر حليفهم في خاتمة المطاف، حيث انهزم الصليبيون المستعمرون، وعادوا من حيث أتوا، موقنين بأن سياسة الحديد والنار لن تجدي نفعاً مع المسلمين في احتلالهم وتغيير فكرهم وتشكيكهم في عقيدتهم؛ ولذا كان القرار الغربي هو اتخاذ أسلوب جديد في الهيمنة على فكر الأمة وثقافتها متى ما سنحت الفرصة لذلك.

لقد كانت أنظار الغربيين ترنو إلى الشرق الإسلامي طوال عهد النهضة الأوروبية، حيث تحسنت ظروف القارة في المجالات كافة بعد التحرر والخلاص من سلطة الكنيسة، واسترد الإنسان الأوربي حرية الحركة التجارية والمالية، وحرية التفكير والتوجيه السياسي. ونتيجة لانتشار الصناعات اليدوية، فقد ازداد التفكير في استجلاب خيرات بلاد المسلمين من أجل التصنيع، وقد سنحت الفرصة في القرن التاسع عشر الميلادي حيث تعرضت الأمة الإسلامية ـ التي كانت تعاني من ضعف ووهن بسبب النكسات والضربات المتلاحقة عليها ـ لهجمة استعمارية أخرى. وقد تم احتلال الأرض فضلاً على ما هو أغلى من ذلك؛ ألا وهو الإغارة على حضارة الإسلام وثقافة الأمة سعياً لهدم العقائد والفكر الإسلامي، ومن ثم نشر حضارة وثقافة المستعمرين عوضاً عنها.

ومما هو مسجل في صفحات التاريخ أن المجتمع الإسلامي وقع فريسة في أيدي المستعمرين، فقد احتلت بريطانيا الهند في عام (١٨٥٩م)، ومناطق الخليج، وجنوب شبه الجزيرة العربية في عام (١٨٤٩م)، ثم مصر في عام (١٨٨٢م)، والسودان في عام (١٨٩٨م). واحتلت فرنسا الجزائر في عام (١٨٣٠)، وتونس في عام (١٨٨١م)، والمغرب في عام (١٩١٢م). واحتلت إيطاليا طرابلس الغرب في عام (١٩١١م). واحتلت هولندا جزر الأرخبيل الإندونيسية تباعاً عام (١٩٠٣م).

واستولت روسيا على القرم في عام (١٨٧٣م)، وسيطرت مباشرة على المجتمعات الإسلامية في وسط آسيا (أذربيجان، وكازاخستان، وأوزبكستان..) سيطرة كاملة في القرن التاسع عشر الميلادي، ولم ينج من الاحتلال سوى مناطق قليلة في العالم الإسلامي منها: وسط تركيا، وبعض مناطق اليمن والحجاز وإيران[1].

وفي أثناء ذلك الغزو الغربي على بلاد المسلمين، ولد أبو الحسن الندوي في الهند؛ ليحيا عمراً عامراً بالعلم والعمل، والتوجيه والإصلاح إلى آخر يوم من حياته في نهاية القرن العشرين (١٩٩٩م).

ثانياً: ملامح شبه القارة الهندية إلى ميلاد الندوي (مؤثرات إقليمية ومحلية)

إذا أردنا أن نفهم عقلية الشيخ أبي الحسن الندوي فلا بد من إلقاء الأضواء على العصر الذي عاش فيه، والإقليم الذي ينتمي إليه؛ لأن الإنسان متصل بالبيئة يتأثر بها ويؤثر فيها، ومن هنا سنتناول الجوانب التالية:

(١) الجانب الديني:

أ) الهندوسية: وسيتم تناولها باختصار من حيث التعريف بها، وبمكانتها بين الديانات في الهند، ومن حيث عقيدتها وطبقاتها، وكونها يدين بها السواد الأعظم من الشعب الهندي.

ب) الإسلام: وسيتم تناوله بشيء من التفصيل؛ منذ دخوله في شبه القارة الهندية إلى زوال سلطانه في الهند؛ بانهيار الحكم المغولي على يد الاستعمار البريطاني، ولكونه دين الأقلية الكبيرة في الهند.

ج) طائفة السيخ كعقيدة أقلية وطنية.

د) البوذية كعقيدة أقلية وطنية.

ه) المسيحية كديانة مرتبطة بالاستعمار في القرن التاسع عشر الميلادي.

---

(١) بتصرف من: أحمد عبد الرحيم السائح، في الغزو الفكري، ط١، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، رجب ١٤١٤هـ، ص ص٥٣ - ٥٤.

(أ) الهندوسية أو الهندوكية:

ويطلق عليها اسم البرهمية والبراهمية نسبة إلى (برهما) أو (براهما)، وهي في اللغة السنسكريتية بمعنى إله. والهند مقر هذه الديانة التي تمثل دين الجمهرة العظمى من سكان البلاد (٨٠٪ من السكان البالغ عددهم أكثر من مليار نسمة)، والهندوسية مجموعة من التقاليد والعادات والعقائد، ولا يعرف على وجه التحديد متى ظهرت ومن هو مؤسسها؟ وأتباعها يعبدون الجمادات كالأحجار والأشجار، والحيوانات كالأبقار. وقد حظيت البقرة في الديانة الهندوسية بأسمى مكانة من قديم الزمان إلى الآن، يقول عنها غاندي معظماً من شأنها: (عندما أرى بقرة لا أعدني أرى حيواناً؛ لأني أعبد البقرة، وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع.. وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه: فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين، وتتطلب منا خدمات طوال العمر نظير هذا، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائماً ولا تتطلب منا شيئاً مقابل ذلك سوى الطعام العادي. وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلف نفقات باهظة، ولكن أمنا البقرة تمرض فلا نخسر لها شيئاً ذا بال. وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة، وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهي حية؛ لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها حتى العظم والجلد والقرون)[1]. والهندوسية تقسم الشعب إلى طبقات متباينة على شكل هرم فتصنف البراهمة (الكهنة ورجال الدين) في أعلاه، ويليهم المحاربون، فالزراع، فالخدم، والمنبوذون الذين ترفضهم كل طبقة، وتحتقرهم كل جماعة فلا يلتقون بهم، كما أن الطبقات الأخرى ينفصل بعضها عن بعض)[2].

---

(١) إسماعيل أحمد ياغي وآخر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، طبعة دار المريخ، ج١، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، ص٢٦١. وعبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة، بدون تاريخ، ص٥٨.

(٢) إسماعيل أحمد ياغي وآخر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص٢٦١.

(ب) الإسلام:

وهو الدين الثاني في الهند، وتذكر كتب التاريخ بأن هذا الدين دخل إلى شبه القارة الهندية عن طريق الشواطئ الشمالية الغربية عن طريق (الديبل) كراتشي اليوم، وعن طريق بمباي، وذلك منذ فجر الدعوة الإسلامية، وفي خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وصل إلى بلاد السند، ونال شيئاً من النجاح هناك، وكان ذلك في سنة ٤٤هـ. وفي خلافة عبد الملك بن مروان وصل سعيد بن أسلم بن زرعة والياً على السند، ولكنه قتل. وقد أوى الملك السندي (داهر) القتلة؛ فنشبت نتيجة لذلك احتكاكات وعداوة بين المسلمين وملك السند، وبعد ذلك أرسل الحجاج بن يوسف (بعد أن تولى أمر المشرق) مجاعة التميمي عاملاً على ثغر السند، واستطاع فتح بعض المناطق، غير أن الأجل وافاه هناك. وقد استمرت المناوشات الحربية بين ملك السند والمسلمين بسبب اختطاف نساء مسلمات، وجرت مفاوضات لتسليم أولئك النسوة عبر رسائل من قبل الحجاج لم تجد الاستجابة من ملك السند؛ لذا أرسل الحجاج حملتين لم يكتب لهما النجاح في تأديب المعتدين. ثم زحف جيش المسلمين بقيادة محمد بن القاسم الثقفي عام ٩٣هـ (٧١١م) إلى هناك، وكان قوامه ستة آلاف مجاهد، وحاصر المدن المهمة في الإقليم براً وبحراً، واستطاع فتح الإقليم والاستيلاء على عاصمته، وقتل الملك (داهر) عام ٩٦هـ. واستمر حكم بني أمية في الإقليم إلى عهد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)، حيث انتشر الدين، ودخل فيه أبناء الملك (داهر)؛ فآل أمر السند إليهم مرة أخرى.

وفي العصر العباسي انتشر الشيعة في إقليم السند وبخاصة في أيام المنصور، وكان عمرو بن حفص والياً على الإقليم الذي شهد بعض الاضطرابات، وفي نهاية المطاف نشأت دولة إسماعيلية دامت عدة سنين، وقد حكمها أبو الفتح القرمطي، وكان سقوطها على يد محمود الغزنوي الذي مد فتوحاته من أفغانستان من جهة الشمال براً إلى السواحل الغربية من الهند ثم إلى وسطها، وبعد وفاته خلفه ابنه مسعود الذي فتح مدينة (بنارس).

واستمر حكم الغزنويين الأفغان حتى عام ٥٥٥هـ، ثم ساد اختلاف واضطراب في بلاد الهند إلى أن سيطر الغوريون الذين مدوا فتوحاتهم إلى إقليم البنغال، ومن أبرز حكامهم السلطان محمد الغوري، وقد خلفه في الحكم مملوكه قطب الدين أيبك، ونشأ ما يعرف بحكم الخلجيين الذين استقلوا بحكم البنغال، ولغلبة البرهمية (الهندوسية) وأهميتها كدين هناك، أراد أحد الحكام ويدعى علاء الدين أن يوفق بين الأديان الموجودة في الإقليم، وعمل خليفته من بعده على إحياء البرهمية؛ فوقف المسلمون في وجهه. ثم سيطر آل (تغلق) على حكم الإقليم وبسطوا سيطرتهم عليه، ونشروا الإسلام بشمال الهند في السهول الممتدة بين الغرب والشرق إلى دلهي. وقد زار الرحالة المغربي المسلم ابن بطوطة الهند في عهدهم.

ويذكر المؤرخون لتاريخ الهند أن الفترة ما بين عامي ٨٠٢هـ و٩٣٢هـ، أي على مدى مائة وثلاثين سنة تقريباً، تبادل حكم الهند السلاطين المغول المسلمون ثم اللودهيون الذين من حكامهم البارزين إسكندر شاه الذي عمل على نشر الدين، ثم عاد المغول تارة أخرى وقتلوا آخر ملوك اللودهيين عام ٩٣٢هـ واستقر الأمر لهم، وكان منهم الملوك الصالحون، وكان منهم غير ذلك، ومن أبرز سلاطينهم في تلك الفترة السلطان أكبر الذي جعل من (أغرا Agra) عاصمة له، وأراد أن يوفق بين البرهمية والإسلام، إلا أن العلماء وقفوا في وجهه ووجه ابنه الذي خلفه وأراد أن يسير على نهج والده، إلى أن جاء حفيده أورنك زيب عام ١٠٦٨هـ فألغى جميع منكرات أبيه وجده، وذلك بسبب ما قيضه الله له من تصدي عالمٍ زاهدٍ أراد للحكام سعادة الدنيا والآخرة وذلك بحماية الإسلام وتطبيق أحكامه، وحماية البلاد ـ التي فتحها المجاهدون المسلمون لبسط سيرة الإسلام فأراقوا في ذلك دماءهم الزكية دفعاً لخطر السيطرة البرهمية، والفلسفة الهندوسية، والحضارة الجاهلية ـ وهكذا أصبح كل وارث للحكم المغولي أحسن من سابقه

بفضل راية النصيحة المباركة التي كان رائدها إمام الطريقة المجددية الشيخ أحمد بن عبد الأحد السر هندي[1] .

دانت أكثر بلاد الهند للمغول، الأمر الذي أدى إلى انتشار الإسلام في كل رقعة فيها بنسب متفاوتة في الكثرة والقلة، بحسب ظروف كل منطقة وعاداتها. وفي الوقت الذي كان يتقدم فيه المغول في شبه القارة الهندية، كان القراصنة الأوربيون ينزلون على السواحل الهندية، ويقومون بهجمات صليبية على المسلمين.

بعد طرد المسلمين من الأندلس بواسطة النصارى الأسبان والبرتغاليين بدعم كامل من أوربا المسيحية، اتجه البرتغاليون جنوباً عبر الأطلسي فعرفوا رأس الرجاء الصالح والتفوا حول إفريقيا عام ٩٠٣هـ، وبعد عام وصلوا إلى الهند ثم بسطوا نفوذهم على ساحل الهند الغربي، واستولوا على (غُوا) التي صارت عاصمة للهند البرتغالية منذ ٩٣٠هـ، وظلت طلائع الصليبيين على السواحل، ولم تشأ التوغل إلى داخل الهند خوفاً من المسلمين؛ وليتم لها التمكن من السيطرة على التجارة، وعمليات النقل للأسلاب، وما يرد من أعمال النهب التي تتم؛ ولتتمكن من الفرار بسرعة إن دعت الحاجة. وبعد ما كانت دول أوربا تدعم الأسبان والبرتغاليين في قتال المسلمين وملاحقتهم للقضاء عليهم لأسباب صليبية أو عدائية محضة، سرعان ما بدأت تلك الدول الأوروبية تحسدهم لما ظفروا به من ثروات وغنى. وقد استطاع الهولنديون القضاء على نفوذ البرتغاليين على ساحل (مليبار) في الهند.

ثم ظهرت إنجلترا على مسرح الأحداث في هذه المنطقة عام ١٠٣٢هـ، فاستولت على مضيق هرمز في الخليج العربي، وكان من أهم مراكز البرتغاليين من قبل. وفي عام ١٠٤٩هـ استولت على (مدراس) في جنوب شرقي الهند، وقد حدث تبادل

---

(١) أبو الحسن الندوي، ربانية لا رهبانية، طبعة دار الشروق، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)، بيروت والقاهرة، ص ص١٠٧- ١٠٨.

للمنافع بين هولندا وإنجلترا في تلك الحقبة، حيث تنازلت هولندا عن (مالاقا) والهند لإنجلترا، في مقابل تنازلها لهولندا عن سومطرة وجاوة.

استطاعت إنجلترا أن تقضي على السلطان المسلم (تيبو) الذي استشهد في عام ١٢١٤هـ (١٧٩٩م)، وأن تسيطر على سواحل (مليبار)، وهكذا تمكنت من مد نفوذها إلى معظم أنحاء الهند، ولو أن الحكم الاسمي بقي في يد المسلمين، ولم يبق للدول الأوربية الأخرى سوى أجزاء قليلة من شبه القارة الهندية. وكانت شركة الهند الشرقية الإنجليزية (East India Company) هي صاحبة الكلمة الأولى في كل بلاد الهند، وقد كانت في بادئ الأمر ذات طبيعة تجارية، وسرعان ما قوي نفوذها فسلبت الحكم من الإمارات الإسلامية، غير أن حكم البلاد انتقل منها رسمياً إلى التاج البريطاني في عام ١٢٧٠هـ (١٨٥٩م)؛ فقامت ثورة في البلاد ضد الإنجليز وخاصة في دلهي ولكهنؤ، إلا أن الثورة فشلت وتم نفي السلطان سراج الدين بهادور شاه ظفر إلى (رانجون) عاصمة بورما حيث توفي هناك، كما قتل أبناؤه، واضطهد الإنجليز المسلمين، وصادروا أملاكهم، وهدموا مساجدهم؛ وذلك لأن الثورة في صفوف الجيش كان يتزعمها الضباط المسلمون، وفي مقابل التنكيل بالمسلمين عقب فشل الثورة رحب الهندوس بالاستعمار، فتسلموا الوظائف، وانتهزوا هم الآخرون الفرصة وقتلوا المسلمين، وادعوا أنهم قد آن لهم الأوان للأخذ بالثأر والانتقام من المسلمين، وحصلوا على الثروة وآلت لهم الأراضي حتى لم يبق للمسلمين غير ٥٪ مما كانوا يملكون من قبل، وظهرت خطة التفرقة بين المسلمين والهندوس، وقد صرح اللورد (النبرو) بذلك حيث قال: (ليس في وسعي أن أغمض عيني عن أن هذا العنصر الإسلامي العدو الأصيل لنا، وأن سياستنا الحقة تتجه إلى تقريب الهنود)[1].

وهكذا نجد أن المسلمين ابتلوا بالاستعمار البريطاني مثلما ابتلوا بأكثرية من الهندوس والسيخ الذين تعاونوا مع المستعمرين نكاية في المسلمين، ومع كون

---

(١) انظر: إسماعيل أحمد ياغي وآخر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصرون، مرجع سابق، ص ص٢٦٠ - ٢٦٧.

الهندوس أكثرية غالبة إلا أنهم كانوا يخافون بأس المسلمين؛ لقوتهم التي تنبع من إيمانهم، وللتعاطف الذي كان بين المسلمين في داخل الهند آنذاك، ولإمكانية وقوف الشعوب الإسلامية خارج الهند معهم، وقد كانت أصوات المسلمين يسمع صداها في بلاد الهند من أي مكان تصدر منه (ما يحدث في بقاع العالم الإسلامي خارج الهند يجد صدىً واسعاً في شبه القارة الهندية، فقد انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البنغال صدىً لما وجدت في شبه الجزيرة العربية، وقام أحمد بن عرفان البارِيلي يدعو الناس إلى حمل السلاح ضد عدوان السيخ في منطقة البنجاب، وضد الاستعمار البريطاني في بلاده، وكان متأثراً بأفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما وفد إلى الحج في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، ولما عاد إلى بلاده أصبح من أكبر دعاة هذا الفكر. وقد استطاع إنشاء دولة في منطقة البنجاب، وامتد سلطانه حتى هدد شمال الهند حيث تسكن طائفة السيخ. وقد أثار متاعب كثيرة للحكومة الإنجليزية التي قاومت أتباعه حتى أخضعتهم)[1].

كان أحمد بن عرفان من الأسرة الحسنية التي ينتمي إليها أبو الحسن الندوي، وكان من الرافعين لراية الجهاد ضد الإنجليز هو وأنصاره، وكان ذا حمية شديدة للدين، وكان ينادي بإعادة الحياة الإسلامية على طبيعتها الأولى كما كانت في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وقد مات مجاهداً المستعمرين والسيخ في ١٢٤٦/١١/٢٤هـ (١٨٣١/٥/٦م) مع ثلاثمائة من أنصاره، وقد ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي أحمد بن عرفان كواحد من المجددين للدين، وكان شديد الإعجاب به، وكان يذكر فضله عليه بعد الله تعالى في تكوين شخصيته التي آثرت حب الدفاع عن الدين والحمية له.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ص ٢٦٠ - ٢٦٧.

بعد تناول الهندوسية كعقيدة راسخة لدى أتباعها الذين يملكون الكثرة الغالبة في الهند، ثم الإسلام ودخوله إلى شبه القارة الهندية، وبسط سلطانه ونفوذه عليها إلى زوال حكمه بالاحتلال البريطاني ثم استقلال البلاد، يمكن ملاحظة ما يلي:

(١) الهندوس والمسلمون عاشوا جنباً إلى جنب في رقعة واحدة من الأرض زمناً طويلاً ساده الوئام بين الجانبين أحياناً، والاحتكاك والتناحر أحياناً أخرى، وقد شهد أبو الحسن الندوي جانباً من ذلك الوئام والصراع الذي كان يحدث بين الطرفين، وكان يدلي بدلوه لفض النزاع بحكم وضعه الديني المرموق في بلاده.

(٢) احتفاظ كل من الهندوس والمسلمين بتقاليدهم، وطرق تفكيرهم وعقائدهم النابعة من عقيدتين مختلفتين إحداهما ذات طبيعة وثنية شركية (الهندوسية)، والأخرى عقيدة توحيد (الإسلام)؛ مما برر الصراع والتنافر الذي يحدث بينهما، أما أخلاق البساطة والزهد والولاء للوطن المشترك مما هو معروف لدى الطرفين، فكان بمثابة صمام الأمان للوئام والتعايش بينهما.

(٣) الحكم الإسلامي في الهند اتصف بكثير من التسامح والإنصاف، وهذا مما يأمر به الدين الذي خرج من شبه جزيرة العرب إلى أنحاء الدنيا لنشر التوحيد، وبسط العدل والتسامح بين أهل البلاد المفتوحة الذين كانت لهم معتقداتهم القديمة والراسخة، وقد تحقق قدر من هذا الهدف في الهند كما شهد التاريخ والواقع المعاش بذلك.

(ج) طائفة السيخ:

مؤسس مذهب السيخ يدعى جورونانك (١٤١٩- ١٥٣٩م) وهو من بلدة قريبة من لاهور، لم يتلق من التعليم سوى القليل، وقد قضى شبابه في التفكير والتأمل في الكون، وكان عازفاً عن متاع الدنيا. وتقول الروايات بأنه كان

يتجول في ذات يوم في إحدى الغابات فرأى رؤيا جميلة تأمره بأن يدعو الناس إلى إله واحد خالق خالد. وعقب ذلك قام برحلات في مختلف أرجاء شبه القارة الهندية، وكان يتردد على الأماكن المقدسة لدى الهندوس، وعلى أضرحة الصالحين من المسلمين، وقيل بأنه زار فارس ومكة وبغداد، ثم رجع ليقضي العشر سنوات الأخيرة من عمره في بلده (كرتايور) حيث ظل يعلم مبادئ مذهبه، وقد تجمع حوله أتباع كثيرون، ثم توفي تاركاً مقاليد مذهبه في يد خلفائه الذين حلت فيهم روح (جورو) بحسب اعتقاد السيخ في من يؤول إليه أمر الطائفة. وقد عمل الخلفاء على نشر الدعوة السيخية والتي كانت تنطوي على مبادئ العدل والمساواة؛ وذلك بتأثير تعاليم الدين الإسلامي التي انتشرت في كثير من أنحاء شبه القارة الهندية. كما ألغيت جميع الفوارق الطبقية التي تفضل بين الأتباع خلافاً للهندوسية، وسرت روح الأخوة بين الجميع. وقد تراوحت العلاقة بين السيخ والمسلمين بين التفاهم والاختلاف، وكان هناك اتصال للسيخ بالمسلمين إبان حكم السلطان المغولي (أكبر) الذي أراد ن يوفق بين ديانة الهندوس والإسلام، وقد تصدى العلماء المسلمون له. وتذكر وقائع التاريخ أيضاً أن خلافاً وقع بين زعيم السيخ (تكيها دور) الذي اتسع نفوذه وبين السلطان المغولي المسلم (أورنك زيب) الذي عرف بتصديه للمنكرات والدفاع عن حوزة الدين، واستمر النزاع إلى أن قتل الزعيم السيخي؛ ففر أتباعه بقيادة ابنه (جرفدراي) إلى الغابات والجبال، ثم طوروا مذهبهم بعد دراسات لآثار الهندوس والمسلمين، واستقر رأيهم على الانتقام من سلاطين المسلمين، ولم يتمكنوا من ذلك؛ فتحولت حركتهم إلى جماعة متمردة انتهجت أسلوب السلب والنهب والانتقام ممن يقع في أيديهم من الأعداء، إلى أن جاء عهد (بها دور شاه) ابن السلطان المغولي (أورنك زيب) الذي حاول استرضاء السيخ، وقد نجح بادئ الأمر في تحقيق هذا المسعى غير أن الأمور تغيرت إلى نزاع آخر، وقد تفرق السيخ بعد ذلك شيعاً لمدة ثلاثين سنة، حتى ظهر على مسرح الأحداث زعيم سيخي قوي يدعى (رنجيت سنغ) واستطاع أن يبسط

نفوذه على لاهور عام (١٧٩٩م)، وأصبح يتوسع في البنجاب فأسس مملكة، وارتبط بعلاقات مع الإنجليز في عام (١٨٣٩م)، وترك مملكة قوية أسقطها الإنجليز في عام (١٨٤٩م)، وقد بقي السيخ أقلية في الهند (٢٪) بحسب الإحصاءات الرسمية، وقد تميزوا في المجتمع الهندي بلبس زي موحد يشبه على حد كبير زي المسلمين في الثوب والعمامة، غير أنهم يطلقون اللحى ويرسلون شعرهم بطريقة مميزة، ويلزم السيخي بحمل خنجر ومشط، ولبس سوار من حديد في معصمه.

ينقل إسماعيل العربي في كتابه الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية عن الشاعر محمد إقبال في حديث عن السيخ فيقول: (كان "نانك" يستهدف الإصلاح الاجتماعي والخلقي، وقد ظلت السيخية شريعة سلام وتسامح حتى تحولت بفضل طغيان الهندوس الاجتماعي، واحتكاك السيخ بالمسلمين إلى شريعة تقوم على الحرب والقتال، وقد جعلها (جوفند) أكثر تمسكاً بعودة العبادة، وقد حرم التدخين والخمر، وإن كان السيخ يقبلون على شربها الآن)[1].

(د) البوذية:

منسوبة إلى بوذا، وأسرته من الهندوس، وموطنه في شمال الهند (بين بنارس وجبال الهملايا)، ترك الرجل حياة الترف والنعيم التي ورثها عن والده، ويمم صوب غابات في منطقته بحثاً عن معرفة الكون والحياة، وهناك التقى ببعض النساك الذين أعجبوا به لما رأوا ما هو فيه من حياة الزهد والتقشف ورياضة النفس، والتفوا من حوله، واعتقدوا بمذهبه، وقد طلب منهم نشر تعاليمه ففعلوا، وقد استمر هو وأتباعه على ذلك حتى توفي وأحرقت جثته، وتم تقسيم رمادها إلى ثمانية أقسام، أرسل كل قسم إلى ناحية من النواحي التي دانت

---

(١) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ط: الدار العربية للكتاب، الدار العربية، تونس، (١٩٨٥م) ص٨١.

بتعاليمه، وقد بني فوق كل كومة من الرماد معبد لعبادة بوذا. وتعاليم بوذا دائرة في فلك التعاليم الدينية الهندوسية فهو يعتقد بالثواب والعقاب (الكارما)، وتناسخ الأرواح، غير أنه حارب نظام الطبقات السائدة عند الهندوس.. والبوذية القديمة تنكر فكرة الإله إلا أن البوذية الجديدة قد ابتدعت عبادة بوذا. وعلى وجه العموم فإن هذه العقيدة تعتبر مجموعة من التعاليم الأخلاقية، والسلوكية، ومن أهم سمات البوذي التنازل عن ممتلكاته ليحمل مخلاته، ويلتحق بالجماعة البوذية عائشاً على التسول والاستجداء. وهم في الهند أقلية (١٪) تقريباً بحسب أحدث الإحصائيات الرسمية[1].

(هـ) المسيحية:

لعل المسيحية وصلت إلى شبه القارة الهندية في فترة سابقة ولكن أثر المبشرين لا يكاد يذكر، وهذا يؤخذ من واقع الأقلية التي اتبعت الدين المسيحي في الهند. وبعد الاحتلال الإنجليزي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي جاء المبشرون مع جيوش المستعمرين، وأخذوا في نشر مذهبهم المسيحي (البروتستانتي) من خلال إرسالياتهم التعليمية والطبية والإغاثية، وقد وقف المسلمون موقف المعادي للسياسة البريطانية التي سلبت حكم المسلمين من الإمارات الإسلامية في شبه القارة الهندية، كما وقفت الكثرة الغالبة من غير المسلمين في وجه البريطانيين بدافع الروح الوطنية؛ لذا فإن النظرة للمسيحيين من قبل المواطن الهندي كانت نظرة سلبية لارتباط المسيحية بقوة محتلة لبلادهم، وتبين الإحصاءات الرسمية الحديثة أن نسبة المسيحيين في حدود (٤,٢٪) في جمهورية الهند.

وبعد تناول هذا الجانب لأهم الديانات في الهند نرى عرض شهادات بعض الباحثين وأهل الرأي في تأثير الإسلام في عقلية الشعب الهندي الشديد التمسك بما عنده من ديانات، وعقائد، ونظم وتقاليد، كما نقلها الشيخ أبو الحسن الندوي عن:

---

(١) مستخلص من: عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مرجع سابق، ص ص٧٠- ٧٦.

(١) الباحث الهندي المعروف ك. م. بانيكار (K.M.Panikkar).

(٢) جواهر لال نهرو (رئيس وزراء الهند سابقاً).

(٣) الكاتب الهندي اين، سي، مهتا (N.C.Mhta.I.C.S).

يقول الباحث الهندي (ك. م. بانيكار) وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الإسلامية في عقلية الشعب الهندي، ودياناته: (من الواضح المقرر أن تأثير الإسلام في الديانة الهندوكية كان عميقاً.. إن فكرة عبادة الله في الهنادك، مدينة للإسلام.. وقد ظهر هذا التأثير في الديانات، والدعوات التي ظهرت في الهند في العهد الإسلامي كديانة (Bhagti)، وهو شاعر متصوف ينتقد المجتمع الهندي ويدعو إلى الإصلاح، ودعوة آخر يدعى (كبير داس)[١]. أما نهرو فيقول: (إن دخول الغزاة الذين جاءوا من شمال غرب الهند، ودخول الإسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند، إنه قد فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوكي، إنه قد أظهر نظام الطبقات واللمس المنبوذ، وحب الاعتزال عن العالم الذي كانت تعيش فيه الهند. إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التي كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها، أثرت في أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً، وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير؛ البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية)[٢]. ويقول الكاتب الهندي (N.C.Mehta I.C.S) في كتابه الحضارة الهندية والإسلام: (Indian Civilization and Islam) كما نقل الشيخ أبو الحسن الندوي عنه: (إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلاً من نور قد انجلت به الظلمات التي كانت تغشى الحياة الإنسانية في عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط والتدلي...)[٣].

---

(١) أبو الحسن الندوي، أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، ط٢، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

(٢) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ط الدار العربية للكتاب، الدار العربية، تونس، (١٩٨٥م) ص٨١.

(٣) أبو الحسن الندوي، أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص٦٧.

(٢) الجانب السياسي

بعد انهيار سلطة المغول الإسلامية في شبه القارة الهندية بدأت سيطرة بريطانيا محل الدولة المغولية (١٨٥٧م)، ووضعت نظاماً شاملاً يكفل تحقيق أهداف الاحتلال البريطاني، وقد بقيت البلاد في حدود الولايات التي وجدتها الدولة المحتلة، وضمنت للأمراء البقاء في ولاياتهم، وقد نزعت من أيديهم معظم صلاحيات الحكم الحقيقي التي كانوا يتمتعون بها، وفرضت الإنجليزية لغة رسمية للبلاد، ولغة للتعليم، وكانت هي الرابطة للمتعلمين في معظم أنحاء البلاد، ولم يبق للفارسية والأردية دور في الحياة الجديدة بعد الاحتلال البريطاني؛ ولذا أصبح أكثر المسلمين في عزلة، ونأوا بأنفسهم عن مدارس المستعمر؛ لأنه سلب منهم الحكم، ولأن مدارسه مدارس تبشير بحسب اعتقادهم.

وبعد استقرار أوضاع الحكم والإدارة للبريطانيين، تمكنت تنظيمات سياسية وطنية من الظهور، ووجدت الحكومة الإنجليزية أن لا مفر من التعامل معها، والسماح لها بالقيام بدور ما في السياسة الهندية متى ما وجد السياسيون متنفساً يحول بينهم وبين القيام بثورة في وجه المحتلين، هذا وقد برز المؤتمر الهندي للوجود حزباً سياسياً يدعو إلى استقلال البلاد في عام ١٣٠٣هـ (١٨٨٥م) بزعامة غاندي. كما برز حزب الرابطة الإسلامية حزباً سياسياً في عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٦م). وقد بذل غاندي جهوداً مضنية لضم حزب الرابطة إلى المؤتمر الذي يتزعمه، حتى تكون التوجهات القومية موحدة، غير أن مساعيه لم تتحقق؛ لشعور أعضاء الرابطة الإسلامية بحتمية الهيمنة الهندوسية عليهم. واستطاع البريطانيون إغراء قادة المؤتمر بالوقوف إلى جانبهم في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م) بتأييد مد الهند لهم بالجنود والمال، على أن يحقّقوا لهم رغبتهم بإعطائهم الحكم الذاتي داخل الإمبراطورية البريطانية.

وقد تم لقاء بين حزبي المؤتمر الهندي، والرابطة الإسلامية في (لكهنؤ) عام (١٩١٦م)، وانتهى اللقاء بوضع ميثاق اعترف بموجبه حزب المؤتمر بحق التمثيل الطائفي للمسلمين في إدارة البلاد عند إشراك الوطنيين في الحكم بعد الحرب،

غير أن الإنجليز لم يفوا بوعدهم أثناء الهدنة بين المعسكرين في الحرب العالمية الأولى، وذلك عام (١٩١٩م)، فقاد غاندي عصياناً مدنياً، ودعا لمقاطعة اقتصادية ضد المحتلين، وبدأت ثورة الهند بالطريقة التي رسمها الوطنيون، ولكن الإنجليز قابلوا الثورة بالعنف، وألقوا القبض على قادة المؤتمر وعلى رأسهم غاندي، وتم سجنه لعدة مرات.

وفي عام (١٩٣٢م) دعي زعيم المؤتمر الهندي إلى لندن للتفاوض، وسافر لمقابلة الملك والملكة والحكومة الإنجليزية، وقد أدهش الجميع ببساطته في الملبس والمطعم، وكانت فلسفته من وراء ذلك أنه يمثل شعباً فقيراً، وأنه كذلك يعكس روح الزهد والتنسك النابع من الفلسفة الهندية القديمة. وبعد تلك المحادثات قرر حزب المؤتمر المشاركة في حكم الهند وفق قانون (١٩٣٥م) الذي احتفظ للإنجليز بنصيب وافر في حكم البلاد، حيث كانت وزارات الدفاع والخارجية لهم مع بقاء حق (الفيتو) للحاكم العام الإنجليزي، ولم يرض المسلمون عن هذا الوضع؛ لأن الحكومة المكونة من المحتلين والهندوس لن تراعي مصالح المسلمين، ورفض جلُّ المسلمين أي اتحاد يكون بينهم والهندوس، وأصروا على تقسيم شبه القارة الهندية عند خروج الإنجليز، وقد استمر غاندي ببذل جهوده لكي تبقى شبه القارة الهندية متحدة في وطن واحد، ولكنه لم يستطع[1].

وأخيراً تم لأغلبية كبيرة من المسلمين ما أرادت في عام (١٩٤٧م)، وذلك بتقسيم البلاد إلى دولتين هما: جمهورية الهند الاتحادية، وجمهورية باكستان الإسلامية بشطريها الغربي والشرقي.. ونرى أن نعرض هنا آراء المسلمين الهنود حول بقائهم في دولة واحدة مع الهندوس أو عدمه قبيل رحيل الاستعمار البريطاني (علماً بأن الشيخ الندوي كان ممن يرون البقاء في الوطن الأم) وجاءت كما يلي:

الرأي الأول: بعض المسلمين الهنود يرون ضرورة الدعوة إلى الوحدة الوطنية، والوقوف في وجه المحتلين وتأسيس دولة واحدة تضم المسلمين والهندوس، ويرى

---

(١) محمد مرسي أبو الليل، الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، بدون طبعة، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، (١٩٦٥م)، ص١٩٧.

هذا الفريق ضرورة الانضمام إلى حزب المؤتمر الهندي حيث يكونون فيه قوة يحسب لها حساب، وهم يرون أن المتطرفين ضدهم من الهندوس قلة لا يعبأ بها، ومن أشهر الداعين إلى هذا الرأي من الأفراد: ذاكر حسين الذي أصبح رئيساً للجمهورية الهندية عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م)، وأبو الكلام أزاد الذي تبوأ منصب وزير المعارف بعد الاستقلال. أما من المؤسسات فنجد جمعية العلماء، ومؤتمر المؤمنين الهنود، ومؤتمر الشيعة[١].

الرأي الثاني: يرى فريق آخر بقاء المسلمين والهندوس ضمن دولة واحدة، مع ضرورة تشكيل جمعية إسلامية قوية تعمل على نشر الإسلام بين صفوف الهندوس خاصة؛ لزيادة عدد المسلمين في البلاد، ويرى أصحاب هذا الرأي أن انفصال المسلمين في دولة خاصة بهم سيجعل الذين يبقون مع الهندوس في دولة واحدة أقلية مستضعفة ومضطهدة، وسيتعرضون لحرب إبادة، كما يخشى أصحاب هذا الرأي عدم تطبيق الإسلام في دولة المسلمين الخاصة بهم، إذ العاطفة هي التي تحرك زعماء ذلك الاتجاه في ذلك الوقت، وكان من أقوى الممثلين لهذا الرأي أبو الأعلى المودودي، الذي وقف في وجه حزب المؤتمر فقويت الرابطة، ثم عاد فأبان خطأ الرابطة في الدعوة إلى حزب القومية الإسلامية[٢].

الرأي الثالث: (انقسم أصحابه إلى فريقين): يرى فريق من المسلمين ضرورة الانفصال عن الهندوس، وتأسيس وطن خاص بهم من الولايات التي تشكل أكثرية عددية من المسلمين، وتأسيس دولة مستقلة باسم باكستان ترتبط بالعالم الإسلامي على أساس أنها جزء منه؛ وذلك في ظل الخلافة الإسلامية، ويمثل هذا الاتجاه الشاعر محمد إقبال. أما الفريق الثاني (وكان يتزعمه محمد علي جناح) فكان يرى الاستقلال في دولة باسم باكستان تقوم على أساس

---

(١) إسماعيل أحمد ياغي وآخر، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ص٢٧٠ - ٢٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص ص٢٧٠ - ٢٧٢.

القومية الإسلامية الباكستانية، وقد قوي هذا الاتجاه بعد إلغاء الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك عام (١٩٢٣م)[١]. وتجدر الإشارة إلى أن فكرة القومية الباكستانية لا يخشى الإنجليز جانبها، ما دامت فكرة تقوم على العاطفة الوطنية، والقوانين الوضعية.

كانت تلك هي الأحداث المهمة المتعلقة بالأحوال السياسية الداخلية في شبه القارة الهندية والتي أحاطت بعصر أبي الحسن الندوي، وإن بعضاً من هذه الأحداث قد شهدها في صباه ثم في مرحلة شبابه. أما أهم الأحداث الخارجية الأخرى التي لها تأثير على مسلمي الهند بصفة عامة، وعلى حملة الدعوة الإسلامية وأصحاب الفكر بصفة خاصة، فقد كان انهيار الخلافة العثمانية، يقول أحمد فؤاد متولي عن الإمبراطورية العثمانية: (كانت أطول الإمبراطوريات عمراً بعد الإمبراطورية الرومانية، حيث عُمِّرت زهاء ستة قرون وربع القرن (١٢٩٩- ١٩٢٣م)، وقد امتدت أملاكها في قارات: أوروبا وآسيا وإفريقيا، وشملت مناطق متنوعة، وديانات كثيرة، وثقافات مختلفة، وحضارات عريقة.

وقد كانت الإمبراطورية رغم اتساعها وتفرعها، تحكم كل هذه المناطق وتديرها بقوة وعزيمة باسم الخلافة الإسلامية، أيام أن كانت قوية مرهوبة الجانب. ولما بدأ الضعف يدب في أوصالها وتنهال عليها الأزمات من كل حدب وصوب، أخذت في التدهور والانهيار تدريجياً، وتوالت عليها الكوارث والهزائم، وتقلصت أملاكها رويداً رويداً، وتحالفت ضدها الدول الأوروبية حتى سموها بالرجل المريض الذي يعيش في النزع الأخير من مراحل عمره الممتدة..)[٢]، ومما هو مسلم به في كتب التاريخ أن الخلافة العثمانية سقطت في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وعلى وجه التحديد في عام (١٩٢٣م) على يد مصطفى كمال

---

(١) المرجع السابق، ص ص٢٧٠ - ٢٧٢.

(٢) أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية، ط١، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، (٢٠٠٢م)، ص ص٢٨٧ - ٢٨٨.

أتاتورك، الذي أعلن الجمهورية التركية، والتي اتخذت العلمانية نظاماً لحكمها، وأعلنت اللغة التركية لغة رسمية للبلاد، ومنعت النساء المسلمات من ارتداء الحجاب، وتوجهت توجهاً غربياً شاملاً.

يقول أبو الحسن الندوي واصفاً حال العالم الإسلامي إبان فترة الخلافة العثمانية وبعد زوالها: (إن العالم الإسلامي ـ في الحقيقة ـ كان قد ضعف في روحه المعنوية وفي شخصيته ومميزاته من زمان، ولكن كان له اسم كبير، وكانت له مهابة وسطوة، كانت هناك الدولة العثمانية، على علاتها ومحنها، كالسور المنيع للشرق العربي، لا تجترئ كثير من الحكومات أو الشعوب الحاقدة أن تتسور هذا السور، وتهين المقدسات الإسلامية والبلاد التي كانت تحت حماية الدولة العثمانية، وقد كان شرف العالم الإسلامي وكرامته منوطة بهذا الجزء المقدس الحبيب إلى المسلمين في العالم، وكان للدولة العثمانية الاسم الكبير، الحافل بالأمجاد والبطولات، فكان يصرف الناس عن الامتحان لقوته الحقيقية.

وكان هنالك مجدار على التعبير العربي القديم ـ وهو العود الذي ينصبه الفلاح في مزرعته، ويلقي عليه شيئاً من الثياب فتتصور الغربان أن هنالك إنساناً واقفاً، فلا تتجاسر أن تقع في هذه المزرعة فتسبب فيها ضرراً، فإذا أسقِط هذا المجدار بريح عاصفة مثلاً، أو عاثت فيه بعض الحيوانات الجريئة فأسقطته، هنالك تعرف الطيور أنه ليس هنالك ما يخاف فتتساقط عليها وتتلفها، فكانت الدولة العثمانية، والتصور الكبير الضخم الذي تحمله، وكانت الانطباعات التي كان يحملها الدارسون للتاريخ الإسلامي، والتصور الكبير الضخم الذي كان أكثر من الحقيقة ـ يمنع كثيراً من الشعوب التي كانت أقوى من الدولة العثمانية، وكان في إمكانها أن تسيطر على بعض الممتلكات العثمانية، ومحمياتها بسهولة، من أن تجرب الوقوع في هذه الحمى، فلما سقط هذا المجدار، أصبحت المزرعة مالاً سائباً ونهبة لكل ناهب، وأصبحت الحمى مفتوحة

لا حارس لها)[1]. ويقول عن مصطفى كمال أتاتورك: وقد باء بوزر الإجهاز على الدولة العثمانية، وكان الندوي قد زار تركيا في عام (١٩٥٦م) فوصف ما شاهده هناك: (.. ثم شاهدت ـ أيضاً ـ نتائج المنظمة القوية التي قام بها أتاتورك للقضاء على الآثار الإسلامية والعربية ومحوها، ورأيت مناظر البعد عن الثقافة الإسلامية، والحرمان من المكتبة الإسلامية لتغيير الخط إلى الخط اللاتيني)[2].

ومن الأحداث الخارجية المهمة ذات التأثير على مسلمي شبه القارة الهندية صدور وعد (بلفور)، وزير خارجية بريطانيا آنذاك، ثم قيام دولة إسرائيل التي تم احتلالها لفلسطين عام (١٩٤٨م)... لقد كان وعد بلفور أول اعتراف دولي بالصهيونية السياسية ومشاريعها الاستيطانية. وهكذا يتضح مما سبق أن فكرة الاستيطان اليهودي وتطورها كانت بمثابة امتداد لسياسة التوسع الاستعماري الغربي لتصبح بعد نضوجها فيما بعد أداة من أدواته في الشرق العربي، تؤمن مصالحه وتحرس مواقعه، وكانت بريطانيا التي فازت بهذه الأداة عام (١٩١٧م) وبقيت محافظة عليها حتى قيام دولة إسرائيل عام (١٩٤٨م)، حيث تجدد تنافس الدول الكبرى ثانية للاستئثار بهذه الأداة، ففازت بها الولايات المتحدة الأمريكية ولا زالت تحتفظ بها حتى الآن)[3].

وها هي مجريات الأحداث العالمية المتصلة باحتلال فلسطين ـ مما سبق ذكره ـ تبين تأثر الندوي بما يحيط بالعرب والمسلمين، حيث يعتقد بأن علو اليهود في الأرض سينتهي إلى هزيمة، يقول: (اليهود مهما انتصروا وحازوا من النجاح والغلبة

---

(١) أبو الحسن الندوي، واقع العالم الإسلامي، وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه؟، الصحوة الإسلامية، الجامعة الإسلامية دار العلوم حيدرأباد، شبورام بلي، حيدرأباد – ٥٠٠٢٥٢، الهند، العدد ٢٩، جمادى الأولى ١٤١٦هـ (أكتوبر ١٩٩٥م)، ص٥٠.

(٢) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) ص٢٦٣.

(٣) أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، عالم المعرفة، سلسلة شهرية، إصدار المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ص ص٢٦٩– ٢٧٢.

ما حازوا، حتى ولو سيطروا ـ لا سمح الله ـ على نصف العالم فإنهم إلى انكسار وهزيمة.. إن المستقبل للعرب المسلمين، فإنهم لو بقوا حملة الدعوة الإسلامية وأصحاب الدين الحق فالفتح والانتصار لهم لا محالة)[1].

ومن أهم المحن التي زلزلت المسلمين، ورجال الفكر، ودعاة الدين في الهند بعد استقلال أكثر البلاد الإسلامية: ظهور النعرات القومية، والعصبيات السلالية واللغوية في العالم العربي، وشبه القارة الهندية، مما أدت إلى الفرقة والاحتراب بين شعوب تلك الأقطار، وقد ركز الشيخ أبو الحسن الندوي كل قواه ومواهبه في الخطابة والكتابة على الرد والمعارضة الشديدة لأصحاب تلك الاتجاهات حيث يقول: (القومية العربية لا تملك أي جاذبية لغير العربي، إنهم لا يستجيبون إلا لدعوة الإيمان والعمل الصالح ورسالة الإسلام الخالدة)[2]، يقول: (أما القومية المتطرفة، والعصبية الجاهلية، التي ابتليت بها بعض الجماعات العربية، وتزعمتها بعض القيادات في العهد الأخير.. فهي طارئة دخيلة، لا تنسجم مع الطبيعة العربية الإسلامية الأصيلة، وهي تثور عليها في أول فرصة، وتعود إلى أصالتها القديمة، وإلى إيمانها الذي امتزج بلحمها ودمها وتغلغل في أحشائها...)[3].

ومن الأحداث السياسية الخطيرة والحرجة التي ألقت بظلالها على مسلمي الهند ـ أيضاً ـ التوتر السياسي الذي شاب العلاقات بين الهند وباكستان (بعد التقسيم) كقضية كشمير، واتهامات الهند لباكستان بتحريض المسلمين الهنود ضد استقرار بلادهم. ومن الأحداث التي جرحت قلوب المسلمين ـ أيضاً ـ العصبية القومية واللغوية التي أدت إلى انفصال باكستان الشرقية عن شطرها الغربي الأكبر. وهنا يصف الشيخ أبو الحسن الندوي ما لحق المسلمين والدعاة وأهل

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص٣٣٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٣٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٤٥.

الفكر خاصة من أسىً ومرارة بسبب ما كانوا يخشونه عندما برزت فكرة تقسيم شبه القارة الهندية عام (١٩٤٧م)؛ من اقتتال بين الإخوة بلا رحمة، ولا وازع من ضمير أو خلق أو دين، يقول الشيخ أبو الحسن: (غلبت الوثنية اللغوية على عقيدة التوحيد، والقومية العرقية السلالية على الوحدة الإسلامية، والحمية الجاهلية، والعصبية البغيضة على الأخوة الإسلامية بصورة لم يسبق لها مثيل.. إن الجانب الخطير المخجل الذي يندى له الجبين حياء فيه، هذه الوقائع البشعة حيث أن أعداء الإسلام وجدوا دليلاً على فشل الإسلام وإخفاقه، واستنتجوا من ذلك أن الإسلام لا يملك أن يصل بين الناس ويوحد بين جنسيات وشعوب مختلفة في لغتها ولونها وسلالتها، وأنه لا إمكان لقيام مجتمع أو دولة على أساس العقيدة الإسلامية، وإذا قامت فلا بقاء لها، إنها خسارة معنوية فادحة لا تضاهيها خسارة..)[1].

وهنا نرى أن مثل هذا الواقع المرير الذي حكاه الشيخ الندوي بمشاعر جريحة ومكلومة عما حدث بين المسلمين في شطري باكستان من قتل وتدمير وفوضى، إنما يعكس خللاً في السلوك الاجتماعي للأمة، لا سبيل إلى علاجه إلا بتربية إسلامية تصوغ الفرد والمجتمع من جديد، على ما كان عليه الأمر على عهد النبي ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان.

لقد تم في تناول الجانب السياسي إبراز أهم الأحداث التي كانت تعيشها شبه القارة الهندية في أواخر الحكم الإسلامي المغولي لها، وإبان فترة الاحتلال البريطاني وبعد استقلال البلاد وتقسيمها في عام (١٩٤٧م)، ورأينا كيف كان المسلمون بصفة عامة، وأهل الفكر والدعوة بصفة خاصة، يتأثرون بما يجري حولهم في وطنهم الأم، وما يجري من حولهم في بلدان العالم الإسلامي.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٤٥.

(٣) الجانب الاقتصادي والاجتماعي

حبا الله بلاد الهند بثروات زراعية، وحيوانية، ومعدنية، وسياحية، عديدة ومتنوعة. وقد عاش الناس في شبه القارة الهندية منذ فجر التاريخ في بيئة سخية توفرت لهم فيها كل مقومات كسب العيش، ورغم ذلك اختار الإنسان الهندي الحياة البسيطة في مأكله، ومشربه، وملبسه، وفقاً للفلسفات والمعتقدات الوطنية التي تربى عليها؛ ليعرف بين سكان الأرض بالزهد والبساطة التي ميزت شخصيته منذ عهود سابقة حتى الآن.

تلك الخيرات العظيمة التي أحاطت بالإنسان في شبه القارة الهندية، قادت إليه أهل الحضارات القديمة والحديثة؛ ليشهدوا منافع لهم في تلك البلاد، وقد كان للأوروبيين نصيب الأسد من تلك الخيرات منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حيث أوقعوا البلاد تحت احتلالهم من أجل المواد الخام لصناعاتهم آنذاك. وقد كتب جواهر لال نهرو مجموعة من الرسائل لابنته أنديرا غاندي عندما كان يتنقل من سجن إلى آخر - إبان الاحتلال البريطاني لبلده - بين عامي (١٩٣٠- ١٩٣٣م) يقول لها في إحدى رسائله عن الأطماع الاستعمارية في بلاده، وما نجم عنها: (وجود الفحم والحديد والموارد الزراعية والأيدي العاملة هو الذي ساق بريطانيا لاستعمار الهند.. بريطانيا كانت في طليعة الدول التي قامت بالثورة الصناعية التي أدخلت النظام الرأسمالي إلى العالم، وكان سبقُها في هذه الميادين هو الذي جعلها تسبق غيرها في الاستعمار.. لقد تحالف الإنجليز مع جميع العناصر الرجعية والمحافظة في الهند، وأنعشوا الطبقة الإقطاعية وقدموا مصالحهم على مصالح الفقراء من أهل البلاد وأذلوهم وضيعوا مصالحهم)[1]. وفي ذات السياق يقول محمد مرسي أبو الليل: (فقدت الهند ثرواتها دون أن ينفق منها شيء كثير

---

(١) انظر: جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العالم، طبعة بدون تاريخ، نقله إلى العربية لجنة من الأساتذة الجامعيين، بيروت، (١٩٨١م)، ص ص١١٦ - ١٢٤.

في النهوض باقتصاد البلاد إبان الاحتلال البريطاني، وقد كان الاقتصاد الهندي مسخراً لمصلحة الدولة المستعمرة، حيث كانت تصدر المنتجات الزراعية والمواد الخام الأخرى لإنجلترا، وما تحتاجه الهند من مصنوعات يجيء معظمه من بريطانيا، ومعظم موارد البلاد ـ تقريباً ـ ومعظم المشاريع تملكها الشركات الإنجليزية)[1].

وبعد الاستقلال ازدهرت بعض صناعات نسيج القطن والصوف والحرير، والمواد الغذائية من المنتجات الزراعية والحيوانية، وتعدين الحديد والمنجنيز والألمونيوم والفحم الحجري والبترول، وقد بلغ متوسط دخل الفرد في عام (١٩٨٧م) ٢٩٠ دولاراً أمريكياً، وحقق النمو الاقتصادي في العام نفسه ٢,١٪ ولا زالت الهند تصنف من دول العالم النامي المعتمدة على الزراعة لتوفر ٥٥٪ من مساحة البلاد البالغة ٣,٢٨٧,٥٩٠ كيلو متراً مربعاً، كأراضٍ صالحة للزراعة، وحوالي ٢٥٪ منها غابات مع وجود المروج والمراعي[2].

عُرف إنسان الهند بحياته البسيطة المتوارثة عبر الأجيال منذ سالف العصور إلى الآن، ورغم تنوع الأعراق، والثقافات، والديانات في الهند، إلا أن التعايش بين المجتمعات المتباينة كان يحقق قدراً من الأمن والسلام الاجتماعي، وقد تطرأ الاحتكاكات بين طوائف المجتمع؛ لتبدأ مسيرة التعايش السلمي من جديد. يقول محمد مرسي أبو الليل عن الوضع الاجتماعي في الهند: (الأسرة أساس المجتمع الهندي، والروابط الأسرية قوية وراسخة بين أفرادها. وللأسرة أعياد خاصة بها مثل: عيد الإخوة وعيد الأخوات، وهو على غرار عيد الأم عند أمم أخرى. وفي يوم الإخوة تقدم الأخوات الهدايا، وأنواع المأكولات الشهية لإخوتهن، وفي يوم الأخوات يقدم الإخوة الهدايا لأخواتهم، ويبالغون في إظهار المحبة والعطف لبعضهم

---

(١) محمد مرسي أبو الليل، الهند: تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، مرجع سابق، ص١٩٩.

(٢) معلومات أعدتها مؤسسة الآفاق المتحدة العالمية، المعلومات، ط١، ١٤١١هـ (١٩٩١م)، الرياض، ص ص٥٦ - ٥٧.

البعض. والهنود يحترمون المرأة، ويتركون لربة البيت إدارة الشؤون الداخلية للأسرة. وقد اشتهرت بالإخلاص لزوجها، ومن عاداتها القديمة في الملبس الحجاب، وكان منتشراً بين المسلمات، وهو أكثر انتشاراً في المدن منه في الريف. وبعد الاستقلال خرجت المتعلمات عن الحجاب. وقد كثر الإقبال على التعليم من قبل النساء كما اشتركن في الأعمال العامة. ويرجع سبب شغف المرأة بالتعليم والعمل إلى التقاليد الهندية التي تحرم الزوجة من الميراث، وتتركها عالة على أفراد الأسرة الرجال.. والحياة الهندية وخاصة في الريف لها طابع مميز حيث تسودها المودة والعطف بالرغم من التمييز بين طبقات الأطهار والمنبوذين وفقاً للمفاهيم الهندوسية. أما في الهند الحديثة فقد تبدلت النظرية إلى طبقة المنبوذين الذين استطاع بعض المميزين منهم من تقلُّد وظائف مرموقة في الدولة.

لقد واجهت الهند بعد الاستقلال مشكلات عديدة، ومن أهم المشكلات الاجتماعية (بسبب تقسيم الهند الكبرى عام "١٩٤٧م" إلى دولتين هما الهند الاتحادية وباكستان الإسلامية) خروج الملايين من السكان المسلمين والهندوس ميممين صوب بلدهم الجديد، تاركين أرضهم التي عاش أجدادهم فوق ثراها سنين طويلة، ولم تخلُ تلك التحركات من صدامات صاحبها سلب ونهب. ثم أقام كلا الفريقين زمناً طويلاً في الخيام والمعسكرات والمساجد والمعابد، قبل أن تستطيع كلٌّ من الهند وباكستان من تدبير الإقامة والمأوى لتلك الملايين.

والفقر أكبر مشكلة في هذا القطر الذي يقارب سكانه مليار نسمة ـ تقريباً ـ مع تعدد الثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية، ووجود الصناعات. ونسبة لاطراد الزيادة في عدد السكان، فقد اتخذت الحكومة الهندية بعض التدابير منها: منع الزواج المبكر، وأنشأت مراكز لدعوة الناس إلى تحديد النسل.

ومن مميزات المجتمع الهندي المحافظة على التقاليد، فهم يتوارثونها جيلاً بعد جيل، ولبعض التقاليد ـ هناك ـ قداسة، ومن يخرج عليها يطرد من المجتمع.. ويمتاز المجتمع الهندي عموماً ـ بالاستقرار الذي بلغ حد الجمود أحياناً. أما هذه

الملايين فقد بقيت محتفظة بعقائدها، وتقاليدها، وفنونها وآدابها لآلاف السنين[1].

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المسلمين في جمهورية الهند الاتحادية يمثلون الأقلية الدينية الكبيرة في المجتمع الهندي، وقد كان لهم شأن اجتماعي ونفوذ مرموق قبل الاحتلال البريطاني، الذي أزال حكمهم في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد أدت قيادتهم للثورة التي باءت بالفشل ضد الاحتلال للتنكيل بهم، واضطهادهم، وهدم مساجدهم، وتقريب أعدائهم من شرائح المجتمع الهندي الأخرى، وتجريدهم من أكثر ممتلكاتهم، مع ذلك ظل المسلم الهندي - بعد التقسيم (١٩٤٧م) - يساهم في بناء البلاد ورفعتها، ويحافظ على مؤسساته الدينية والاجتماعية الأخرى، ويذود عنها بالمهجة والروح متى ما دعاه إلى ذلك داع، وقد رسم الشيخ أبو الحسن الندوي صورة رائعة للمسلم الهندي وهو يبني وطنه: (إن المسلم الهندي بنى عشه على غصن من أغصان هذه الدوحة، إنه سقاها بدمائه وتعهد كلَّ شجرة منها، بل كل ورقة وفسيلة منها بالرعاية والحفظ والحراسة)[2].

(٤) الجانب الثقافي والفكري

تغيير العادات وأساليب الحياة في المجتمع الهندي لم يكن بالأمر اليسير على الشعوب الوافدة التي دخلت الهند غازية، أو وصلت إليها لأغراض تجارية أو غيرها، وذلك منذ العصور التاريخية القديمة إلى عهد الاحتلال الإنجليزي في القرن التاسع عشر الميلادي؛ وذلك بسبب اتساع رقعة البلاد، ووجود تقاليد حضارية عريقة، وعادات وأساليب حياة ثقافية واجتماعية راسخة، كانت تميزها عن غيرها من الأمم الأخرى.

---

(١) مستخلص من: محمد مرسي أبو الليل، الهند: تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، مرجع سابق، ص ص٢٠٧ - ٢١٦.

(٢) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج٢، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) ص١٤٣.

ولما دخل المسلمون إلى الهند وجدوا تلك الصعوبات ماثلة أمامهم، إلا أنهم كانوا يعتمدون على أسلوب دعوي يهدف إلى إخراج الناس من ظلام الشرك إلى نور الإيمان؛ وذلك بمخاطبة الملوك وزعماء المجتمع إلى ذلك، فإن وجدوا القبول تركوا الحكام يحكمون رعيتهم؛ لينتشروا هم في البلاد يعلمون الناس تعاليم الدين الجديد، ولما كان نشر الدين يقتضي التعليم والمتابعة، فقد نشأ أول نظام تعليم في بلاد الهند وأصبح يعرف بالدرس النظامي (وضع منهجه رجل يدعى نظام الدين الأنصاري في عام ١١٦١هـ) يختص بالعلوم العربية والإسلامية. واستمر تدريس هذا المنهج طوال حكم المسلمين المغول في بلاد الهند، وكان التركيز فيه منصباً على الفقه وأصوله، وعلم الكلام، والنحو والصرف، والمنطق والفلسفة، دون إعطاء الكتاب والسنة ما يستحقانه من الاهتمام. وقد كان للشيخ أحمد بن عبد الرحمن الدهلوي (ت١١٧٦هـ)، وأبنائه وأحفاده من بعده القدح المعلى في تعليم القرآن الكريم والسنة المطهرة في بلاد الهند، حتى تم تغيير نظام التعليم، واستبدال الفارسية بالإنجليزية لغةً رسمية؛ وذلك بعد الاحتلال البريطاني. وقد ظل الدرس النظامي مع ما فيه من سلبيات وإيجابيات يمد الهند الإسلامية بالمفتيين والقضاة، وقادة الجيش والشرطة وغيرهم من رجال الدولة إلى أن دهمها المحتل الإنجليزي، وتمكن من السيطرة على البلاد، وأعلن تغيير نظام التعليم عام (١٨٣٥م)، وكان يهدف بذلك إلى نشر ثقافته في المجتمع الهندي. وقد قدم واضع النظام الجديد إلى الحكومة البريطانية تقريراً حول ذلك المنهج التعليمي الإنجليزي قال فيه: (نريد من هذا التعليم تكوين جيل من الهنود لونه هندي، وفكره وذوقه وأخلاقه إنجليزية). ثم تقدم المحتل نحو تحقيق هدفه خطوة أخرى في عام (١٨٤٤م) حيث جعل الوظائف الحكومية حكراً على المتخرجين من المدارس التي أقامها بهدف تخريج موظفين يشغلون الوظائف الكتابية، كما أسست ثلاث جامعات في عام (١٨٥٧م) في كلكتا وبمبي ومدراس.. وعندما رأى علماء الهند هذه الحال أدركوا الخطر الذي يتمثل في هذه

الخطوة الماكرة على العلوم الدينية، حيث خافوا من اندثارها والقضاء عليها، فبدؤوا بإنشاء مدارس أهلية. وقد افتتحت في عام ١٢٨٣هـ (١٨٦٣م) مدرسة دار العلوم بمدينة ديوبند أسسها الشيخ محمد قاسم نانوتي، وأسس الشيخ سعادة علي مدرسة أخرى عرفت باسم مظاهر العلوم بسهارنفور، وتعد هاتان المدرستان هما الأهم من بين كثير من المدارس والحلقات التي بدأت تنتشر مع التركيز على القرآن والسنة وعلومهما، حيث يلزم الطالب بدراسة الصحاح الستة حتى سنة التخرج، ومن ثم يرسله أساتذته إلى المكان المناسب حتى يخدم الدين)[1].

بعد ذلك التطور في تغيير نظام التعليم القديم في شبه القارة الهندية بعد احتلالها من قبل بريطانيا، نلاحظ ما يلي:

(١) هيمنة اللغة الإنجليزية حيث صارت اللغة الرسمية للدولة.

(٢) صارت الإنجليزية لغة التعليم الغربي الحديث آنذاك.

(٣) صارت الإنجليزية لغة أكثر الصحف التي تصدر بالبلاد.

(٤) انزواء اللغة الفارسية لغة التعليم الديني الإسلامي.

(٥) عدم اعتراف حكومة الاحتلال البريطاني في الهند بالتعليم الإسلامي.

(٦) عدم إتاحة الفرص أمام خريجي التعليم الإسلامي بالعمل في دواوين الدولة.

ونتيجة لتلك السياسة التعليمية الجديدة تم عزل كامل للمسلمين الذين رفضوا الانصياع للمحتلين، وآثروا الاعتصام بنظامهم التعليمي القديم، غير أن آخرين منهم رأوا أن قطار التطور سيفوتهم، وأن غيرهم من أبناء البلاد (من غير المسلمين) قد توافق مع الأوضاع الغربية الوافدة، وقد تحسنت أحوالهم وقوي نفوذهم. وكان السيد أحمد خان حوالي (١٢٣٣- ١٣١٦هـ) أبرز من دعا إلى

---

(١) فيض الرحمن العثماني، مجلة البيان، أزمة التعليم الديني في باكستان، العدد ١٧٣، محرم ١٤٢٣هـ (مارس/ إبريل ٢٠٠٢م)، ص٥٠.

الاستفادة من مناهج التعليم البريطانية؛ لتكون وسيلة للرقي والتقدم، وللحاق بركب الحضارة بالنسبة للمسلمين في الهند، عوضاً عن الانعزال عن الواقع المعاش في البلاد. وقد اتخذ خطوات عملية في هذا الاتجاه، يقول عنه محمد كامل ضاهر: (المصلح الإسلامي الهندي المعروف السيد أحمد خان (١٨١٧-١٨٩٨م)، اتخذ من إصلاح مناهج التربية والتعليم (كما رآها في إنجلترا) وسيلة لمعالجة مشكلات المسلمين في الهند. وقال بأن هذه المناهج وحدها قادرة على تطوير حياته؛ لأنها تخلق فيهم الميل إلى تلقي علوم المدنية الغربية وفنونها وآدابها).

وانطلاقاً من هذه (الإيديولوجية) الإصلاحية، أخذ السيد أحمد خان ينشئ المدارس بكثرة في المناطق الإسلامية الهندية، وأسس جامعة عليكرة الشهيرة. على نمط جامعتي (أكسفورد) و(كمبرج)؛ لنشر الاتجاهات العلمية الحديثة في العلوم والتاريخ والاقتصاد، وساهم في نقل عدد كبير من الكتب العلمية من الإنجليزية إلى الأردية، كما أصدر مجلة دورية سماها (تهذيب الأخلاق) عالج فيها مشكلات المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والدينية بصراحة وجرأة. ثم عكف على تفسير القرآن الكريم في ضوء العقل والضمير، وصرح بأن الوحي النبوي كان بالمعنى دون اللفظ، أي إن الملك جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة، وأن النبي ﷺ علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب.

وقد أحدث هذا الرأي ثورة دينية عارمة ضد السيد أحمد خان، وكادت أن تودي بحياته بعد اتهامه بالكفر والزندقة والإلحاد. وبالرغم من ذلك استمر على موقفه ولم يتراجع، وظل يجمع قادة المسلمين الهنود في مؤتمر سنوي ليناقش معهم مشكلات رعاياهم وحلها. فكان يحثهم على أخذ كل مفيد من المدنية الغربية، ونشرها بين المسلمين، لأن ذلك يبعدهم عن الجهل والتخلف، ولا يفقدهم شخصيتهم الدينية إطلاقاً.. وكان إعجابه شديداً

بالشيخ محمد عبده وبأفكاره.. وبعد وفاته حمل راية أفكاره في الهند بعض تلامذته ومريديه)[1].

وسار بعض المسلمين الهنود شوطاً أكبر في موالاة المحتلين البريطانيين والتقرب منهم، وقد وجدوا ترحيباً وتأييداً. ومن قادة الفرق الإسلامية المارقة على الأكثرية الإسلامية؛ غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطاء محمد القادياني ١٢٥٥- ١٣٢٦هـ (١٨٣٩- ١٩٠٨م)، والقادياني نسبة إلى قريته التي ولد فيها وتسمى (قاديان) إحدى قرى البنجاب الهندية، وهو من أسرة اختلف في أنها مغولية الأصل أو فارسية. وأسس جماعة القاديانية وادعى النبوة في عام (١٩٠٠م). ونقل إسماعيل ياغي في كتابه (العالم الإسلامي الحديث والمعاصر) أنَّ ميرزا غلام أحمد القادياني.. كتب (البراهين الأحمدية)، ثم ادعى في عام ١٣٢٢هـ بأنه المسيح المنتظر، وأفتى بقبول الحكم البريطاني، وفسر الجهاد بالشكل الذي يريده المستعمرون، وعدَّ طاعة الإنجليز واجبة حيث أنهم أولو الأمر، وحاول التقرب من الهندوس فقال: (إنه يتلبس بروح السيد المسيح وبروح "كرشنا" إله الخير عند الهندوس). وقد انقسم أتباعه إلى فرقتين بعد وفاته:

(١) الأحمدية: ويسمون بجماعة لاهور، ويعدون ميرزا غلام أحمد إماماً ومصلحاً لا غير.

(٢) القاديانية: ويؤمن أتباعها بنبوة ميرزا غلام أحمد، ويعدون جميع المسلمين الذين لم يبايعوه كافرين، خارجين عن دائرة الإسلام، ولا يجوز الصلاة خلفهم، كما لا تجوز الصلاة على من مات منهم ولو كان طفلاً صغيراً[2].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن القلة التي والت الإدارة البريطانية مثل فرقة القادياني، قد وجدت حظوتها في كل ما وفَّره المحتلون لأعوانهم في الديار الهندية

---

(١) محمد كامل ضاهر، الدعوة الوهابية، أثرها في الفكر الإسلامي الحديث، ط١، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م)، ص ص٢٠٢- ٢٠٣.

(٢) إسماعيل أحمد ياغي، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص١٦٧.

آنذاك، وفي المقابل ظلت الأكثرية من المسلمين في جهل وفقر ومرض، وعاشوا تحت حكم مارس عليهم تمييزاً بسبب تمسكهم بثقافتهم وإرثهم الحضاري. ومما تقدم نرى أن تيارين فكريين متلاطمين برزا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي إلى العصر الذي نشأ فيه أبو الحسن (القرن العشرين الميلادي) وأديا إلى انقسام المسلمين وهما:

(١) تيار غايته أن يأخذ المسلمون بحضارة الغرب في مظاهرها العلمية والروحية والسياسية.

(٢) تيار آخر يخالف الغرب، ويدعو المسلمين إلى الاعتصام بدينهم، والوقوف ضد ما قد يرد عليهم من أباطيل الغرب وأضاليله. وقد مثل التيار الثاني مدارس وجماعات وتنظيمات إسلامية تختلف في مناهج عملها الإسلامي، ومن أبرز هذه المدارس التي آثرت الحفاظ على نشر الثقافة الإسلامية والعربية على النظام القديم مدارس دار العلوم بديوبند ومظاهر العلوم بسهارنغور وقد مر ذكرها آنفاً. وكان هنالك دور مهم للمساجد والمدارس التي كانت تلحق بها في تعليم القرآن الكريم والسنة المطهرة وعلومها. أما في مجال العمل الدعوي العام فقد كان من أبرز الجماعات: الجماعة الإسلامية التي أسسها أبو الأعلى المودودي في الهند عام ١٣٦٠هـ، والتي تدعو إلى تطبيق المنهج الإسلامي بوصفه نظام صالح للحياة، ولكن هذه الجماعة كانت تلاحق من قبل السلطات وتتعرض بين حين وآخر إلى الحل وملاحقة الأعضاء. أما الجماعة الأخرى فهي: جماعة التبليغ، التي أسسها محمد إلياس الكاندهلوي عام ١٣٦٣هـ، وقد ظل أتباع هذه الجماعة يمرون على المساجد؛ للوعظ، ويتنقلون في القرى والمناطق المختلفة؛ لتبليغ الدعوة، وتوجيه الناس وإرشادهم إلى المسلك الديني القويم.

وعلى الرغم من القهر المتعمَّد الذي طال ثقافة المسلمين بهدف طمس هويتهم من قبل المستعمرين بعد احتلال البلاد، نستطيع أن نلاحظ التنوع الثقافي في شبه

القارة الهندية من خلال الجوانب الدينية والاجتماعية الأخرى التي تم تناولها في هذا المبحث، كما نستطيع إثبات إضافة حضارية تمت من خلال المؤسسات الإسلامية المختلفة التي ورد ذكرها في الفقرة أعلاه. وقد تحدث الشيخ أبو الحسن الندوي مشيراً إلى هذا في (مسيرة الحياة) حيث قال: (... إن الحضارة الإسلامية الهندية التي ظهرت بفضل المسلمين وتفاعلهم مع هذه البلاد، حضارة تمتاز بالروعة والجمال، والتواضع والبساطة، والسهولة والصلابة، والعمق والسعة، والرقة والقوة، والاستقامة والسماحة.. إنها تجمع في دائرة نفوذها بين الحكمة والفلسفة والشريعة، وبين الأدب ولطف الحس. وإن مجالات عملها ونشاطها تجمع بين القلاع الحصينة، والمكتبات العامرة، والمدارس والزوايا، ومراكز البحث والتحقيق، ونوادي الشعر والأدب. إنها حضارة تتسم بالثقة والجد، والدعابة وخفة الروح، إنها تملك الشدة واليسر، وقوة المراس ولين الجانب، وإنَّ وسيلة إبدائها لخواطرها وآرائها، ونبوغها وكمالها؛ اللغة العربية، والفارسية، والأردية، والهندية)[1].

إن من أبرز ما فطن إليه المسلمون الهنود للمحافظة على هويتهم الثقافية هو تأسيس المدارس، والكليات، والجامعات الأهلية؛ من أجل تعليم أجيالهم. وقد أورد أسماء هذه المؤسسات التعليمية، إسماعيل أحمد ياغي وآخر؛ في كتابه (العالم الإسلامي الحديث والمعاصر)، الجزء الأول.

ومن مظاهر الثقافة الهندية الإسلامية التي أضافت بعداً جديداً للحضارة الهندية عموماً؛ المكتبات العامرة المليئة بالأدب، وفيها دواوين الشعراء في العصور الإسلامية المختلفة في الهند، والفن المعماري المتمثل في بناء المساجد، والقباب، والقصور، والآثار الأخرى المتميزة (... أهم مساهمة في تنمية الثقافة الهندية، هي التي قدمها الإسلام في مجال الفن المعماري، فإن شمال الهند من أقصاه إلى أقصاه، ملئ بالآثار الجميلة التي تشهد بعظمة الإسلام، وبالأثر الذي تركه في حضارة الهند)[2].

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج٢، ص٢٤٩.

(٢) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، مرجع سابق، ص٦٧.

أسماء بعض المراكز والمؤسسات التعليمية والثقافية الإسلامية في الهند

(١) في شمال الهند:

أ) دار العلوم في (ديوبند) وتصدر مجلتين إحداهما باللغة العربية وتسمى (دعوة الحق) (الآن تسمى بالداعي) وأخرى بالأردو. ولهذه الدار مكتبة ودار للإقامة.

ب) دار العلوم في (لكهنؤ) وتتبع ندوة العلماء، وتصدر ثلاث مجلات، منها الرائد والبعث الإسلامي وتصدران بالعربية وأخرى بالأردو.

ج) مدرسة الإصلاح، وتتبع ندوة العلماء.

د) الجامعة الرحمانية: في (بيهار).

ه) مدرسة مظاهر العلوم في لواء (سهارنبور) وتأسست عام ١٢٨٣هـ، وهي تشارك دار العلوم ـ ديوبند في العقيدة والمبدأ والشعار كما يقول العلامة الندوي.

و) المدرسة العالمية النظامية في (سهارنبور).

ز) المدرسة العلية في (لكهنؤ).

ح) الجامعة السلفية في بنارس (لم يوردها الكتاب المذكور أعلاه).

(٢) في غرب الهند:

أ) دار العلوم الأشرفية قرب بومباي.

ب) الجامعة الحسينية.

ج) الجامعة العربية الإسلامية.

(٣) في جنوب شرقي الهند:

أ) جامعة دار السلام في مدينة عمر أباد في مقاطعة مدراس، وتأسست في عام ١٣٤٣هـ.

ب) مدرسة الباقيات الصالحات، وتأسست في عام ١٣٠١هـ.

ج) المدرسة الجمالية، وتأسست في عام ١٣١٨هـ.

(٤) **في جنوب غربي الهند:**

أ) روضة العلوم.

ب) مدينة السلام.

ج) سلّم السلام.

(٥) **في وسط الهند (حيدر آباد):**

أ) الجامعة النظامية.

ب) الجامعة العثمانية، وتأسست في عام ١٣٠٦هـ.

(٦) **مدارس الشيعة:**

أ) الجامعة النظامية في (لكهنؤ).

ب) كلية الشيعة في (لكهنؤ).

(٧) **مدارس البوهرا** (طائفة من الإسماعيلية وتعني التاجر، ويقيم أكثرهم في بومباي)، وأهم مدارسهم المؤسسة السيفية في مدينة (سورت).

والمدارس المذكورة أعلاه تدرس بالعربية.

(٨) **الجامعات العصرية:** (وهي لا تتقيد بتدريس اللغة العربية):

أ) الجامعة الإسلامية في (عليكرة)، بالإضافة إلى مركز ثقافي له أهمية كبرى.

ب) الجامعة الملية الإسلامية في (دلهي).

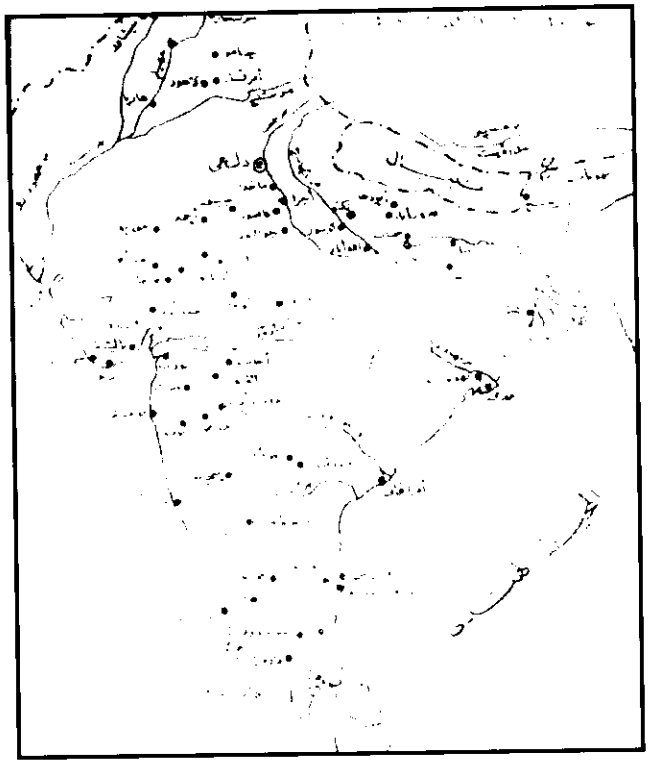

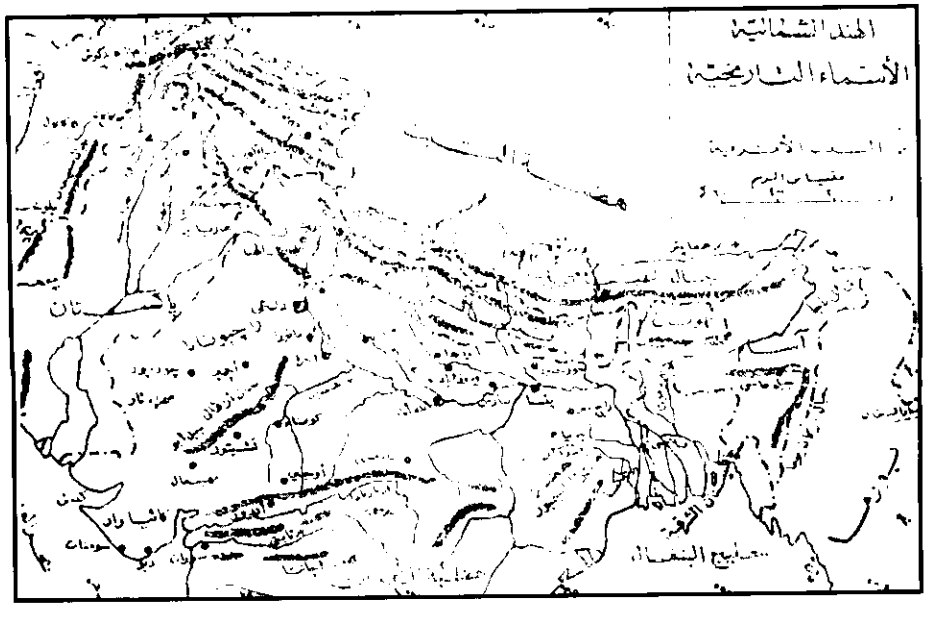
الهند الشمالية
الأسماء التاريخية

الفصل الثاني

حياة أبي الحسن الندوي

مدخل:

هذا الفصل سيتناول بالعرض والتحليل مسيرة حياة الندوي منذ ميلاده إلى وفاته، وسيتعرف على المؤثرات الرئيسة التي كان لها الفضل في تكوين شخصيته، وتشكيل عقله، ثم يعرض أعماله وآثاره؛ لإبراز الجانب العملي المتصل بفكره، وسيبيّن ذلك من خلال أربعة عشر جانباً، بيانها كما يلي:

أولاً: الأسرة

(١) **الاسم والنسب:** ينتمي إلى سلسلة النسب الكريم الذي ينتهي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وسياق نسبه كما يلي: هو أبو الحسن علي ووالده (السيد عبد الحي بن السيد فخر الدين الراي البريلوي بن عبد العلي بن علي محمد بن أكبر شاه بن محمد شاه بن محمد تقي الدين بن عبد الرحيم بن هداية الله بن محمد إسحاق بن محمد معظم بن القاضي أحمد بن القاضي محمود القاضي علاء الدين بن قطب الدين محمد الثاني بن صدر الدين بن زين الدين بن أحمد بن علي بن قيام الدين بن صدر الدين القاضي ركن الدين بن الأمير نظام الدين بن شيخ الإسلام الأمير قطب الدين محمد المدني بن رشيد الدين أحمد بن يوسف بن عيسى ابن السيد أبي الحسن علي بن أبي جعفر محمد بن القاسم بن أبي محمد عبد الله بن أبي محمد بن سيد حسن الأعور الجواد نقيب الكوفة بن السيد محمد الثاني بن أبي محمد عبد الله الأشتر بن السيد محمد صاحب النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثني بن الإمام الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب...[1]. واشتهر بأبي الحسن علي الحسني الندوي، والحسني نسبة الأسرة إلى سيدنا الحسن بن علي

---

(١) السيد قدرة الله الحسيني، السيد عبد الحي الحسيني: عصره - حياته - مؤلفاته، ط١، الشروق، جدة، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)، ص ص٧٤ - ٧٥.

رضي الله عنهما. والندوي نسبة إلى ندوة العلماء: الصرح التعليمي الذي تخرج فيه، وندوة العلماء أسسها الشيخ محمد علي المونجيري عام (١٨٩٠م) وسيرد الحديث عنها في موضعه لاحقاً.

(٢) **أصل الأسرة الحسنية في الهند:** كان أول من هاجر إلى الهند من أفراد هذه الأسرة الشيخ قطب الدين بن محمد المدني في عام ٦٠٧هـ من المدينة المنورة عن طريق بغداد. وقد احتفظت هذه الأسرة بفضائلها الموروثة والمكتسبة، كما حافظت على نسبها إلى حد المبالغة كما يذكر الشيخ أبو الحسن، ويبرر ذلك؛ بجوِ الهند وهيكلها الطبقي والاجتماعي فيقول: (وقد أفاد ذلك من ناحية الحفاظ على الخصائص والتقاليد السلالية إلى حد كبير، ولا سيما فقد بقيت العقائد الصحيحة محفوظة لم تنحرف عن الجادة، ولم تتمكن البدع والأعمال الشركية من التسلل والتسرب. غير أن انغلاق أفراد الأسرة في الزواج من الأشراف أثر سلباً على الصحة البدنية في الأجيال اللاحقة)[1].

(٣) **الميلاد:** ولد في ٦ محرم ١٣٣٣هـ الموافق (١٩١٤/١١/٢٣م) بقرية (تكية) وتسمى دار الشيخ علم الله النقشبندي في مديرية (راي بريلي) في الولاية الشمالية من الهند اترابردیش (Uttrarpardesh)، وتبعد هذه القرية نحو ثمانين (كيلو متراً) من لكهنؤ. وقد أنجبت هذه القرية الصغيرة بعده، وفي عهود مختلفة كبار العلماء والمجاهدين كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوي[2].

(٤) **الوالدان:** والده عبد الحي الحسني ولد في ١٢٨٦/٩/١٨هـ (١٨٦٩/١٢/٢٢م)، كان طبيباً حاذقاً ذا علم وفضل ونبوغ. اشتغل في

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص ص٣٢-٣٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٥.

ميدان الدعوة والتعليم من خلال وظيفته في إدارة الأمانة العامة لندوة العلماء. وكان قارئاً ينكب على التراث الإسلامي، وضروب المعرفة النافعة الأخرى. وكانت له مؤلفات قيمة، آثر كتابة أكثرها بالعربية كما يقول السيد قدرة الله الحسيني في كتابه (السيد عبد الحي الحسني: عصره ـ حياته ـ مؤلفاته)، وأبو الحسن الندوي في (مسيرة الحياة). أما مؤلفات السيد عبد الحي فمنها:

أ) **نزهة الخواطر**: وهو موسوعة علمية في ثمانية مجلدات، كتبها بالعربية في ثلاثين سنة، وترجم فيها لأكثر من أربعة آلاف وخمسمائة من العلماء والمؤلفين في الهند منذ الفتح الإسلامي إلى حين وفاته، وقد راجع من أجلها أكثر من ثلاثمائة كتاب بالفارسية والأردية والعربية ما بين خطية ومطبوعة.

ب) **الثقافة الإسلامية في الهند**: وهو دليلٌ مُستوعِبٌ لإنتاج علماء الهند في مختلف العلوم الإسلامية، والأدبية عبر القرون والأجيال، وهو بالعربية وقد تم نقله إلى الأردية. يقول الشيخ علي الطنطاوي عن (نزهة الخواطر) و(الثقافة الإسلامية في الهند): (لقد تعلمت من هذين الكتابين، ومن زيارة الهند منذ ثلاثين سنة أننا بجهلنا تاريخ الإسلام في الهند إنما نجهل ربع تاريخنا)[1].

ج) **كتاب (ياد أيام)**: كتبه بالأردية، وترجمته بالعربية (ذكريات من الماضي)، وهو في تاريخ ولاية (كجرات) الهندية، ويتحدث فيه عن حكم المسلمين فيها.

---

(١) علي الطنطاوي، في المرجع السابق، ص٩.

د) **كتاب (كل رعنا)**: كتبه بالأردية، وترجمته بالعربية (الزهرة الرشيقة) وهو في الشعر الأردوي وشعرائه، ويعتبر من المراجع المهمة في هذا الموضع، ويُدرس في كبريات الجامعات في الهند وباكستان في منهج الدراسات الأدبية، وغير هذا له كتب في التعليم الديني والإصلاح الخلقي والاجتماعي في الأردية، مع بعض الكتب في الحديث والفقه.

يذكر الشيخ أبو الحسن في كتابه (في مسيرة الحياة) بأن والده عاش في بيت يفقد كل متاع من الرخاء والرفاهية ورغد العيش. ويصف فرع والده من الأسرة الحسنية بأنه يغلب عليهم العلم الديني، فكان بيت جده لأبيه معروفاً ببيت العلماء، وكانت الكتب والتراث العلمي ينتقل إليهم جيلاً بعد جيل؛ لذا كان والده عبد الحي الحسني عالماً في الدين، ومشتغلاً بالحديث الشريف، وإماماً لمسجد الحي عندما كان أبو الحسن صبياً. وكان يعظ الناس ويعلمهم. وقد كتب رسالة في إصلاح ذات البين ـ بالأردية ـ بهدف الإصلاح بين فرعين من أسرته وقع بينهما نزاع ثم قطيعة، وقد أفلح في الإصلاح بينهما. وقد اشتغل بالتأليف وله مؤلفات عديدة[1].

تزوج والد أبي الحسن مرتين. وكان زواجه الأول من ابنة خاله: زينب بنت عبد العزيز الحسني، وقد توفيت في عام ١٣١٩هـ (١٩٠١م) وقد حزن عليها حزناً شديداً فرثاها بالعربية رثاءً يبين تفجعه عليها، ويدل على رقة شعوره ووفائه، يقول في بعض أبيات من مرثيته:

إلى الله أشكو من فراق وغُربة ... بُليتُ بها من بعد وصل وقُربة

فيا طول حزني وابتلائي بمحنة ... ويا عظيم خَطبي من أذاها وحسرتي

ويا حسرتي من وحدتي وتَحشمي ... ويا أسفي يا هم قلبي ولوعتي

---

(١) مستخلص من: المرجع السابق، ص ص ٤٠-٤٩.

إلى أن يقول:

رحلتِ وقد قامت همـوم نواحـب وغِبتِ، وقد نامت عيـون المسرة[1]

وكان قد رزق منها ابنه الأول الدكتور عبد العلي الحسني.

أما زواجه الثاني فقد دفعه إليه والده دفعاً، وكان من أم أبي الحسن وشقيقتيه، وكان في عام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م). وتوفي رحمه الله في عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) وأبو الحسن ابن تسع أو عشر سنين.

أما والدة أبي الحسن الندوي فاسمها: خير النساء بنت ضياء النبي الحسني. كانت كما يقول عنها ابنها أبو الحسن: (من السيدات الفضليات، والمربيات النادرات، تربت في بيتٍ فيه رخاء ورفاهية، ورغد عيش ووجاهة في الناس. وكانت ربة بيت بارعة مجتهدة في إعداد الأطعمة، ومع ذلك فهي من المؤلفات المعدودات، والشاعرات المطبوعات. كانت ضمن خمسٍ من الحافظات للقرآن الكريم هي وأختها صالحة. وكان مما أكرمها الله به حسن الصلاة والغرام بالدعاء والابتهال، وإيثار الدِّين على الدنيا فيما يتصل بأولادها وبمستقبلهم.. ونشرت لها عدة كتب ومجموعتان للشعر، وكله مناجاة لله تعالى، ودعاؤه، ومدائح للنبي صلى ﷺ. وقد صدرت لكتابها (في حسن العشرة وآداب الاجتماع) أكثر من ثلاث عشرة طبعة، ولابنها أبي الحسن كتاب في سيرتها بالأردو واسمه (ذكر خير)، وقد أشرفت على مراقبته وتربيته الدينية بعد وفاة والده؛ لأن أخاه كان بعيداً عنهم يدرس الطب في لكهنؤ، وكانت وفاتها في ١٣٨٨هـ[2].

(٥) **الإخوة:** أخوه الأكبر هو الدكتور عبد العلي الحسني، رئيس ندوة العلماء لمدة ثلاثين سنة. تولى تربية أخيه وتثقيفه بعد انتهائه من دراسة الطب بعد

---

(١) السيد قدرة الله الحسيني، العلامة عبد الحي الحسني - عصره - حياته - مؤلفاته، المرجع نفسه، ص١٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٤.

وفاة والده. وقد كان في حضانة أم أبي الحسن بعد وفاة والدته، فأصبحت له أماً ثانية بعطفها ورعايتها كما يقول الشيخ أبو الحسن (في هامش صفحة ٤٤ من كتابه في مسيرة الحياة، ج١). وكان عبد العلي الحسني ذا ثقافة دينية وعصرية، وكان واسع الاطلاع. توفي في ١٣٨٠/١١/٢١هـ (١٩٦١/١١/٧م)[١].

أما أخت الندوي الكبرى وهي: أمة العزيز: ولدت سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م)، وكانت سيدة صالحة كثيرة العبادة، لها كتاب في السيرة النبوية، ورسائل أهمها (سيرة خديجة رضي الله عنها)، و(سيرة أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما)، وهي أم لأربعة أبناء، كلهم علماء وأدباء وأصحاب مؤلفات إسلامية. وأخته الصغرى اسمها: أمة الله تنسيم والمعروفة باسم عائشة.. كانت أديبة وشاعرة، لها (قصص الأنبياء) باللغة الأردية، وكتاب صغير في السيرة النبوية. ترجمت (رياض الصالحين) للإمام النووي، وأسمته (زاد سفر)، وقد نقلت كتبها إلى اللغة الهندية التي قررت كمواد تعليمية في عدد من المدارس الإسلامية بالهند. توفيت سنة ١٣٩٦هـ.

(٦) **الأخوال**: عبيد الله الحسني، تأثر به في تربيته الخلقية والعقلية وهو صغير، ويصفه بأنه كان صالحاً يحفظ القرآن الكريم، وكان إماماً لمسجد الحي في الصلوات الخمس، وكان ثرياً يملك المزارع، ويقوم بالإشراف عليها. يقول عنه: (إذا رأيته في المسجد تظن أن لا شأن له بالدنيا، وإذا رأيته في مراقبة حقوله ومزارعه تقول: إنه يشق عليه التزام الصلوات)[٢].

وخالته وتدعى صالحة بنت ضياء النبي الحسني، كانت تحفظ القرآن الكريم وتنشد القصائد الدينية بصوت جميل مؤثر على السيدات والأطفال،

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص٧٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٨.

وتدعوهم إلى طاعة الله، ومحبة رسوله، واتباع سنته، وقد كان أبو الحسن يحضر هذه التجمعات الإنشادية والدينية وهو صغير (راجع: في مسيرة الحياة، ج١) من خلال سيرة أفراد الأسرة الحسنية الأقربين لأبي الحسن الندوي، ومن هنا نستطيع القول بأنهم كانوا مثالاً في التمسك بالدين والتقوى، وكانوا عظاماً في العلم والفكر، وكباراً في الأخلاق والعمل، كيف لا وقد ضمهم بيت لحمته وسداه الدين والجهاد، والعزيمة والدعوة، واكتنفتهم أسرة تنحدر من السلالة النبوية الشريفة وتتمسك بالموروثات العقائدية، والأخلاقية وخصائص البيت الكريم، وتعتز بها، وتعدها أغلى نعمة بعد الإيمان. وقد اكتسب أبو الحسن تلك الصفات ونشأ عليها مشمراً عن ساعد الجد للخدمات الدينية والعلمية وكان لثلاثة منهم الدور الرئيس في تلك التربية الصالحة؛ ما تحدث أبو الحسن عن تربيته الأولى إلا وذكرهم بكثير من الوفاء والعرفان والشكر، ألا وهم: والده، ووالدته، وأخوه الأكبر.

أما والده فكان يصطحبه إلى عيادته وكان صبياً صغيراً، يتذكر كيف كان الناس يطلبون منه أن يكشف عليهم، وكيف كان يحاكي والده بل يصف لهم الدواء أحياناً، وكيف أن آخرين منهم يطلبون منه أن يعظهم، قال في أمر الوعظ: (فكنت أتلوا عليهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) سورة التحريم، ثم أترجم هذه الآية إلى اللغة الأردية، وكل ذلك كان يحدث بنوع من المداعبة. والآن عندما أقرأ هذه الآية الكريمة في هيئة التعليم الديني ـ التي أرأسها ـ وفي احتفالاتها حول ضرورة التعليم وأهميته والتأكيد عليه، تعود إليَّ تلك الذكريات الحلوة، ويمتلئ القلب حمداً وشكراً لله العلي القدير)[1].

---

(١) المرجع السابق، ص٦٠.

أما أمه (بعد وفاة والده) فكانت لا تتهاون معه في أمر التخلف عن الصلاة في المسجد، وإذا ما رأت منه تراخياً أو كسلاً تجشمت المشقة باصطحابه إلى المسجد (وهو صبي) حتى يفرغ من صلاة الفجر مع الجماعة ثم يعودا. وكانت لا تقبل التهاون في قراءة القرآن ومراجعته، ولا تسامحه عند الإساءة لواحد من أترابه خاصة إذا ما كان من طبقة اجتماعية ضعيفة، وفي هذا يقول: (إذ تعديت مثلاً على أبناء الخادم أو الخادمة، أو أي طفل من أطفال الفقراء والمساكين، أو عاملته بالعُجب والكبر، أو احتقرته، عاقبتني على ذلك وأمرتني بأن أطلب منه العفو، وأتصاغر أمامه مهما شعرت في ذلك بإهانة وجرح كرامة، وقد انتفعت بذلك كثيراً، واستولى عليّ الخوف من العجب والظلم والعدوان، وبدأت أشعر بأن إيذاء شخص، وكسر قلبه واحتقاره، كبيرة من الكبائر؛ ولذا سهل عليَّ ـ دائماً ـ الاعتراف بالخطأ والإقرار بالغلط..)[1].

أما عن الأجواء الروحية في منازل أسرته الكبيرة فيقول عنها في مسيرة الحياة: (إنه رأى خمساً من نساء الأسرة الحافظات لكتاب الله ومنهن والدته وخالته، ورأى كيف يكون اللجوء إلى القرآن، وسيرة النبي ﷺ، والسلف الصالح، والإنشاد الديني عندما تصيب الأسرة جائحة من الجوائح، أو مصاب في عزيز، يتحدث عن أثر ذكر الجهاد، وذكر غزوات الإسلام والشهادة في سبيل الله... وكان من أعراف الأسرة، وتقاليدها الطيبة أنه إذا أصيب أهل البيت بحادث حزن، أو أسى، وفجعت القلوب، وضاقت النفوس، أو ألمت بنا ملمة، اجتمع أفراد الأسرة في بيت من بيوتها، وتشاغلوا ساعة أو ساعتين بإنشاد منظومة الجهاد، وغزوات الصحابة التي جاءت في "فتوح الشام" للواقدي، وقد ترجمه في الشعر الأردي أحد شيوخ أسرتنا..، واشتملت هذه المنظومة، أو الملحمة الإسلامية على خمسة وعشرين ألف بيت من الشعر يمتلئ قوة ودفقاً وحماساً، ويصور

---

(١) المرجع نفسه، ص ص ٧٢-٧٣.

المعارك الحربية كأنها قائمة على قدم وساق، وتغلي الدماء غيرة وحمية، ويذكر الشهادة بصورة تضطرب بها القلوب، وتتمنى الموت في سبيل الله، وينسى الإنسان في خضم آلام الصحابة والمجاهدين وجراحاتهم، همومه وأحزانه..)[1]. وكذلك كان دور أخيه الدكتور عبد العلي الذي تمثل في المراقبة والتوجيه وخاصة في الأمور التالية:

أ) مخالطة الأتراب الناشئين على تربية صالحة.

ب) حثه على الانتظام في الصلاة مع الجماعة في المسجد.

ج) التأكد من مطالعة مختارات من الكتب التي تناسب سنه الصغيرة، كان ينتقيها له من مكتبته الخاصة فتحقق الهدف؛ فأحب المطالعة، وانكب على القراءة في كتب التراث الديني واللغة العربية.

هكذا ساهم أفراد بيت الأسرة الحسنية في تنشئة أبي الحسن بتربية إسلامية، ولا غرو فالأسرة هي الوحدة الأولى في التنشئة والتطبيع الاجتماعي في ميدان التربية: (تبدأ التربية الإسلامية في البيت عن طريق المحاكاة والتلقين؛ ذلك أن الطفل ينشأ قرب آبائه يقرؤون القرآن، ويقيمون الصلاة، ويصومون رمضان، وغير ذلك من الشعائر الدينية المختلفة، فتنطبع في ذهنه هذه الصورة، ويتأثر خطاها بالتقليد، فإذا لم يتأثر بالمحاكاة دُفع على تعلم القرآن وإلى إقامة الصلاة دفعاً، وأمر بها أمراً، وكلف بها تكليفاً..)[2].

ثانياً: التعليم والمعلمون

الخطوات الأولى للتعليم كانت في الصبا المبكر في منزل والده، حيث بدأ بحروف الهجاء، ثم مطالعات في الكتب الصغيرة بالأردية (اللغة الأم)، ثم بداية

---

(١) المرجع السابق، ص٧٣، وشخصيات وكتب، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م)، ص١٢٧.

(٢) أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، طبعة دار المعارف، القاهرة بدون تاريخ، ص ص٩ - ١٠.

تعلم الفارسية، وكان له مدرس حاذق وذو تجربة في تدريسها. وتعلم الخط وكان من المقررات المهمة في المدارس الهندية آنذاك. وفي خلال تلك الفترة طالع مؤلفات والده التي أعدها للصغار، ومنها (تعليم الإسلام) و(نور الإيمان)، وكان والده هو المشرف الأول على تعليمه حتى سن التاسعة، وقد انتقل دور المراقبة والمتابعة في التعليم والتربية الدينية بالمنزل إلى والدته بعد موت أبيه، وكانت ترجو أن يكون عالماً من علماء الدين الإسلامي. أما أخوه عبد العلي الذي عَبَّ من الثقافة الدينية والعصرية، واكتسب خبرة عميقة بمقتضيات العصر، فقد رأى أن أخاه ميسراً لتعلم اللغات؛ لذا وجهه لتعلم العربية والإنجليزية عوضاً عن الاستمرار والتعمق في الفارسية وآدابها التي بدأ نورها يخبو في الهند خاصة وأن أبا الحسن كان قد حصل منها ـ في تلك السن المبكرة ـ على ما يمكنه من مطالعة كتب الطبقات والرجال؛ والحقائق والمعارف، وفهم دواوينها الشعرية. أما الإنجليزية التي بذل فيها أبو الحسن أقصى جهوده وهو صغير، واستطاع أن يتعرف على التراث الإنجليزي، وآدابه، وتاريخه، ويطالع كتبها بسهولة، ويتحدث بها في طلاقة فقد رأت والدته ألا يستمر في تعلمها فينصرف عن اللغة العربية، والعلوم الشرعية. أما العربية فقد تابع دراستها على يد الشيخ خليل بن محمد اليماني الأصل، الهندي المولد والنشأة، وذلك في أواخر عام (١٩٢٤م) وكان عمره اثنتي عشرة سنة، وكان الشيخ خليل يعمل مدرساً للعربية وآدابها، والعلوم الدينية أيضاً. وكان يدرس العربية مع أبي الحسن طالب آخر، وقد اختار لهما أستاذهما كتاباً للقراءة، وهو من الكتب المقررة في مصر لتعليمه في المدارس الابتدائية وكان يختار لهما كتباً أخرى، ويعلمهم النحو من أحد الكتب القديمة السهلة، وكان هذا الأستاذ يلزم تلميذيه التكلم بالعربية أثناء الدروس، فإذ تكلم أحدهما بالأردية، أو أخطأ بالعربية دفع بعض الفلوس القليلة غرامة عن خطئه، وكان يحرص في تعليمهما على صحة القراءة مع الفهم، ويلزمهما حفظ بعض النصوص الشعرية والنثرية، ثم يختار لهما بعض الكتب لقراءتها والاستزادة من فهم العربية

وتذوقها، والاطلاع على تراثها من كتب: (نهج البلاغة)، و(مقامات الحريري) و(دلائل الإعجاز) و(القصائد العشر)، ويذكر الشيخ أبو الحسن الشيخ خليل واصفاً إياه بمهارته العالية في التذوق الصحيح للعربية وآدابها، وقدرته الفائقة في نقل ذلك التذوق إلى تلاميذه (وهو واحد منهم) حين تعلم العربية وتذوق أدبها وأحبها في عمر مبكر.

ومن المصادر المهمة التي استقى منها أبو الحسن الندوي ثقافته، مكتبة والده في منزل الأسرة، يقول: (... لقد كانت بيئة الوالد بيئة علمية تأليفية محضة، فكان يشتري كثيراً من الكتب، وكان المؤلفون والكتاب يبعثون بمؤلفاتهم إليه أيضاً، فكان ينظر في كثير من هذه الكتب والرسائل والمجلات نظرة، ثم يضعها في جانب ويستغني عن بعضها، فكنت أفتش في هذه الكومة - التي كان يستغني عنها الوالد - عن الرسائل والمجلات، وفهارس الكتب، والمكتبات التجارية، وأختار منها، وكان هناك دولاب مفتوح في صحن البيت، فأضع هذه الكتب فيه وأصنفها، وقد هيأت لافتة لهذا الدولاب كتبتُ عليه: "مكتبة أبي الحسن")[1].

كما ذكر بأنه كان يجتهد في شراء الكتب متى ما وقع في يده مبلغ من المال؛ وذلك إشباعاً لغريزته في امتلاك الكتب وزيادة مكتبته الخاصة في منزل والده، ولشغفه بالمطالعة فيها وهو في تلك الفترة المبكرة من العمر.

ومن شيوخه في فترة الصبا الذين لا ينسى جهدهم واهتمامهم أحد أعمامه ويدعى عزيز الرحمن، وكان يسكن في قريتهم (راي بريلي)، وكان يدرسه العربية إذا ما زار القرية برفقة أسرته ويعلمه من الكتب التي كان يدرسها مع أستاذه الشيخ خليل اليماني[2].

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص٦٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٧٨.

لقد أظهر الندوي ميلاً ونبوغاً مبكراً في مجال تعلم اللغات: الفارسية والإنجليزية، والأردية وآدابها. وقد انصرف إلى دراسة الأردية ما بين (١٩٢٧-١٩٣٠م) وعكف عليها واطلع على مصادرها، ومواردها، وأسلوبها، والاتجاهات الحديثة فيها فأتقنها وبرع فيها[١] علماً بأنها اللغة الأم (Mother tongue) بالنسبة له. أما العربية فكان ميله إليها شديداً ونبوغه فيها أوضح. وقد أتيحت له فرصة ثمينة (بعد أن أصبح أخوه د. عبد العلي مساعداً للأمين العام لندوة العلماء) برؤية كثير من العلماء، والأدباء، والشعراء من داخل الهند وخارجها، ومن العالم العربي بصفة خاصة، وكان يتحدث إليهم، وكانوا يعجبون بطلاقة لسانه وسهولة تعبيره، ويتنبؤون له بمستقبل زاهر، ويشجعونه على ذلك وهو ما زال ابن اثنتي عشرة سنة.

مارس الندوي الألعاب الرياضية في مرحلة الصبا، وقد شارك في مباريات ومسابقات رياضية مع ابن عمه الذي كان يجيد لعب الهوكي (Hokey) وكان مولعاً بها، غير أنه لم يتجاوز الحد المتوسط فيها كما ذكر، فانصرف عنها؛ لأنه بحسب رأيه لن يبلغ فيها مستوى التفوق، علاوة على ما رأى من سوء طباع بعض المشاركين من الأولاد في مجتمع الرياضة في ذلك الوقت[٢]. وهنا يلاحظ أثر التنشئة الصالحة التي غرست فيه حب التفوق، والابتعاد عن جماعة السوء.

إن اكتشاف الموهوبين من النشء (من أمثال أبي الحسن عندما كان فتىً يافعاً)، وحسن توجيههم، وتشجيعهم، والاهتمام بهم، يساعد في إعداد نوابغ من العلماء والمفكرين يساهمون في رفعة أوطانهم وتقدم أممهم، وقد تيسر ذلك للندوي حيث وجد الرعاية وحسن التوجيه والإرشاد من أسرته ومعلميه ومن كبار قادة الفكر، كما تيسر للطالب أبي الحسن الندوي بعد نجاحه المتميز في السنة

---

(١) محمد اجتباء الندوي، أبو الحسن الندوي: الداعية الحكيم والمربي الجليل، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م)، ص٣٥.

(٢) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص٦٢.

الأولى بالجامعة في العطلة الدراسية (١٩٢٩م) أن يسافر إلى مدينة لاهور جائزةً له على النجاح، وصلة لبعض الأرحام هناك، وكانت لاهور في ذلك الوقت من أكبر المدن الثقافية، والأدبية، والصحفية في شبه القارة الهندية. وفي تلك الرحلة صحبه أحد أعمامه ويدعى السيد طلحة إلى عالم بارز في أوساط لاهور آنذاك، هو (البروفيسور) محمد شفيع عميد الكلية الشرقية بلاهور، والذي نال لقب (نجم باكستان) فيما بعد لمكانته العلمية والأدبية؛ وذلك لأخذ رأيه في اختيار الخط الذي يختاره أبو الحسن في التعليم، وكان لذلك المربي ملكة راسخة في العربية، ولعلها ترجع كما يقول الندوي إلى دراسته الأولى في المدارس الأهلية والدينية، وكان قد قرأ بعض مقالات كتبها أبو الحسن؛ فأشار عليه بأن يتخذ العربية موضوعاً له ويركز عليها، ويختص فيها، وأن يحاول النبوغ وبلوغ الكمال فيها خلافاً لآراء كثير من المدرسين والدارسين في الكليات والجامعات والمتخصصين في شؤون التعليم، والذين كانوا يشيرون عليه بالتخصص في الإنجليزية وتجويدها استعداداً للوظائف الحكومية المحترمة التي كان لها نفوذ عجيب وسلطة كبيرة في الهند[1]. وقد كان لتلك النصيحة أثرها في أبي الحسن حيث زاد اهتمامه بالعربية؛ لإتقانها والبروز فيها. وفي تلك الرحلة التقى الندوي بالشاعر الكبير الدكتور محمد إقبال، الذي احتفى به، وكان قريبه قد قدمه إليه بأنه ابن مؤلف (كُلِ رعنا) وهو من كتب والد أبي الحسن الذي سبقت الإشارة إليه آنفاً. وقد ترجم فيه لكثير من الشعراء المُجيدين بالأردية، وكان للكتاب شيوع وأهمية في الهند، وعرف الشاعر إقبال بأن أبا الحسن ـ وكان عمره في تلك الرحلة ما بين ١٥- ١٦ سنة ـ قد ترجم أشعاره (أشعار إقبال) نثراً للعربية؛ فشجعه، وتنبأ له بمستقبل باهر[2].

---

(١) المرجع السابق، ص٩٣.

(٢) انظر: محمد حسن بريغش، "الشيخ الندوي حامل لواء العربية في شبه القارة الهندية" البعث الإسلامي، العدد ٨، لكناؤ، الهند، ربيع الثاني ١٤٢١هـ (يوليو ٢٠٠٠)، ص٥٥.

تلقى الندوي مزيداً من الدروس التخصصية في العربية وآدابها فتعمق فهمه لها وحبه إياها، وذلك عندما تتلمذ على يدي الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي. وكان من علماء اللغة الأفذاذ جاء بدعوة من الدكتور عبد العلي الحسني للتدريس في ندوة العلماء، وكان قد عمل من قبل في دمشق، والمدينة المنورة.

ثم استمر الندوي في دراسة الحديث الشريف، والتفسير، وبقية العلوم الإسلامية حتى توسعت ثقافته، وزادت معارفه، ومن شيوخه في دار العلوم بندوة العلماء شيخ الحديث حيدر حسن خان ـ تلميذ العلامة حسين بن محسن الأنصاري ـ الذي قرأ الندوي عليه: صحيحي البخاري ومسلم وسنن الترمذي وسنن أبي داوود، وشيئاً من تفسير البيضاوي، وقد أعطاه إجازة في الحديث النبوي بخط يده في سنة (١٩٢٩م). وخلال وجوده في دار العلوم بندوة العلماء قرأ بعض أبواب الفقه على الشيخ شبلي الفقيه، ثم تلقى مزيداً من الدروس في الفقه على الشيخ إعزاز علي، ودروساً في علوم القرآن والتفسير على مدير الجامعة الملية الإسلامية في دلهي حيث كان ضيفاً على أخيه، ثم تنقل في طلب العلم إلى دار العلوم ـ ديوبوند؛ لتلقي المزيد من الدروس في الحديث على شيخ الإسلام حسين أحمد المدني، وفي (١٩٣٢م) تتلمذ على أكبر عالم لعلوم القرآن وتفسيره وهو الشيخ أحمد علي اللاهوري، وكان له مقررات خاصة ودراسات متقدمة للمتخرجين من المدارس والجامعات الإسلامية في الهند[1].

تلك كانت فترة التحصيل في العلوم العربية والإسلامية بدءاً من بيت أسرته الذي كان بيت علم توارث فيه العلم الأبناء عن الآباء، ثم واصل مسيرته على يد شيوخ هم من نوادر المعلمين الذين كانت لهم قدم راسخة في العلوم العربية والإسلامية، والذين كانوا يطبعون تلاميذهم النجباء بطابعهم ويصبغونهم بأذواقهم وأفكارهم. أما ندوة العلماء معهده العامر الذي يكن له كل الود

---

(١) محمد اجتباء الندوي، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م)، ص ص ٣٦-٣٧.

والوفاء والاعتراف بالجميل، ولا غرو فهو تلميذ تلاميذ الندوة كما يقول عن نفسه: (كان من مقتضيات تلك الفترة من العمر أن يكون هناك انسجام بيني وبين طبيعة ندوة العلماء الفكرية، والدينية، والثقافية التي تمثلها وتحمل لواءها؛ ولذا لم اضطر لتكيفي مع هذه البيئة ووضع نفسي في مكانها اللائق فيها إلى هجرة عقلية، أو رحلة ذهنية طويلة، بل شعرت كأني انتقلت من حجرة أو زاوية في البيت إلى زاوية أخرى، وقد كان من الأسباب وراء ذلك ـ أيضاً ـ أنني نشأت من البداية النشأة العقلية العلمية في جو ندوة العلماء وفي ظلها، وقد تلقفت أذني من الصغر أحاديث، وروايات عرفتني بتاريخ ندوة العلماء، ورجالها، ومؤسسيها الكبار، ووقفتني على آرائها وأفكارها، فقد كان مُربي وولي أمري أخي الأكبر، وأستاذي الشفوق خليل بن محمد اليماني، وأستاذي الآخر: هو عمنا طلحة الحسني الذي تناول في بعض الجوانب تربيتي العقلية، كان كل واحد منهم خريج الندوة، والمقتطف من ثمارها، والمستفيد منها)[1].

ويتحدث الشيخ علي الطنطاوي عن ندوة العلماء ومكانتها بين الجامعات الإسلامية في أسلوب أدبي بليغ، يقول: (... أسست من أول يوم على التقوى، رسم لها الطريق السوي فمشت فيه، لا الطريق انحرف بها عن الغاية، ولا هي قد تنكبت الطريق، كان طريقاً وسطاً بين الأزهر بعد ما شاخ وتخلف شيئاً قليلاً عن الركب، ومعهد "ديوبند" في الهند الذي أقيم على غراره، ومشى يتبعه في مساره، وبين جامعة "عليكره" التي أنشأها السر أحمد خان، لتساير الزمان، فلم تجمد الندوة جمود ديوبند والأزهر القديم، ولم تَسِلْ وتَمُعْ ميعان "عليكره"، بل أخذت من طريق الأمور بأحسنها، وكانت تجربة كتب الله لها النجاح)[2].

إن الجمع بين العلوم الدينية والدنيوية مع الاهتمام بتغليب العلوم الدينية في التعليم، اتجاه غالب، ويقره المعتدلون من المفكرين المسلمين الهنود، يقول مولانا وحيد الدين خان: (المسلمون عليهم الجمع بين المعرفة الدينية والدنيوية، مع التسليم بالفرق في درجة الأهمية، إذ إن علوم القرآن والحديث يمثلان الهدف

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص ص ١١٢-١١٤.

(٢) تقديم علي الطنطاوي للمرجع نفسه، ص ص ١١-١٢.

الرئيس في حياة المسلم؛ لأنه بدونهما لا يعرف ما يجب فعله في هذه الدنيا؛ ليحقق النجاة الأبدية في الآخرة)[1].

ثالثاً: العمل بالتدريس، والإطلاع الواسع، وبداية الكتابة

بعد تخرج الشيخ أبي الحسن في ندوة العلماء متخصصاً في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية وهو ابن عشرين سنة، تم تعيينه مدرساً في دار العلوم بندوة العلماء في (أغسطس ١٩٣٤م)، وقد حكى طرافة الموقف الذي وجد نفسه فيه حيث قال بأنَّ طلابه الذين بدأ معهم مشوار التعليم كانوا في الصف السادس أو ما يعادل السنة الثالثة العالية، وكان أكثرهم أكبر منه سناً أو مثله في العمر، وأنهم كانوا يدرسون مادة الأدب والتفسير على يدي مدرس عالم حاذق، وقد وصفهم بالذكاء وحسن الاستعداد للدراسة؛ لذا كان عليه بذل المزيد في تمكنه من المواد التي يدرِّسها فانكب على بعض المراجع الأساسية التي منها:

(١) تفسير الكشاف للزمخشري.

(٢) معالم التنزيل للبغوي.

(٣) المدارك للنسفي.

(٤) روح المعاني للألوسي.

(٥) ترجمات القرآن لأبي الكلام آزاد.

وفي أثناء اشتغاله بالتدريس أبت نفسه ألا تنغلق دراسته ومطالعته على كتب الأدب والعلوم الشرعية دون غيرها، يقول السيد عبد الماجد الغوري: (... فاتجه إلى مطالعة كتب التاريخ والفكر التي دفعته لاختراق حدود الهند إلى العالم الإسلامي والاهتمام بقضاياه وحركاته)[2]. ومن الكتب التي قرأها وكان لها أثر عظيم على توسيع مداركه وزيادة ثقافته:

---

(1) Maulana Wahiduddin Khan, The Teachings Of Islam, Good – Wond books, Nizamuddin, New Delhi, (2001), P.P61-62

(٢) السيد عبد الماجد الغوري، أبو الحسن الندوي – الإمام المفكر والداعية الأديب، ط ٢، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م) ص ص ٤٨-٤٩.

(١) (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) و(ظهر الإسلام) لأحمد أمين.

(٢) كتاب (أم القرى) لعبد الرحمن الكواكبي.

(٣) كتب ورسائل المودودي: (كيف تقوم الحكومة الإسلامية) و(المسلمون والصراع السياسي الراهن) و(الحجاب) و(الربا) وغيرها.

(٤) كتاب (مستقبل المسلمين الزاهر) لطفيل أحمد.

(٥) (البحث عن الحقيقة) لغاندي.

(٦) (قصتي) لجواهر لال نهرو.

كما قرأ كتباً أخرى عديدة ساعدته على فهم الحضارة الغربية ونظرتها إلى الحياة والإنسان[١] ومنها:

(1) (History of European Morals) لمؤلفه ليكي (Lecky).

(2) (The Decline and Fall of Roman European) لجيبون (Gibbon).

(3) (Conflict Between Religion and Science) لدريبر

(4) (Islam at the Crossroads) لمحمد أسد

وقد استفاد كذلك من المجلات والصحف التي كانت ترد إلى دار المطالعة لجمعية الإصلاح بدار العلوم ندوة العلماء من البلاد العربية: من مصر، والشام، والحجاز، والعراق، وتعرَّف على عدد من الكُتّاب وأُمراء البيان وأصحاب الفكر، ومما كان يطالعه منها على سبيل المثال:

(١) مقالات مجلة (الفتح) الدافقة بالحيوية والحماس[٢].

(٢) مقالات أبي الأعلى المودودي في مجلة (ترجمان القرآن) التي تصدر في لاهور آنذاك والتي (تجمع بين التعبير عن أفكار الطبقة المثقفة وتلبية حاجات العصر وضروراته)[٣].

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٨.

(٢) المرجع السابق، ص٤٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٩.

(٣) (الثقافة) لأحمد أمين.

(٤) (العرفان) مجلة صادرة من صيدا.

(٥) صحيفة (أم القرى) الصادرة من مكة المكرمة.

(٦) صحيفة (فتى العرب) الصادرة من دمشق.

(٧) صحيفة (الجامعة الإسلامية) الصادرة من فلسطين، وهي لسان حال الحاج أمين الحسيني.

(٨) صحيفة (الهلال) التي يكتبها أبو الكلام آزاد في الهند.

وقد أتاحت له فرصة العمل بالتدريس أن يساهم مع زميله الشيخ مسعود عالم الندوي في تحرير صحيفة (الضياء) التي تصدر باللغة العربية، وكانت لسان حال ندوة العلماء، كما شارك في تحرير جريدة (الندوة) وقد ترأس تحريرها فترة من الزمن.

ونُشرت له أول مقالة باللغة العربية عن (الشهيد أحمد بن عرفان) أرسلها أستاذه الدكتور تقي الدين الهلالي إلى صحيفة (المنار) في مصر عام (١٩٣١م)؛ فأعجب بها رشيد رضا ونشرها في رسالة مستقلة بإذن من أبي الحسن الندوي، ثم تتابعت مقالات ورسائل وكتب أبي الحسن الندوي فيما بعد. وقد كانت فترة عمله في التدريس التي امتدت لعشر سنوات منذ (أغسطس ١٩٣٤م) قد أفاد منها كثيراً، فكان خير مدرس، وخير موجّه، شارك في وضع المناهج وطرق التدريس وكانت له آراء أفادت منها العملية التعليمية في دار العلوم ندوة العلماء سيتم تناولها في موضعها لاحقاً.

رابعاً: أهم الكتب التي تأثر بها أبو الحسن الندوي

(١) **مذكرات والده عبد الحي الحسني:** يقول في كتابه (شخصيات وكتب): (بأنه عثر على مذكرات والده والتي كانت برنامجاً يومياً للرحلة التي قام بها في أيام الدراسة عام ١٨٩٤م للاستفادة من كبار العلماء والمشايخ، وزيارته للأماكن الأثرية التاريخية في مدينة دلهي، ونواحيها من المواقع

والمراكز الدينية والعلمية، وقد أثرت تلك المذكرات في نفسه وقلبه تأثيراً بليغاً رغم بساطة ألفاظها وسهولة تعبيرها، وقد كان من فضل مذكرات والده عليه حب العلماء الربانيين، ومن هؤلاء إمام الجهاد الإسلامي الأخير في الهند أحمد بن عرفان، كما وجهته إلى الاطلاع في كتب الأدب، والشعر، والقصص، والروايات فذاق حلاوة ما فيها)[1].

(٢) **(تاريخ كجرات) لوالده عبد الحي الحسني**، و(كجرات) منطقة في شمال الهند، كتب المؤلف في تاريخها بأسلوب أردي رصين رشيق، جمع فيه الكاتب جدية الأسلوب التاريخي مع رقة التعبير والطلاوة[2].

(٣) **(فتوح الشام للواقدي) لعبد الرازق الحسني**، أحد أفراد أسرة الندوي (عم والده)، ذكرنا هذا الكتاب عند الإشارة إلى الأجواء الروحية التي كانت تعيشها أسرته في المناسبات وخاصة عند نزول المصائب، ويصف تلك الملحمة الشعرية التي احتوى عليها الكتاب في لغة الأردو بأنها كانت في غاية القوة، والعذوبة، وصدق التصوير، وبراعة التعبير، بحيث إذا أنصت إليها الشخص امتلأ قلبه إيماناً وحماسة، وتحركت فيه الحمية الدينية، والتهبت العاطفة الإسلامية، ويصف الندوي كيف كانت الأناشيد التي كانت تنشد من ذلك الكتاب تؤثر في قلبه ـ وهو صغير ـ أكثر من ألف كتاب كما يقول. وقد حبب إليه ذلك الإنشاد شخصيات الصحابة، والمجاهدين غاية الحب، ورفع منزلة الجهاد في عينه. ويذكر بأن كل ما قرأه بعد ذلك من بحوث، ومناقشات، وشبهات للمستشرقين، والمستغربين لم يقلل من قيمة الجهاد في سبيل الله في نفسه، ولم تحم حوله شبهة؛ وذلك لتمكن ما وقع في قلبه منه وهو صغير[3].

---

(١) أبو الحسن الندوي، شخصيات وكتب، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) ص١٥٧.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٣.

(٣) المرجع السابق، ص ص ١٢٧-١٢٩.

(٤) **كتاب (قيام الليل) لمؤلفه محمد بن نصر المرزوي:** المؤلف أحد تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل، خلاصة محتوى الكتاب أن مؤلفه عرض أخبار السلف الصالح، وقصصهم، وتدبرهم للقرآن الكريم، وفهمهم له، وجمع فضائل قيام الليل بطريقة بديعة مؤثرة. ومن خصائص الكتاب كما يرى الشيخ أبو الحسن الندوي ما يلي:

أ) يخاطب العقل ويؤيد ما يذكر بالأدلة.

ب) يضرب على أوتار القلب، ويمس سويداء النفس.

ج) يرى أن الكتاب يفيد من يعكف على مطالعته من الشباب، ويكون خير مرب لهم.

(٥) **(تعليم المتعلم في طريق التعلم) لبرهان الدين الزرنوجي،** ذكر أحمد عباد الوحيدي في بحث أعده لنيل شهادة الماجستير في الجامعة الأردنية عام (١٩٩٠م) عن فكر الزرنوجي التربوي كما أورد د. محمد حسن العمايرة في كتابه (الفكر التربوي الإسلامي) ما يلي: (ومؤلف الكتاب حنفي المذهب يستشهد كثيراً بأقوال الإمام أبي حنيفة النعمان، وبأقوال فقهاء أحناف آخرين؛ مستدلاً بها على آرائه التربوية. قد ظهر الكتاب ليكون نتاجاً طبيعياً لرد فعل الثقافة الإسلامية على المهددات الداخلية والخارجية، وهو تعبير عن الاهتمام بتثبيت الأصول، وضمان استمرارها وتعمقها، وفهمها، وتعبير عن المنهج الذي انتهجته الثقافة في ذلك العصر نحو القرآن والسنة)[1].

أما الشيخ الندوي فقد تحدث عن الكتاب في سطرين ونصف السطر كما يلي: (إن الكتاب الذي حضني على الاحترام للكتاب والأستاذ وعلى

---

(١) محمد حسن العمايرة، الفكر التربوي الإسلامي، ط١، دار الميسرة، عمان، الأردن، ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م)، ص ٢٩٣، نقلاً عن باحث آخر.

الاستفادة منهما، وأرسخ فكرة التمسك بآداب طلب العلم، هو كتاب صغير لتلميذ صاحب الهداية "تعليم المتعلم"[1].

(٦) **(تفسير سورة النور) لابن تيمية، و(الجواب الكافي عن الدواء الشافي) لابن قيم الجوزية:** قال عنهما في كتابه شخصيات وكتب: (وقد أرشدني - أيضاً - تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية لسورة النور، وأفادني في فترة المراهقة الدقيقة، والبيئة الموبوءة إفادة كثيرة، وكذلك كتاب تلميذه الأكبر العلامة ابن قيم الجوزية "الجواب الكافي عن الدواء الشافي" فكان لهما فضل كبير في الحضانة الخلقية، والتماسك الديني الخلقي)[2].

(٧) **(زاد المعاد في هدي خير العباد) لابن قيم الجوزية:** بدأ الشيخ الندوي قراءته قبل أن يبلغ مرحلة النضج الفكري، وكان من ضمن الكتب التي يطالعها من غير كتب المقرر الدراسي المُعد لهم في دار العلوم بندوة العلماء، يقول: (بدأت أطالع - وأنا في سن المراهقة الفكرية - كتباً غير مرتبطة بالمنهج الدراسي فاستهللت مطالعة لكتاب "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن قيم الجوزية، فحل مني محلاً عظيماً، فكأنه مكتبتي ورفيقي في السفر، ومشرفي وأستاذي، وبدأ لي كممثل بارع عظيم للمكتبة الدينية العامرة، يملأ الفراغ إذا حرمت من الاتصال بهذه المكتبة الزاخرة، إنه علمني طريقة الصلاة المأثورة عن النبي ﷺ ولقنني الأدعية والأذكار المأثورة، وهداني إلى آداب السفر، وبه عرفت كيف أقضي نهاري وليلي في ضوء السيرة النبوية)[3].

(٨) **(الإسلام على مفترق الطرق) لمحمد أسد:** قرأ الشيخ الندوي كتباً في الفكر وتاريخ الحضارات، ومن هذه الكتب كتاب المهتدي محمد أسد،

---

(١) أبو الحسن الندوي، شخصيات وكتب، مرجع سابق، ص١٥٦.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص١٥٤.

يقول الندوي: (قرأتُ الإسلام على مفترق الطرق درساً درساً)[1]، وتأثر عقلاً وفكراً بأسلوبه الواثق القوي الهجومي، وتشريحه للحضارة الغربية، وبيانه للتعارض بينها وبين الحضارة الإسلامية ودفاعه القوي عن السنة المشرفة. يقول الندوي: (واطلعت على نقائض العرب الحقيقية، وأدركت طبيعة الثقافة الغربية واستحالة انسجامها بالثقافة الإسلامية، وعرفت التناقض الجذري المبدئي بين هاتين الثقافتين بصورة واضحة وضّاءة، وبعمق وإمعان، من كتاب "Islam at the Cross-Roads" "الإسلام على مفترق الطرق" لمؤلفه محمد أسد "Leopold Weiss" سابقاً، فنزلت هذه المحاكمة العاقلة العادلة في قرارة النفس، ومست شغاف القلب)[2].

تلك كانت بعض الكتب المهمة التي عاش فيها أبو الحسن الندوي، وعاش مع مؤلفيها، وامتزجت بنفسه وروحه، وأثرت على عقله وحياته، وكان لها سلطان عليه من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر، وقد دان لها في كثير من عواطفه وموازينه وأدبه وثقافته وكتاباته. والمتأمل في خلاصتها يجدها تجمع بين الثقافة الشرعية والثقافة العصرية، فتغذى بها عقله، وقد تجلى أثر ذلك في إنتاجه الفكري المتنوع.

خامساً: بعض الشخصيات المعاصرة التي أثرت في حياة الندوي

(١) **الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (مؤسس جماعة التبليغ والدعوة)**: ولد في الهند عام ١٣٠٣هـ، وتوفي عام ١٣٦٣هـ. حفظ القرآن الكريم في صباه، ودرس العلوم الإسلامية على علماء ذوي فضل في مدرسة مظاهر العلوم بـ(سهارنفور) ثم في دار العلوم بـ(ديوبند) حيث أتم دراسة الحديث. كان موضع احترام بين المشايخ والعلماء. اشتغل بالتدريس وأشرف على مسجد

---

(١) السيد عبد الماجد الغوري، أبو الحسن الندوي: الإمام المفكر الداعية الأديب، مرجع سابق، ص٤٨.

(٢) أبو الحسن الندوي، شخصيات وكتب، مرجع سابق، ص١٥٨.

والده الذي أصبح مركزاً للتعليم والدعوة في جنوب دلهي، وكان العمل في هذا المركز يعتمد على التطوع والاحتساب، ومنه انطلقت دعوته؛ دعوة التبليغ والدعوة؛ بسبب ما يحيط بالمسلمين من مخاطر كالأمية، والبعد عن تعاليم الدين، والخضوع للعادات الهندوسية دين آباء أغلب من أسلم في الهند. وقد وصفه الشيخ الندوي ووصف دعوته بقوله: (أكثر من تأثرت به هو إمام الدعوة إلى الله الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، كان هذا الرجل مأموراً من الله، لا أقول عن طريق الرسالة أو الوحي، ولكنه كان مقيضاً لهذا الأمر، وقد استولت عليه هذه الفكرة حتى ذاب فيها، ودعا إلى الاتصال بالشعب اتصالاً مباشراً، وتوجيه الدعوة إليه ولفت نظره، واستقطابه إلى رسالة الله، تبارك وتعالى، والعمل بالإسلام وبشريعته وبأحكامه، وانتشرت هذه الدعوة لا في الهند فقط، ولكن في القارة الآسيوية، ومن ثم انتقلت إلى أوربا وأمريكا، ولا تزال هذه الدعوة قائمة..)[1]. وقد تأثر به الندوي في أسلوبه الدعوي كما يذكر الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه (الشيخ أبو الحسن الندوي) في ص٤٢ قائلاً: (وقد بدأ تأثر الشيخ بهذه الدعوة منذ زيارته لمصر، فقد رأيته حين زرت معه مدينة "بنروة" في ريف الوجه البحري، بعد أن ألقى كلمته التي تفيض نوراً وروحانية، دعا الناس إلى المبيت في المسجد بنية الاعتكاف وقيام الليل، واستجاب له الكثيرون، ولا ريب أن هذا التوجه من آثار دعوة التبليغ)[2].

---

(١) أبو حسان السنهبلي، "الأبرز والأهم من حياة الشيخ أبي الحسن الندوي"، الصحوة الإسلامية، العدد الممتاز ٣٦، الجامعة الإسلامية دار العلوم، حيدرأباد، الهند، محرم ١٤٢١هـ (أبريل ٢٠٠٠م) ص ص١١٧-١١٨.

(٢) يوسف القرضاوي، (الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته)، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م) ص٤٢.

(٢) **شيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي:** ولد في (كاندهلة) سنة١٣١٥هـ، ونشأ في أسرة عريقة في العلم ونشر الدين، وقد اعتنى والده بتربيته غاية العناية. وعلمه عمه محمد إلياس الكاندهلوي اللغة الأردية، والفارسية، كما حفظ القرآن الكريم. ودرس الكتب الستة في الحديث على والده - غير سنن ابن ماجه - عام ١٣٣٣هـ، ثم قرأ صحيح البخاري وسنن الترمذي على شيخه العالم خليل أحمد السهارنبوري، وقد شارك شيخه في تأليف (بذل المجهود في شرح سنن أبي داوود) في خمسة أجزاء، وقد اكتمل تأليفه عندما كان في رفقة شيخه إلى الحج عام ١٣٤٤هـ حيث توفي الشيخ، وبقي هو ليبدأ تأليف كتاب (أوجز المسالك في شرح الموطأ) وهو في التاسعة والعشرين من عمره في مسجد رسول الله ﷺ، وقد أكمله في ستة أجزاء بعد عودته إلى الهند حيث اشتغل بالتدريس بلا مقابل مادي، وقد اهتم بتلاميذه وآلت إليه مشيخة الحديث (بعد وفاة شيخه في الحجاز)، واتصل بمراكز التعليم والجامعات الدينية التي كانت تحترمه وتأخذ من علمه، وكان منزله قبلة للمتعلمين والعلماء على حد سواء. وقد وصفه الندوي في كتابه شخصيات وكتب بالورع، والصلاح، والزهد، والكرم، والنشاط. وكان من كبار رجال التبليغ الذين أحبهم تلاميذهم بعد وفاة عمه وصهره محمد إلياس الكاندهلوي، وفي عام ١٣٨٩هـ جاء إلى أرض الحرمين الشريفين مدفوعاً بأشواق عظيمة، وقصد مسجد رسول الله ﷺ، وكان الشيخ أبو الحسن الندوي مرافقاً له في تلك الرحلة، وكان الكاندهلوي يرجو من الله أن يبقى في المدينة المنورة إلى أن يلقى الله (تعالى) إلا أن واجب الدعوة، وما كانت تعانيه المدارس الدينية من أزمات ومشاكل، وما تحتاجه جماعته: جماعة التبليغ والدعوة من إرشاد وإشراف ومراقبة اضطرته إلى الرجوع إلى بلاده، غير أن الشوق إلى المدينة المنورة ما كان يفارق باله، فعاد إليها مرة أخرى راجياً أن يلقى الله فيها، وقضى أيامه بها داعياً إلى الله، ومعلماً

ومرشداً حاثاً على تربية النفوس، وتزكيتها، مجتهداً في دعم التعليم الديني إلى أن أتاه الأجل المحتوم في رجب ١٤٠٢هـ فتحقق له ما أراد ودفن بالبقيع.

(٣) **الشيخ عبد القادر الرائيبوري (ت١٣٨٢هـ)**: هو من إحدى قرى (بنجاب) الهندية، ومن كبار المربين والعلماء الربانيين المطلعين البصيرين، وصاحب عقل راجح، وكان عملياً وزاهداً، متواضعاً، رحب الصدر واسع الأفق يحنو على تلاميذه، ويهتم بأمر المسلمين، كذا وصفه الندوي في كتابه (شخصيات وكتب) عندما تناوله ضمن من تناول من الشخصيات المعاصرة التي أثرت فيه. ويذكر بأن الشيخ الرائيبوري هو الذي شجعه على إتمام سلسلة (جال الفكر والدعوة في الإسلام) وهو الذي أمره بتأليف كتاب في فرقة القاديانية؛ لفضح انحرافها، والتحذير من شرها، كما شجعه على التأليف عموماً، والاشتغال بالقضايا الإسلامية، ونشر الثقافة، والقيام بواجب الدعوة. وقد تلقى الندوي منه التربية الروحية واستفاد من صحبته ومجالسه.

(٤) **الأمير الشيخ حبيب الرحمن الشرواني (ت ٢٦ شوال ١٣٦٩هـ، ١١/٨/١٩٥٠م)**: هو أحد مؤسسي ندوة العلماء، وكان صديقاً لوالد أبي الحسن الندوي وزميله في تأسيس دار العلوم التابعة لندوة العلماء، وكان عاملاً فيها؛ لذا عرفه الندوي منذ وقت مبكر في الصبا. كان الشرواني أحد أمراء مديرية عليكره، ووزير الأمور الدينية، وكان من أبرز الشعراء بالفارسية لا يباريه في زمنه إلا أبو الكلام أزاد وزير المعارف الهندي بعد الاستقلال. عرف كمؤرخ ومؤلف، وله مكتبة عامرة تعد من أغنى مكتبات الهند. وله مشاركات بقلمه في مجلات هندية علمية مشهورة مثل مجلة (الندوة)، بل هو مشارك في إنشائها مع الأستاذ شلبي النعماني، كما كان يشارك بالكتابة في مجلة (معارف) الشهرية التي كان يصدرها د. سليمان الندوي. ألف الشرواني كتباً منها كتاب (علماء السلف). وذكر أبو الحسن

الندوي بأن ذلك الكتاب أثر في عقله تأثيراً كبيراً، وهو مدين له لأنه بعث فيه الحرص على العلم والاجتهاد، كما أثر فيه أسلوبه في كتابه (سيرة الصديق) الذي فاض به قلبه قبل أن يفيض به قلمه. ويضيف الندوي في ذكر كتب الشرواني فيقول: (وألف كتابه "أستاذ العلماء" وهو مثال جميل لكتب التاريخ والتراجم، وفيه وفاء لشيخه وإعجاب به). ويصف الندوي أخلاق الشيخ الشرواني بقوله: (كان تقياً نقياً، عَمَّر باطنه بالإيمان والإحسان، وكان له رواتب وأذكار يداوم عليها في حله وترحاله)[1].

(٥) **العلامة سليمان الندوي (ت ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٢م)**: يعتبر من أبرز المؤلفين في السيرة والتاريخ الإسلامي بكامله، وقد تابع نهج أستاذه العلامة شبلي النعماني الذي صنف مجلدين في السيرة، ثم واصل هو في المجلدات الخمسة الباقية بأسلوب متفرد شامل، لم يكتف فيه بسرد الأحداث، وبيان الشمائل فحسب، ولكن تعداه إلى الرسالة، والتعليمات النبوية، والشريعة الإسلامية وبحث شعبها المختلفة. وله مؤلفات أخرى مثل: (الرسالة المحمدية) الذي نقل إلى العربية، و(سيرة عائشة) و(الإمام مالك)، وكتب أخرى بالأردية والإنجليزية مثل كتاب (Muhammad the Ideal Prophet)، وقد اعتبر الشيخ أبو الحسن العلامة سليمان الندوي بأنه أكبر مؤرخ وباحث لعصره، كما نقل عن الشاعر محمد إقبال وصفه للعلامة سليمان الندوي بأنه يفجر من الصخرة ينبوعاً من العلم، ويمتلك ناصية العلوم الإسلامية. أما الندوي فيذكر مميزات سليمان الندوي الشخصية وجهوده العملية قائلاً: (وكان خبيراً بالعلوم القديمة والحديثة، وكان أديباً وناقداً، وصحفياً ومحققاً، وكان فقيهاً ومحدثاً، ومع ذلك كان من كبار القادة لتحرير البلاد. وقد سافر خارج الهند إلى بريطانيا، وحضر

---

(١) مستخلص من: أبي الحسن الندوي، شخصيات وكتب، مرجع سابق، ص ص ٤٩-٥٤.

المؤتمر الإسلامي الأول بمكة المكرمة والذي دعا إليه الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود عام ١٩٢٦م، وزار أفغانستان بدعوة من ملكها لإعداد خطة جديدة للتعليم، وكان رفيقه إلى هذا العمل د. محمد إقبال. وقد اشترك العلامة سليمان الندوي في إعداد الدستور لجمهورية باكستان الإسلامية بعد التقسيم، وقام بالإرشاد الديني فيها. توفي في كاراتشي التي انتقل إليها في آخر حياته)[1].

(٦) **الدكتور محمد إقبال** (١٨٧٧- ١٩٣٨م): هو أشهر الشعراء الفلاسفة، والمفكرين المسلمين في شبه القارة الهندية في العصر الحديث. ولد بالهند، وتلقى دراسات في التربية الإسلامية منذ صغره. ثم حصل على (ليسانس) كلية الآداب الحكومية في لاهور، ودرس بجامعة لندن لثلاث سنوات، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعات ألمانيا عام (١٩٠٧م)، ثم عاد إلى وطنه حيث بدأ يؤسس دعوته الإصلاحية التي استمد عناصرها من الإسلام، ونظم العديد من الدواوين شعراً ونثراً بالفارسية والأردية، كما نشر بعض الكتب بالإنجليزية، وهو صاحب فكرة إنشاء وطن مستقل للمسلمين في شبه القارة الهندية باسم باكستان الإسلامية ترتبط بالعالم الإسلامي على أساس أنها جزء منه في ظل الخلافة الإسلامية.

إن محمد إقبال من أوائل الذين قادوا الحملة الفكرية المعاصرة ضد الاستعمار والكيان الحضاري الغربي الحديث، وهتك أستاره، وكشف أبعاده، وكانت وسيلته في ذلك الكلمة التي ألانها الله ـ تعالى ـ له، والحكمة التي وهبها إياه، وقد قضى نصف عمره يشرح ضرورة الوحدة الإسلامية بكل قوة وحماس، ومن هنا جاء إعجاب الندوي به، وقد تيسر له رؤيته مرتين: (الأولى لما ذهب مع أحد أقربائه في سفره الأول إلى لاهور

---

(١) مستخلص من: المرجع السابق، ص ص٥٥-٦٢.

وهو طالب بندوة العلماء وكان قد ترجم قصيدة إقبال "القمر"، وأن إقبال نظر فيها ونصحه بالتخصص في العربية وآدابها، وقد تم تناول هذه الزيارة آنفاً في هذا الفصل. أما الزيارة الثانية فكانت في ١٩٣٧/١١/٢٢م في منزل إقبال حيث كان معتكفاً فيه بسبب مرض طال به وأضناه، ورغم ذلك أتاح العلامة إقبال لأبي الحسن الندوي وقتاً طويلاً للحديث والاستماع إليه)[١]. ومن هنا يمكن ملاحظة حب وإعجاب الندوي بإقبال كشاعر عقيدة ودعوة ورسالة، وكثائر على الحضارة الغربية المادية وأعظم ناقد لها، وكداعية إلى المجد الإسلامي، وسيادته، ومن أعظم المحاربين للوطنية الضيقة والقومية العتيقة، وأعظم الدعاة إلى النزعة الإنسانية والرابطة الإسلامية. ولقد تمثل هذا الإعجاب بل الانسجام الفكري بين الرجلين في ظهور كتاب الندوي (روائع إقبال) وقد أراد به تعريف الأدباء العرب، والمثقفين من الشباب في البلاد العربية الذين أعجبوا بشعر طاغور، وكان من هؤلاء الأدباء الكبار الناهضين والناقدين في مصر أمثال الدكتور أحمد أمين، والأستاذ أحمد حسن الزيات، والأستاذ سيد قطب كانوا معجبين به ومعترفين بفضله، وكانوا يرون أن شعر طاغور يمثل روحانية الشرق في الشعر والتعبير عن المعاني والحقائق غير المادية والحسية ـ أروع تمثيل وأجمله ـ وهذا غاظ سماحة الشيخ الندوي، والأستاذ مسعود عالم الندوي، وأثار فيهما سخطاً وامتعاضاً، وتحمساً لتعريف شعر الدكتور محمد إقبال في العالم العربي[٢].

(٧) **الشيخ حسن البنا (١٩٠٦ - ١٩٤٩م)**: مؤسس حركة الأخوان المسلمين (١٩٢٧م) وعنها يقول الندوي: (ظهرت نتيجة لضعف المسلمين في العقيدة،

---

(١) السيد عبد الماجد الغوري، أبو الحسن علي الحسني الندوي، الإمام المفكر والداعية الأديب، مرجع سابق، ص ص٤٥-٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص٤٧.

والعاطفة الإسلامية، والأخلاق، والاجتماع، والإدارة؛ وذلك نتيجة للرواسب التي تركتها أنظمة الحكم المختلفة في مصر: حكم المماليك، والأتراك، والأسرة الخديوية والاستعمار الإنجليزي وما جلبه إليها من مادية، وتعليم لا ديني، وسياسة حزبية نفعية، وإضعاف لدور العلماء، والدعوة والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشاط دعاة الفساد في جميع نواحي الحياة: الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية مع وجود أكبر وأقدم مركز ثقافي إسلامي "الأزهر"[1].

يقول الدكتور علي جريشة في كتابه: نحو نظرية للتربية الإسلامية...: (مدرسة حسن البنا تمثل الصحوة الإسلامية التي جمعت بين الأصالة والتجديد، وعمدت إلى إيقاظ الأمة من سبات عميق، وقصدت إلى وسائل التربية العديدة: القديم منها والحديث، فأخضعتها إلى معايير الإسلام، وخلصتها من الجمود)[2].

ونرى الشيخ الندوي يعقد مقارنة إكبار بين البنا في مصر، والكاندهلوي في الهند (سبق الحديث عن الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي في هذا الفصل) حيث: يعتبر حركة الإخوان المسلمين حركة إسلامية يندر أن يوجد مثيل لها في هذا العصر خاصة في العالم العربي، كما كان يرى أن البنا والكاندهلوي يندر أن يوجد مثيل لهما في شفقتهما وقناعتهما وتفانيهما فيما يدعوان إليه، وكذلك في تأثيرهما في النفوس، ونجاحهما المدهش في التربية، وهما مُنشئا جيل، ومربيا شعب، وصاحبا مدرسة فكرية خلقية، وأن تأثيرهما باق إلى اليوم[3].

ولا يخفي الندوي حسرته لعدم لقيا الشيخ حسن البنا في حج عام (١٩٤٧م)، وقد تغيب الإمام لأمور تتعلق بشؤون الحركة في مصر، إلا أنه تمكن من

---

(١) أبو الحسن الندوي، شخصيات وكتب، مرجع سابق، ص ص٨٩-٩٠.

(٢) علي جريشة، نحو نظرية للتربية الإسلامية...، مرجع سابق، ص٢٨.

(٣) أبو الحسن الندوي، شخصيات وكتب، مرجع سابق، ص٩١.

زيارة والد الشيخ البنا عند زيارته لمصر بعد استشهاد ابنه. وقد استطاع الندوي جمع معلومات عن حياة حسن البنا ودعوته، واتصل بالكثير من تلاميذه وتعرف عليهم، يقول في كتابه (شخصيات وكتب)، صفحة ٩٢- ٩٣: (اتصلتُ بتلاميذه اتصالاً وثيقاً، وعشتُ فيهم كعضو من أعضاء أسرة واحدة، وزرت والده العظيم ـ رحمه الله ـ واستقيت منه معلومات وأخباراً سجلتها في مذكراتي، وقابلت زملاءه وأبناءه، واجتمع لي من كل هذه الآثار والأخبار ملامح الصورة العظيمة لصاحب هذه الدعوة، ومؤسس هذه المدرسة)[1].

ثم بيّن بأنه قرأ كتاب البنا (مذكرات الدعوة والداعية) فأعجب به، وزادت معرفته بمؤلفه، واعتبره مشعلاً لا يستغني عنه الدعاة والمصلحون، ولم يخف ارتياحه لأسلوب التربية والدعوة عند الإخوان المسلمين، يقول في الموضع المذكور أعلاه في كتابه (شخصيات وكتب): (حصلت على كتابه "مذكرات الدعوة والداعية" فألفيته كتاباً أساسياً رئيساً، لفهم دعوته وشخصيته، وفيه يجد القارئ منابع قوته، ومصادر عظمته، وأسباب نجاحه، واستحواذه على النفوس، وهي: سلامة الفطرة، وصفاء النفس، وإشراق الروح، والغيرة على الدين، والتحرق للإسلام، والتوجع من استشراء الفساد، والاتصال الوثيق بالله ـ تعالى ـ والحرص على العبادة، وشحن "بطارية القلب" بالذكر والدعاء، والاستغفار والخلوة في الأسحار، والاتصال المباشر بالشعب وعامة الناس في مواضع اجتماعهم، ومراكز شغلهم وهواياتهم، والتدرج ومراعاة الحكمة في الدعوة والتربية، والنشاط الدائم والعمل الدائب.. وهذه الخلال كلها في أركان دعوة ربانية، وحركة دينية تهدف إلى أن تحدث في المجتمع ثورة إصلاحية بناءة، وتغيِّر مجرى الحوادث والتاريخ)[2].

---

(١) المرجع السابق، ص٩٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ص٩٢-٩٣.

ويقول الندوي معرباً عن نفسه بصدق، وقلبه ينزف دماً؛ لما رآه من محاولة القضاء على حركة الإخوان وعلى قادتها: (لقد كانت محاولة القضاء على هذه الحركة وطمس معالمها، وتعذيب جنودها، وتشريد رجالها، جريمة لا يغتفرها التاريخ الإسلامي، ومأساة لا ينساها العالم الإسلامي، وإساءة إلى العالم العربي لا تعدلها إساءة، ولا تكفر عنها أي خدمة للبلاد.. إنها جريمة لا يوجد لها نظير إلا في تاريخ التتار الوحشي، وفي تاريخ الاضطهاد الديني، ومحاكم التفتيش في العالم المسيحي القديم، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[1].

(٨) **السيد امين الحسيني (توفي في بيروت في ١٣٩٤/٦/١٤هـ)**: ينتمي إلى الأسرة الحسينية الهاشمية. وهو رمز المجاهدين في قضية القدس الشريف، قضى أكثر من خمسين سنة في الدفاع عنها، يقول عنه الندوي: (لا أعرف أحداً من بين زعماء المسلمين والعرب ارتبط بقضايا الوطن الإسلامي الكبير، ووهب لها من نفسه وعقله مثل ما ارتبط بها الراحل العظيم، ووهب لها ما أكرمه الله به من مواهب وطاقات، وكان كدوامة لا تستقر ولا تنقطع عن الحركة بين الرباط إلى جاكرتا، ومن ضفاف دجلة إلى نهر كابل ونهر السند)[2].

وأول مرة رأى الندوي فيها الحسيني كان في لكهنؤ (١٩٣٣م)، ثم التقى به في القاهرة، وفي مكة المكرمة في رحاب رابطة العالم الإسلامي، وفي المدينة المنورة في اجتماعات المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية، يقول الندوي عنه: (وتشرفت بالزمالة على تفاوت في السن، وفرقٍ كبير في التجارب والحصافة، وحسن البلاء والعمل الإسلامي، ولكنه كان دائماً يملأ هذه الفجوة الواسعة بين زميلين من جيلين مختلفين، بأخلاقه العالية، وكان يغمرني بعطفه الأبوي وحنانه الأخوي، وقلبه الكبير، وعقله المنير،

---

(١) المرجع السابق، ص ص٩٣-٩٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٦.

وكان لا يشعرني بحداثة السن، وضآلة الشخصية، وقلة البضاعة في ميدان الكفاح والعمل الإسلامي... وكان في ذلك على قدم السلف الصالحين، والسادة الهاشميين، والشيء من معدنه لا يستغرب)[1]. ويرى الندوي أن عقلية المفتي أمين الحسيني في الدفاع عن قضية فلسطين أنها في المقام الأول قضية رسول الله ﷺ؛ لأن فيها ثالث المساجد التي تشدُّ إليها الرحال. وكان الحسيني يرى في الإخوان المسلمين بأنهم طليعة مؤمنة مجاهدة، ولا ينسى لهم استبسالهم في فلسطين سنة (١٩٤٨م)، يقول الندوي عن ثناء المفتي عليهم: (أثنى المفتي على الشهيد حسن البنا رحمه الله، وأثنى على الإخوان المسلمين المجاهدين في فلسطين، وأثنى على رجولتهم وقوة إيمانهم وحماستهم وقال: كان الواحد فيهم يقاتل عشرات من اليهود)[2].

(٩) **الأستاذ سيد قطب (١٩٠٦- ١٩٦٦م)**: تعرف عليه الشيخ الندوي من خلال مقالاته في مجلة (الرسالة المصرية) بادئ الأمر عندما كان يقرأ له مناقشة آراء أدبية متصلة بالنقد، وقد عرفه تلميذاً من تلاميذ مدرسة العقاد، وواحداً من المدافعين عنه والمهاجمين لخصومه. وفي (١٩٥٠م) تعرف عليه من خلال كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) الذي قدمه له في لقاء جمعه به؛ وذلك عندما كان في زيارة لمكة والطائف، فقرأه وأعجب بأسلوبه الجريء في النقد للحضارة الغربية خلافاً لما عرفه الندوي عن كثير من كتاب المسلمين في بداية القرن العشرين الميلادي والذين تميزوا بأسلوبهم الاعتذاري، أو الدفاعي الذي لا مبرر له كما يرى الندوي، وفي ذات الوقت يبدي الندوي إعجابه بكتابات جريئة سالت بها أقلام رموز شهيرة كالشاعر إقبال، والأستاذ المودودي، ومحمد أسد، والعقاد، وقد انتقد آخرين على ما كان لهم من وزن في بلاد المسلمين شرقاً وغرباً، وقد ذكر بأن أكثر ما

---

(١) المرجع السابق، ص٩٧.

(٢) المرجع نفسه، ص١٠٠.

أعجبه في كتابات سيد قطب: ثقته بصلاحية رسالته التي يؤمن بها وخلودها وتفوقها، وأنها هي الرسالة الوحيدة التي تجلب السعادة للبشر[1].

وقد توطدت العلاقة بين الندوي وسيد قطب عند زيارته الأولى لمصر في (١٩٥١م)، حيث كان سيد قطب قد قرأ كتاب الندوي (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)، يقول الندوي: (وهو كتاب ينسجم مع نفسيته ـ أي نفسية سيد قطب ـ ويتجاوب مع تفسيره وأسلوبه؛ لأنه حديث عن الإسلام كرسالة عالمية خالدة، خلقت لتبقى وتزدهر، وتسود وتقود، ولها وحدها حق التوجيه والقيادة، ولأصحابها وحدهم العزة والغلبة والعلو، أما غيرها من الديانات فقد أفل نجمها ومضى عهدها، وأما ما قام على أساسها من الحضارات فقد نفد زيتها، واحترقت زبالتها؛ لذلك كان من الطبيعي أن يأنس كلانا بصاحبه، ويفضي إليه بذات صدره، ولو كان أنس صغير بكبير، ومتطفل بأصيل...)[2].

ويصف الندوي سيد قطب بالاستقامة والشجاعة والصبر والثبات على المبدأ، ويرى أنه قد دفع في سبيل الإيمان بفكرته دمه رخيصاً في سبيل الله شهيداً خالداً، ويعتقد أن الله أكرمه بالخلود في الدنيا ـ أيضاً ـ باعتناء الناس بآثاره، وشغفهم بكتبه ومؤلفاته، وحرصهم على إحياء تراثه الفكري والعلمي، ولهجهم باسمه وأخباره، وغرامهم بحديثه وذكره؛ لذا يرى الندوي أن كلمة (أحياء) التي يكرم بها الشهيد أوسع مما فهمها الناس وفسرها المفسرون[3].

(١٠) **د. مصطفى السباعي (ت ٢٧ جمادى الأولى ١٣٨٤هـ)**: هو المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا، وهو كاتب، ومؤلف وصحفي، ومن أهم

---

(١) المرجع السابق، ص ص١٠٥-١٠٦.

(٢) المرجع السابق، ص ص١٠٦-١٠٧.

(٣) المرجع نفسه، ص١١١.

كتبه (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي)، وهو رئيس تحرير مجلة (حضارة الإسلام). كان خطيباً مفوهاً في زمانه، وأسهم في أنشطة إسلامية شتى في العالم الإسلامي، وهو صاحب فكرة إنشاء كلية الشريعة في الجامعة السورية وعميدها. جمع بين القديم الأصيل كأزهري، وكدارس في حلقات العلماء والمدرسين الراسخين في الشام. وألم بالجديد كدارس لمناهج التعليم والنظم الاجتماعية والسياسية في أوربا، وهو قائد كتيبة المجاهدين في فلسطين ضد اليهود في عام (١٩٤٨م).

يصفه الندوي بالإخلاص، والوفاء للعقيدة، وبالثبات، والاستقامة، وبالتعليم والرسوخ فيه، وبسعة الإطلاع، ونفاذ البصر، وبكونه داعية من الطراز الأول. ويذكر الندوي أول لقاء له به في يوم الأحد ١٣٧٠/١٠/١١هـ (١٩٥١/٧/١٥م) في سوريا في مقر إقامة د. سعيد رمضان أحد قيادات الإخوان المسلمين المصريين، ثم تعرف عليه عن كثب إثر دعوة جمعت ثلة من الإخوان منهم الأستاذ محمد المبارك، وتجاذبوا الحديث عن هموم الدعوة والدعاة، وذكر الندوي التطابق في الأفكار بينهم.

سادساً: أبرز الحركات الإسلامية المؤثرة على حياة الندوي

بحث أبو الحسن الندوي عن جماعة إسلامية، وقيادة دينية واعية للمشاركة في إيقاظ الروح الدينية لدى المسلمين، ومواجهة الأخطار التي تهدد كيانهم، وقد صرّح بذلك من خلال ما كتبه في ترجمته عن نفسه في كتابه (في مسيرة الحياة)[1] وفي مواضع أخرى. ومن هنا نرى أن الرجل قد يسره الله إلى عمل تربوي أوسع وأرحب من عمله في وظيفة معلم، رغم ما كان يبذله من جهد في إصلاح الطلاب خلقياً، ودينياً، وعلمياً؛ لترقيتهم، وإعدادهم لتحمل المسؤولية؛ لذا كان لابد له من الانتماء إلى جماعة إسلامية، يتعاون معها ويستطيع العمل من خلالها

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص١٥٩.

بهدف إيقاظ الروح الدينية لدى المسلمين، ومواجهة الأخطار المحدقة بهم والتي تهدد كيانهم.

ومن أبرز الحركات التي اتصل بها الشيخ أبو الحسن الندوي:

(١) **حركة التبليغ والدعوة:** أفرد الشيخ أبو الحسن فصلاً في كتابه (في مسيرة الحياة) الجزء الأول عن اتصاله بهذه الحركة، عندما قرأ مقالة كتبها الأستاذ أبو الأعلى المودودي عن جماعة التبليغ تحت عنوان: (حركة دينية مهمة) في مجلة (ترجمان القرآن)، وبهذا استطاع الندوي مقابلة مؤسس هذه الحركة الدينية الشعبية، وكان اللقاء مليئاً بالحفاوة والعطف، وقد جمع بينهما الحبُّ والتقدير لدور الشهيد أحمد بن عرفان الإسلامي في مكافحة المستعمرين ومن والاهم من السيخ. وقد علم الشيخ الكاندهولي أن أبا الحسن هو مؤلف كتاب (سيرة السيد أحمد الشهيد). وبعد اللقاء بمؤسس جماعة التبليغ في مركز نظام الدين: (أحد مراكز النشاط الدعوي التبليغي في دلهي) بدأ عمله الدعوي بالخروج مع طلابه الذين كان يدرسهم في دار العلوم، وقد انتقى منهم النجباء - كما يقول - بالخروج إلى الأحياء والحارات في نواحي لكهنؤ للعمل في الطبقة المتخلفة، والفقراء، وسكان الأحياء المساكين لتوعيتهم بأمور دينهم، وإثارة الشعور الديني والعيش الإيماني، ودعوتهم إلى المحافظة على الصلوات[1].

ويذكر الندوي بأنه كان يقوم بالخروج مع طلابه على غرار المنهج المتبع الذي رآه في (ميوات) منطقة النشاط الدعوي الرئيس لجماعة التبليغ، وكان يرسل تقارير مختصرة للشيخ الكاندهلوي عن جولاتهم الدعوية والتي يصفها بالتواضع، وكانت تأتيه ردود على رسائله من الشيخ يقرؤها بشوق وشغف وكانت تثير فيه الحماس والثقة.

---

(١) المرجع السابق، ص ص١٨٥-١٨٦.

أما عن مبادئ جماعة التبليغ كما يوردها أحد منتقديها: أبو أسامة سيد طالب الرحمن في كتابه (جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية: عقائدها ـ تعريفها) فيقول: (الأسس والمبادئ التي دعا إليها الشيخ محمد إلياس الحنفي الديوبندي الجشتي بعد إنشاء جماعة التبليغ هي)[1]:

أ- الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ب- إقامة الصلوات.

ج- العلم والذكر.

د- إكرام المسلم.

ه- الإخلاص.

و- النَّفرُ في سبيل الله

وتجدر الإشارة إلى أننا تناولنا نشأة جماعة التبليغ التي أسسها الشيخ محمد إلياس في عام ١٣٦٠هـ، وذلك عند الحديث عن التيار الداعي إلى الاعتصام بالدين، والوقوف ضد مبدأ الأخذ بالحضارة الغربية آنفاً في هذا الفصل. لقد حدث تطور جديد في حياة الشيخ أبي الحسن الندوي بعد اتصاله وتعاونه مع جماعة التبليغ ألا وهو قراره بترك وظيفة التدريس بدار العلوم ـ ندوة العلماء في عام (١٩٤٢م)؛ وذلك لكثرة انصرافه إلى عمل الدعوة والتبليغ، وكثرة جولاته ورحلاته الدعوية التي كانت تستغرق ـ أحياناً ـ ثلاثة أيام في نواحي (لكهنؤ) وأريافها، وأحياناً أخرى تستغرق أربعين يوماً أو أكثر في مختلف مدن الهند، ومن هنا بدأ الشيخ أبو الحسن يخرج إلى مجال الدعوة والإصلاح على نطاق واسع، وقد استمر على ذلك إلى أن توفاه الله.

---

(١) أبو أسامة سيد طالب الرحمن، جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية، ط١، دار البيان، إسلام آباد، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).

وعلى الرغم من انتماء الشيخ أبي الحسن الندوي إلى جماعة التبليغ، والدفاع عنها، والاستفادة من منهجها المتمثل في تزكية النفوس، وتبليغ الدعوة بطريقة شعبية يتم الخطاب فيها لجماعات الناس بلا قيود مكانية ولا زمانية، إلا أننا نرى (من خلال تربيته وثقافته الدينية والعربية والتي تمكنه من الأخذ من منبع الثقافة الإسلامية الأصيل) بأنه صاحب رأي مستقل، ومنهج خاص في نشر الدعوة، وسيرد ذلك في مكانه لاحقاً.

(٢) **الجماعة الإسلامية (اتصاله بها ثم انفصاله عنها)**: كانت البداية عندما اتصل الشيخ أبو الحسن بالعلامة المودودي (مؤسس الجماعة الإسلامية في عام ١٣٦٠هـ) طالباً منه أن يكتب مقالة يبين فيها الكتب التي أثرت على عقله وفكره، وقد أجابه في هذا الطلب. كما يذكر الشيخ الندوي أن العلامة المودودي طلب منه أن يساهم هو ومن يعمل معه في دار العلوم على نقل كتابه (الحجاب) إلى العربية في أسلوب عصري حي، وكان المودودي يرى في ندوة العلماء خير مكان لذلك العمل. ويبين الشيخ أبو الحسن الندوي أن سبب انجذابه للأستاذ المودودي، وتجاوبه معه راجع إلى كتاباته القوية البليغة التي تعبر عما يجيش بنفسه على الرغم من اختلافه معه، والذي يبينه في كتابه (التفسير السياسي للإسلام في كتابات الأستاذ المودودي وسيد قطب) إلا أنه كان يرى كثيراً من كتابات الأستاذ المودودي، ومقالاته، تنير الطريق للشباب المثقفين وتبصرهم بالدين؛ لذا فإن الشيخ الندوي في كتابه (المصابيح القديمة) والمؤلف بالأردو من جزأين، يعبر عن انطباعاته ومعلوماته عن الشخصيات المعاصرة مع إلقاء الأضواء على جوانبها الممتازة حين يقول: (لقد كان أساس إعجابي وتأثري وصلتي بالأستاذ المودودي ومنشورات الجماعة، تلك المقالات الفاضلة الناقدة التي كتبها الأستاذ في الرد على الحضارة الغربية وفلسفتها للحياة، ووجهة النظر المادية المعاصرة، والتي قد جاءت معظمها في مجموعة مقالته "تنقيحات". وقد كان في هذا

الصدد بيني وبين الأستاذ توافق وانسجام، كانسجام صغير مع كبير، ومؤلف ناهض مع مؤلف محنَّك، ولا شأن لي بالتفسير العصري للدين الذي يدبجه قلمه، ولا حاجة لي إلى التفسير الذي يتجلى في كتابات الأستاذ مثل "المصطلحات الأربعة الأساسية للقرآن" و"تفهيمات" و"رسائل ومسائل"؛ ذلك لأن أمري في هذا الباب كان يختلف تماماً عن أمر شاب مثقف بالثقافة الإنجليزية، يقتبس تصوره للدين وفهمه إياه كلياً من كتابات الأستاذ، أو من كتب مفكر أو مؤلف آخر، بدلاً من أن يقتبسه من مصادر الدين الأساسية ـ الكتاب والسنة ـ والبيئة والتربية الدينية)[1].

ويمضي الشيخ أبو الحسن الندوي مبيناً وجهة نظره بجلاء في الجماعة الإسلامية بقيادة العلامة أبي الأعلى المودودي في الجزء الثاني من كتابه الأردي (براني جراغ) أي (المصابيح القديمة) حيث يقول: (... ولذلك فقد كنت عاجزاً ـ لدراساتي الدينية المباشرة، واستفادتي من كتب العلماء المتقدمين والمتأخرين الذين كانوا أوسع وأعمق علماً في الكتاب والسنة، ونجد عندهم اجتهاداً في الرأي، وعمقاً وإحاطة في الدراسة ـ عن أن أعتبر الأستاذ مفكراً إسلامياً فريداً، يندر نظيره عبر القرون، إنما كنت أعتبر ميزته الأساسية وجوهر ذكائه وألمعيته، وحدة ذهنه، وقدرته الفائقة على الكتابة والعرض في أسلوب عصري مؤثر، ولا أزال أعترف له بذلك)[2].

ومن هنا يمكن وضع وجوه الاتفاق بين الندوي والمودودي ـ بحسب ما يرى المؤلف من النصوص المنقولة آنفاً ـ فيما يلي:

أ) اعتراف الشيخ أبي الحسن بفضل جهود العلامة المودودي في كشف زيف الحضارة الغربية بقلمه ولسانه.

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٦٥.

ب) اعتراف الشيخ أبي الحسن بفضل جهود العلامة المودودي في تنوير عقول الشباب المثقف، وتبصيرهم بالإسلام من خلال الكثير من مقالاته وكتبه.

ج) اعتراف الشيخ الندوي للعلامة المودودي بالذكاء والألمعية وحدة الذهن، والقدرة الفائقة على الكتابة في أسلوب مؤثر.

أما الاختلاف فكان يتمثل في منهج العمل الدعوي، ولا يعدو أن يكون هذا الاختلاف من باب (لكل شيخ طريقة). كما يلمح من كتابات الشيخ أبي الحسن تركيزه على أهمية التربية على أساس الكتاب والسنة أولاً؛ أي الجد في بذر البذرة الصالحة، ورعاية الغرسة إلى أن تثمر الثمرة التي يرجى أن تكون صالحة بإذن الله.

ويرى أن تنوير العقول بالمخاطر التي تحاك ضد الإسلام، وإلهاب المشاعر والأحاسيس، وشحذ الهمم والعمل على إقامة الحكم الإسلامي أمر لا مناص منه. إلا أن الاعتماد على ذلك بدون ثقافة دينية، وتربية قائمة على تلك الثقافة سيجعل الأمر محفوفاً بالخطر. انظر إلى قوله الذي تقدم آنفاً: (ولا شأن لي بالتفسير العصري للدين الذي يدبِّجه قلمه..).

ثم لنتأمل رأيه في التدليل على مصلحة ما ذهب إليه من أن التربية الدينية تصنع الرجال الصالحين، الناهضين للدفاع عن دينهم: (... في هذه الفترة بدأت مراسلاتي مع الأستاذ المودودي، وقد نشر إحدى مقالاتي بعنوان "الدين والسياسة" الفكرة الغربية الوافدة الدخيلة، وأثبت فيها أن علماء الدين قاموا ـ دائماً ـ في البلاد الإسلامية بصفة عامة، وفي شبه القارة الهندية بصفة خاصة بالدور القيادي بجهودهم الجبارة في مقاومة القوى الخارجية وتحرير الوطن منها، والخوض في الحركات الجهادية والإسلام فيها، وأثبتوا أنهم أكثر واقعية، وأعمق إدراكاً لمقتضيات

العصر، وتلبية لحاجاته، وأكثر مغامرة واقتحاماً للأخطار من الطبقة الجديدة)[1].

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي في أمر تحفظ الشيخ أبي الحسن الندوي على بعض مفاهيم الجماعة الإسلامية: (فكل ما يقال هنا: إن للشيخ تحفظاً على عرض بعض المفاهيم، أو بعض الوسائل والمناهج التي يتخذها بعض العاملين للإسلام في الوصول إلى الحكم الإسلامي، أو السعي إلى إقامة الدولة الإسلامية، التي تمكن لدين الله في الأرض كما رأينا في كتابه "التفسير السياسي للإسلام" ومن ذلك: التركيز على الحكم والدولة وكأنها هي الهدف الأوحد للدعوة، والمبالغة في تصوير هذا الجانب، وكأنه الإسلام كله، بحيث لو أخفق الدعاة في هذا الأمر، فكأنما أغلق باب الدعوة في وجوههم، وسد الطريق عليهم، فلم يبق لهم علم، ولم يعد لوجودهم من فائدة أو معنى)[2].

وقد استمر الشيخ أبو الحسن منتمياً إلى الجماعة الإسلامية، ولكن بنوع من التفكير الخاص، والمنهج الخاص في نشر الدعوة، والإصلاح، منذ عام (١٩٤٠م) حتى عام (١٩٧٨م)، حيث تخلى عن عضويتها، مع عظيم حبه وإعجابه بالعلامة المودودي، وجهود الجماعة الإسلامية.

(٣) **علاقة الندوي بفكر الإخوان المسلمين:** نرى أن الإحالة إلى ما تم تناوله عن مؤسس هذه الجماعة: الشيخ حسن البنا في هذا الفصل في سياق الحديث عنه كواحد من الشخصيات المعاصرة التي تأثر بها الندوي في حياته، يفي بالغرض من الوقوف على مدى التوافق بين فكري الرجلين، ولا نجد شاهداً أقوى على ما ذهبنا إليه كالذي ذكره الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه (الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته) باعتبار القرضاوي من

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٩.

(٢) يوسف القرضاوي، الشيخ أبو الحسن كما عرفته، ص١٢٢.

تلاميذ الشيخ البنا، وبحكم انتمائه القديم لحركة الإخوان المسلمين في مصر من جهة، وبحكم ما صرح به في كتابه أعلاه عن الشيخ الندوي؛ بأنه أخوه، وشيخه، وحبيبه[1]. من جهة أخرى يقول الدكتور القرضاوي عن موقف الندوي من الإصلاح: (واعتقد أن موقف الإمام الندوي في هذا المجال شابه أو قارب إلى حد كبير ـ موقف الإمام البنا، وإن ظن الكثيرون أن منهجي الإمامين في الإصلاح مختلفان، فمن قرأ تراث البنا بعمق، وجده يؤكد البدء بإصلاح الفرد، كما يؤكد أن إصلاح الفرد يبدأ أول ما يبدأ بصلاح نفسه، وزكاتها..)[2].

هكذا نرى أن الشيخ أبا الحسن الندوي، كان يعتقد بأن حركة الإخوان المسلمين التي نشأت في مصر، تمثل حركة إصلاحية مجددة للدين في العصر الحديث، تماماً كما كانت حركة التبليغ والدعوة التي نشأت في شبه القارة الهندية، وأعلن بأن مؤامرة القضاء عليها إن دلت على شيء فإنما تدل على دوافع شريرة تهدف إلى إطفاء نور الحق، وإبعاد أي دور للدين من مسرح الحياة. وعموماً نستطيع القول بأن الندوي قد انسجم فكره مع الأهداف العامة التي أعلنتها الحركات الإسلامية الشهيرة التي اتصل بها مثل: جماعة التبليغ والدعوة، والجماعة الإسلامية، والإخوان المسلمين مع وجود خصوصية في فكره لا تمثل خلافاً جوهرياً مع أي واحدة من تلك الحركات، والتي نرى بأنه أفاد من محاسنها. أما ما تركه فلا بد وأن يكون من جهود البشر التي يؤخذ بها أو ترد.

سابعاً: رحلات الندوي

كان شغوفاً بالتنقل داخل بلاده، وهذه الصفة قد حصلت له بالتشجيع من أسرته ـ وبخاصة من أخيه الأكبر، حيث كان يوفده لبعض العلماء الراسخين في

---

(١) المرجع نفسه، ص٧.

(٢) المرجع السابق، ص١١٩.

العلم من أصدقاء والده، وممن ربطتهم بالأسرة الحسنية روابط إخاء في الله، ثم نمت ورسخت فيه بعد اتصاله بجماعة التبليغ والدعوة، والخروج ببعض تلاميذه في رحلات دعوية إلى الأحياء والقرى التي كانت في حاجة لتوعية دينية، وقد أصبح السفر والترحال ملازماً له طوال حياته؛ من أجل الدعوة في داخل الهند وخارجها. وقد شملت رحلاته كل بلاده، كما شملت دولاً عديدة في قارات: آسيا وإفريقيا وأوربا وأمريكا الشمالية. أما البلاد العربية فقد حظيت بأكثر زياراته وبخاصة مهبط الوحي مكة والمدينة. وكانت أهداف تلك الرحلات:

(١) الحج والعمرة والزيارة.

(٢) المؤتمرات الإسلامية.

(٣) المؤتمرات واللقاءات الثقافية والأدبية.

(٤) تأسيس المراكز الدعوية والتعليمية.

(٥) زيارة بعض الجامعات لإلقاء المحاضرات أستاذاً زائراً، أو أثناء حضوره من أجل اجتماعات مجالس بعض الجامعات التي كان عضواً فيها.

تلك الرحلات أتاحت له لقاء أهم رموز المجتمع الإسلامي والعربي والجلوس معهم للتفاكر حول ما يصلح أحوال شعوبهم، وما ييسر لهم تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة. وقد التقى بملوك ورؤساء دول، وزعماء جماعات إسلامية، ومفكرين وكُتّاب، ورجال تربية وتعليم ودعوة، وصحافة وإعلام. وكان يرى في هذا الأسلوب الدعوي نفعاً كبيراً، وكان دافعه إلى ذلك الاستجابة لأمر الله ورسوله؛ بتبليغ الدعوة بالتي هي أحسن، والاهتمام بأمر المسلمين، وهو عندما يفعل ذلك يعي الحال الذي آلت إليه الأمة من ضعف وتفكك، وبُعْدٍ عن منهج الدين ـ هذه الأمة التي اختارها الله؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وقد ضمَّن هذه المعاني بأسلوب رصين في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين).

لقد أحب الندوي، الترحال؛ فأكسبه ذلك مزيداً من الثقافة والمعرفة، وأضاف إليه هذا التنقل ثروة منهما منذ الصغر؛ وذلك عن طريق المشاهدة والخبرة المباشرة؛ لذا ما كان يبالي بالسفر حتى عندما تقدمت به السن وأنهكه المرض.

ثامناً: ثقافة الندوي

ثقافته ثقافة رحبة ومتنوِّعة، جمعت بين القديم والحديث، وأضافت على الثقافة العربية الإسلامية الشرقية معرفة بالثقافة الغربية، وساعده على ذلك معرفته بلغات عديدة كانت نوافذ للثقافات المختلفة، فقد كان ماهراً بالعربية والأردية، ومجيداً للفارسية والهندية والإنجليزية. وقد تجلى أثر ثقافته الواسعة؛ في إنتاجه العلمي الرائع، وجهده الفكري المقدر. لقد تضافرت مؤثرات عديدة شكلت ثقافة الشيخ أبي الحسن الندوي منها: التنشئة، والتهذيب، والتعليم، والإطلاع الواسع، والرحلات وغيرها مما تناولناه آنفاً في هذا الفصل.

تاسعاً: مؤلفات الندوي

بدأ أبو الحسن الندوي الكتابة في عمر مبكر حيث نشر له أول مقال بالعربية في مجلة (المنار) للسيد رشيد رضا عام (١٩٣١م) حول حركة الشهيد أحمد بن عرفان، ثم ظهر له أول كتاب بلغة أردو بعنوان (سيرة سيد أحمد شهيد) عام (١٩٣٨م) ونال قبولاً واسعاً في الأوساط الدينية والعلمية. أما سيرته التي خطها قلمه عن حياته في كتابه (في مسيرة الحياة) وتعد سفراً في أدب التراجم الشخصية (Autobiography) ـ وكان الجزء الثالث من الكتاب قد تمت طباعته في عام (١٩٩٨م)، أي قبل وفاته بسنة واحدة، وبهذا يكون عمر الشيخ الندوي التأليفي أكثر من ستين سنة تقريباً. وقد أثبت له عدد من المهتمين بسيرته التأليفية عناوين لكتب، وبحوث، ومقالات، ترجم معظمها إلى لغات عديدة منها: الإنجليزية والفرنسية والإندونيسية ولغة الملايو وغيرها. ومن الذين اهتموا بإحصاء مؤلفاته:

(١) الأستاذ أحمد الجدع أثبت لأبي الحسن الندوي تحت عنوان إنتاجه الأدبي: اثنين وعشرين عنواناً، في كتابه (معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين)، وذكر في (ص١٥): (ألّف كتبه بالأردية والعربية، أو ترجمت إلى العربية، وله ما يزيد على مائتي كتاب ورسالة).

(٢) الأستاذ نذر الحفيظ الندوي الأزهري دوّن في كتابه (أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً) اثنين وثلاثين مؤلفاً بدون اتباع منهج معين في ترتيب تلك المؤلفات.

(٣) الدكتور يوسف القرضاوي أحصى له ستاً وسبعين ومائة مؤلف في كتابه (الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته)، وهي مرتبة على حروف الهجاء.

(٤) السيد عبد الماجد الغوري أحصى للشيخ أبي الحسن الندوي ثمانين ومائة مؤلف، ورتبها ترتيباً ألف بائياً تحت عنوان: قائمة بكتب سماحة الشيخ الندوي.

(٥) الدكتور محمد اجتباء الندوي أحصى واحداً وثمانين ومئة مؤلف بالعربية لأبي الحسن الندوي، وذلك في كتابه (أبو الحسن علي الحسني الندوي... الداعية الحكيم والمربي الجليل)، تحت: ملحق في مؤلفات سماحة الشيخ الندوي باللغة العربية، وذكر بأنها من إعداد: الأستاذ طارق زبير الندوي. وقد رتبها ترتيباً على حروف الهجاء.

نلاحظ أن الذين رتبوا كتب الشيخ الندوي في قوائم لإثباتها لم يعتمدوا على غير الترتيب الألف بائي.

(٦) الدكتور طالب بن محفوظ كتب في مقال بعنوان: (الندوي العلامة الذي لفت أنظار العالم إلى موقع الشخصية المسلمة) في العدد الممتاز من مجلة البعث الإسلامي، والخاص عن فقيد الأمة أبي الحسن الندوي (ص١٦٩) نقلاً عن الدكتور عبد الباسط بدر مدير عام مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، وعضو مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي قوله: (... بلغت مجموع مؤلفاته سبعمائة عنوان؛ منها: سبعون ومائة مؤلف بالعربية...).

وقد شهد له الدعاة والأدباء بالقدرة اللغوية الفائقة والأسلوب الرصين البليغ الذي يكتب به، ونكتفي بما قاله الشيخ علي الطنطاوي في تقديمه لكتاب (مختارات من أدب العرب) لأبي الحسن الندوي: (قد يشتغل غير العربي بعلوم العربية حتى يكون إماماً فيها؛ في اللغة والنحو، والصرف والاشتقاق، وفي سعة الرواية، بل إن أكثر علماء العربية كانوا ـ في الواقع ـ من غير العرب، ولكن من النادر أن يكون فيهم من له هذا الذوق الأدبي الذي نعرفه لأبي الحسن، فلو لم تثبت عربيته بالنسب، لثبتت بأصالة الأدب)!

ولقد رأينا أن نضع قوائم بكتب الشيخ أبي الحسن الندوي، ليكون النظر فيها متاحاً للباحثين والمطالعين لمؤلفات هذا الكاتب الإسلامي المعاصر؛ للوقوف عليها. كما رأينا ـ أيضاً ـ اعتماد ترتيب هذه المؤلفات أبجدياً؛ وذلك من باب التنوع، ولكون الترتيب الأبجدي أكثر وضوحاً من الألف بائي الذي تختلط فيه الحروف لتشابهها في الرسم، وسيكون الترتيب الألف بائي الذي أعده: الأستاذ طارق زبير الندوي، واختاره الدكتور محمد اجتباء الندوي ملحقاً في آخر كتابه (أبو الحسن علي الحسني الندوي.. الداعية الحكيم والمربي الجليل) سيكون هذا أساساً للترتيب الأبجدي الذي اخترناه؛ لأنه يشتمل على الكتب الكاملة، وعلى المحاضرات والمقالات التي طبعت منفردة، ثم أدرجت في كتب المؤلف، أو أخذت من الكتب الكاملة (محمد اجتباء الندوي، هامش بصفحة ١٥٥ من الكتاب أعلاه).

وخلاصة القول: إن العناوين التي بين يدينا من مؤلفات الشيخ أبي الحسن الندوي التي بلغت واحداً وثمانين ومائة كتاب بالعربية، تمثل جزءاً من إنتاجه الفكري الإجمالي الذي بلغ السبعمائة عنوان، وهذه الجهود لن تدع للمتأمل فيها أي مجال للشك فيما ذهبنا إليه؛ من أن الرجل صاحب ثقافة موسوعية فريدة، أهلته لإنتاج هذه الآثار الباهرة، كما يمكن إضافة ملاحظات أخرى، وهي أن هذا المفكر يؤلف:

أ) بحسب الحاجة.

ب) بطَلَبٍ من بعض معارفه الملمين بقدراته العقلية؛ لعلاج ظاهرة معينة.

ج) لإبراز فكر معتدل.

د) بلغة رصينة، وأسلوب بليغ، وثقافة عميقة ومتنوعة.

عاشراً: حياة الندوي العلمية

اعتمدنا على سرد حياته العلمية مما استنبطناه من كتابه: (في مسيرة الحياة) بأجزائه الثلاثة، وبعض ما ألفه تلاميذه عن حياته العملية، وهذا بيان لها:

(١) اشتغل بالتدريس في دار العلوم بندوة العلماء لمادتي الأدب العربي والتفسير منذ (١٩٣٤- ١٩٤٤م)، حيث تفرغ بعد ذلك للدعوة الإسلامية بقلمه ولسانه.

(٢) كان يكتب في مجلة الضياء العربية، ويراسل كبار الكتاب في الوطن العربي منذ الثلاثينيات من القرن الماضي.

(٣) على مدى أكثر من ستين سنة كان يجاهد بالكلمة والمال في سبيل الإصلاح، وقد عرف بدعوته (رسالة الإنسانية) التي دعا بها غير المسلمين في شبه القارة الهندية وخارجها، فلقيت القبول من الكثيرين.

(٤) عمل أستاذاً زائراً في كلية الشريعة في جامعة دمشق بدعوة من عميدها الدكتور مصطفى السباعي، وعمل عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بدمشق.

(٥) مؤسس المجمع العلمي الإسلامي بالهند ورئيسه.

(٦) الأمين العام لندوة العلماء، ورئيس دار العلوم منذ ١٣٨٠هـ (١٩٦٢م) إلى وفاته.

(٧) عضو المجلس التنفيذي لمعهد (ديوبند).

(٨) مؤسس المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي في جامعة ندوة العلماء.

(٩) ترأس المجلس التعليمي لعموم الجامعات والمدارس الإسلامية في الهند.

(١٠) عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(١١) عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

(١٢) عضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد بمكة المكرمة.

(١٣) عضو المجمع الفقهي بمكة المكرمة.

(١٤) عضو مجمع اللغة العربية الأردني.

(١٥) عضو المجلس التنفيذي لرابطة الجامعات بالرباط.

(١٦) رئيس هيئة الأحوال الشخصية لعموم الهند.

(١٧) رئيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابراديش).

(١٨) عضو المجلس التأسيسي الأعلى للدعوة الإسلامية بالقاهرة.

(١٩) عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٢٠) عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد (باكستان).

(٢١) رئيس مركز (أكسفورد) للدراسات الإسلامية بإنجلترا.

(٢٢) على رأس مؤسسي رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيسها إلى حين وفاته.

(٢٣) له مواقف لا تحصى في دعم قضايا أكبر أقلية مسلمة في العالم تضم حوالي مائة وخمسين مليون مسلم هندي.

(٢٤) له بصمات دعوية في كثير من دول العالم.

حادي عشر: تلاميذ الندوي

تتلمذ على يديه وتحت رعايته تلامذة كثيرون، ويكفي دار العلوم بندوة العلماء شرفاً أن كان الندوي مدرساً بها لمدة عشر سنوات، وأميناً عاماً لها نحو سبع وثلاثين سنة. وكان من التلاميذ من لازمه وانتظم في دروسه ومحاضراته داخل الجامعة وخارجها، ومنهم من أخذ عنه من خلال كتبه ومؤلفاته وأحاديثه في العالم الإسلامي، والعربي، والغربي، وقد حملوا أدوات فكره وطرائق إصلاحه وأساليب دعوته ومنهم:

(١) الأستاذ محمد الحسني الندوي يرحمه الله (ت في ١٣٩٩/٧/١٧هـ الموافق ١٩٧٩/٦/١٤م) وهو ابن أخيه د. عبد العلي الحسني، وكان رئيساً لتحرير مجلة البعث الإسلامي سابقاً، ومؤلف كتاب (الإسلام الممتحن) و(مصر تتنفس) و(تناقض تحار فيه العقول). اختصه الله بالنبوغ المبكر، والكتابة الرصينة، والأسلوب البليغ، وقد اهتم بتربيته الشيخ الندوي منذ صباه فألف له (قصص النبيين للأطفال) عندما بدأ يتعلم العربية.

(٢) الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي وهو ابن أخته الكبرى، وملازمه في كثير من أسفاره. ويشغل رئيس ندوة العلماء العام، ونائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض)، وأمين المجمع الإسلامي العلمي بلكهنؤ (الهند). صنف عدة كتب في الأدب والتحرير، والنقد والتاريخ، والثقافة الإسلامية باللغتين العربية والأردية.

(٣) الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي: أحد أساتذة الأدب الكبار في دار العلوم ـ ندوة العلماء، ورئيس تحرير صحيفة (الرائد) العربية.

(٤) الدكتور سعيد الأعظمي الندوي: وهو عميد كلية اللغة العربية بدار العلوم ـ ندوة العلماء ـ ورئيس تحرير مجلة (البعث الإسلامي).

(٥) الأستاذ نذر الحفيظ الأزهري الندوي: أستاذ الأدب العربي في دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ وهو من تلاميذ الشيخ أبي الحسن النابغين والمقربين منه.

(٦) د. محمد اجتباء الندوي: درّس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ورئيس قسم الأدب العربي بجامعة كشمير سابقاً، والأمين العام للمركز الإسلامي بدلهي الجديدة (حالياً). هو مؤلف كتاب (نواب صديق حسن خان: حياته وآثاره) الذي قدم له الشيخ أبو الحسن الندوي.

(٧) الشيخ سلمان الحسني الندوي: هو حفيد د. عبد العلي الحسني الأخ الأكبر لأبي الحسن الندوي، أستاذ الحديث، ووكيل كلية الشريعة وأصول

الدين بدار العلوم ـ ندوة العلماء، ومؤسس جمعية الشباب الإسلامي، ورئيس جامعة أحمد بن عرفان الشهيد بلكهنؤ.

(٨) الدكتور رضوان علي الندوي: مدرس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (سابقاً)، ورئيس قسم الأدب العربي بجامعة كراتشي حالياً.

(٩) الدكتور عبد الله عباس الندوي: مدرس سابق بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وأستاذ الأدب العربي، ومدير الشؤون التعليمية بدار العلوم ـ ندوة العلماء (المستشار التعليمي للندوة الآن).

ثاني عشر: أخلاق الندوي

أجمع تلاميذه ومعارفه الذين كتبوا عنه على أنه كان يتمتع بالتقوى، والزهد، والبذل والسخاء، والتواضع، والشفقة بالآخرين، وبالإيثار، والإخلاص، والصبر، وحب العلماء والتواضع لهم، وعفة اللسان والتّعلم. ونكتفي باقتباس بعض ما كُتِب عنه فيما يلي: (ومن هذه الأخلاق الندوية: الرقة، والسماحة، والسخاء، والشجاعة، والرفق والحلم، والصبر، والاعتدال، والتواضع، والزهد، والجد، والصدق مع الله ومع الناس، والإخلاص، والبعد عن الغرور والعجب، والأمل، والثقة، والتوكل، واليقين، والخشية، والمراقبة، وغيرها من الفضائل والأخلاق الربانية والإنسانية.. وهذا من بركات النشأة الصالحة في البيئة الصالحة...)[1].

ثالث عشر: وفاة الشيخ أبي الحسن الندوي

توفي وهو يتلو القرآن الكريم، قبيل موعد صلاة الجمعة في قريته التي ولد بها (تكية) بمديرية (راي بريلي) في شمال الهند، بسبب نوبة قلبية، وقد تأثر بفقده العلماء، والطلاب، والعامة، والخاصة، وذكره وأثنى عليه جُلُّ أهل العلم ـ في بلاد كثيرة ـ عند سماع نبأ وفاته، وعبروا عن حزنهم عليه نثراً وشعراً.

---

(١) يوسف القرضاوي، الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص٧٧.

رابع عشر: بعض ما قيل عنه بعد وفاته

(١) بعض كلمات قالها تلميذه عبد الله عباس الندوي المستشار التعليمي لجامعة ندوة العلماء: (مات الداعية الإسلامي العظيم، العالم الزاهد التقي المشهود له بالسداد والصلاح في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي... لم تكن الدنيا همه، ولم يمد عينيه إلى ما متع الله به الآخرين من زخرف الحياة.. أقبلت عليه الدنيا فرفضها...أهديت إليه الهدايا والجوائز ووزعها في مجلسه قبل أن يقوم من مقامه، وقلَّ من يعرف أنه لم يكن يملك بيتاً في مدينة عاش بها مدة حياته.. كان ينام، ويأكل ويستقبل زائريه، منهم الفقراء والعلماء، ومنهم رؤساء الحكم والوزراء والسفراء في غرفة صغيرة مفروشة بفراش خفيف الوزن والثمن.. خدم ندوة العلماء أكثر من نصف قرن، ولم يأخذ من أمواله كسرة خبز أو شربة ماء، وأعطى دار العلوم لندوة العلماء ومؤسساتها ما تلقاه من الهدايا لنفسه، وتحولت ندوة العلماء في عصره من مدرسة كبيرة الاسم، صغيرة الحجم إلى جامعة معروفة دولية، ولها منشآت ومدارس وسكنات للطلبة، ولم تكن من قبل إلا عمارة مكونة من ست عشرة غرفة، وليس لها دور غير دور أرضي، ومبنى للدراسات أنشئ قبل قرن)[1].

(٢) تعزية إمام وخطيب الحرم المكي الشريف الشيخ عمر بن محمد السبيل بتاريخ ١٤٢٠/٩/٢٦هـ: (فقد علمت بنبأ وفاة سماحة العلامة الكبير، والداعية الشهير، الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، فأصبت بأسىً بالغ، وحزن عميق، لهذا النبأ الأليم.. إنني لأعزي نفسي وإخواني المسلمين! لا سيما في بلاد الهند؛ لما لسماحته، يرحمه الله، من جهود كبيرة في سبيل

---

(١) البعث الإسلامي، عدد ممتاز عن فقيد الأمة الإسلامية، تصدرها مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)، ص ص٥-٦.

الدعوة إلى الله تعالى، ورفع راية الإسلام على مستوى العالم الإسلامي، ومع ما يتميز به، رحمه الله، من العمل، وصدق في القول، وإخلاص في العلم، وحسن في الأسلوب، مما بوّأه مكانة عالية بين علماء هذا الزمان، حتى عدَّ من أفذاذ العلماء، وأبرز الدعاة في هذا العصر)[1].

(٣) رسالة تعزية من جائزة الملك فيصل العالمية بالرياض إلى ندوة العلماء بلكهنؤ بالهند كتبت باللغة الإنجليزية وجاء فيها:

"Muslim Umma has lost a great scholar" أي أن الأمة الإسلامية قد خسرت باحثاً عظيماً، هو العلامة أبو الحسن الندوي[2].

(٤) تعزية الأمين العام المساعد للندوة العالمية للشباب الإسلامي بجدة، وجاء فيها: (تلقت الندوة العالمية للشباب الإسلامي ببالغ الحزن والأسى نبأ وفاة المربي الفاضل والعلامة الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، فقد كان للشيخ الفقيد أثر بالغ على الصحوة الإسلامية التي استفادت كثيراً من فكره المتميز، وعطائه الفياض، ولقد كانت كتبه ومؤلفاته منابر من نور استقى منها الشباب المسلم الكثير في مجال العلوم الإسلامية، واستقرت في أكرم موضع داخل كلّ بيت مسلم...)[3].

(٥) كلمة رابطة الأدب الإسلامي العالمي (المكتب الإقليمي بالقاهرة): جاء على لسان محمد عبد الشافي القوصي سكرتير الرابطة: (... إن الإمام الراحل كان رمزاً للجهاد في الحق بعلم ووعي، وإن الفقيد ترك تراثاً نادراً، وساهم بجهد وافر في التأصيل للأدب الإسلامي وتوظيفه في خدمة الدعوة محلياً وخارجياً، كما قدم رؤىً ودراسات متعددة حول تنقية الأدب العربي المعاصر من كل الشوائب التي تصطدم بالعقيدة). كما عبر

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٤.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص١١٥.

الدكتور عبد الحليم عويس أستاذ التاريخ الإسلامي المعروف (بجامعة الزقازيق) قائلاً: (إنَّ الشيخ الندوي كان علامة فارقة في تاريخ الأمة الإسلامية، وأنه واحد من القلائل الذين ساهموا في صنع حضارة هذه الأمة خلال قرن...)[1].

(٦) كلمة رابطة العالم الإسلامي، بقلم الدكتور عبد الله بن صالح العبيد، الأمين العام للرابطة، يقول عن الشيخ الندوي: (عمل ـ رحمه الله ـ على التعريف بالإسلام الصحيح، والدعوة إلى الدين الحنيف بالحكمة والموعظة الحسنة، واتباع السلف الصالح ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ ونادى حتى يوم وفاته المسلمين بالتمسك بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، مؤكداً على أنّ وحدة الأمة الإسلامية، هي بعون الله العاصم لها من التفرق...)[2].

أثر البيئة (الاجتماعية والثقافية والطبيعية) التي كونت شخصية الندوي

لقد تأمل المؤلف أثناء مشاهدته للبيئة التي كانت تحيط بالعلامة الندوي؛ وذلك عند زيارته لمسقط رأس هذا العالم جملة ملاحظات، يمكن إجمالها فيما يلي:

(١) مقابلة أفراد أسرة الشيخ أبي الحسن الندوي، ومشاهدة واقع حياتهم المتقيدة بتعاليم الدين وقيمه، والتي يتوارثونها جيلاً عن جيل، أقنعتنا بأن تلك البيئة الاجتماعية الصغيرة، كانت مؤهلة لبروز هذا المفكر المصلح.

(٢) الزهد والبساطة التي تميز بها الندوي، والمأخوذة من التربية الإسلامية التي نشأ عليها، تَعزّزت لديه من موروثاته الوطنية التي عُرف بها المجتمع الهندي من قديم الزمان، والتي يمكن ملاحظتها في الملبس والمأكل والمشرب ونحوه.

---

(١) المرجع نفسه، ص١٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٩.

(٣) دار العلوم بندوة العلماء ومدارسها التابعة لها بيئة تعليمية وتربوية صالحة، وقد رأينا فيها تفعيلاً للقيم الدينية في واقع الحياة اليومية للمتعلمين، ولا شك أن أبا الحسن الندوي قد استفاد من هذه البيئة أثناء تعلمه في دار العلوم، وقد اعترف الشيخ بفضل دار العلوم في تشكيل عقليته.

(٤) الحياة العامة المتسمة بقدر كبير من الحرية في بلاده أتاحت للشيخ فرصة الإنتاج الفكري الثر.

(٥) العلامة الندوي الذي نشأ على التوحيد منذ أن تفتحت عيناه على الدنيا، وهو يرى في نفسه مظاهر الوثنية من حوله؛ المتمثلة في عبادة آلهة متعددة، لا شك أنها رسخت في عقله الصورة التي كان عليها العرب قبل الإسلام، فأثارت العبادة الشركية في نفسه الإشفاق على من يعتنقون تلك الديانات الوثنية، وقد انعكس ذلك على جهوده الدعوية في داخل بلاده وخارجها، حيث كان موضوع الإيمان بالله وحده، وتغليب الجانب الروحي على الجانب المادي محور جهوده الفكرية.

(٦) جمال الطبيعة التي حبا الله بها بلاده، عزز في نفس هذا المصلح الأديب القدرة على الكتابة؛ بأسلوب أدبي بليغ رشيق ولطيف؛ لطف البيئة التي كان يتأملها بعقل وقلب المؤمن الصالح.

مؤلفات الندوي باللغة العربية

(أ)

(١) الاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية.

(٢) أحاديث صريحة في أمريكا.

(٣) أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين.

(٤) إذا هبت ريح الإيمان.

(٥) ارتباط مسير الإنسانية ومصيرها بقيام المسلمين بواجبهم، ودورهم في تكوين وحدة وتوجيه دعوة.

(٦) الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة.

(٧) أريد أن أتحدث إلى الإخوان.

(٨) إزالة أسباب الخذلان أهم من إزالة آثار العدوان.

(٩) أزمة إيمان وأخلاق.

(١٠) أسبوعان في المغرب الأقصى.

(١١) أسمعيات للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي.

(١٢) الإسلام: أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية.

(١٣) الإسلام فوق القوميات والعصبيات.

(١٤) الإسلام في عالم متغير.

(١٥) الإسلام والحضارة الإنسانية وواقع العالم الإسلامي.

(١٦) الإسلام والحكم.

(١٧) الإسلام والغرب.

(١٨) الإسلام والمستشرقون.

(١٩) اسمعوها مني صريحة أيها العرب.

(٢٠) اسمعي يا إيران.

(٢١) اسمعي يا زهرة الصحراء.

(٢٢) اسمعي يا سوريا.

(٢٣) اسمعي يا مصر.

(٢٤) أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية، ومدارسها الفكرية، ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند.

(٢٥) أكبر خطر على العالم العربي المؤامرات والمخططات الدقيقة العميقة لقطع العرب عن الإسلام (استعراض تاريخي تنبيه وإنذار).

(٢٦) إلى الإسلام من جديد.

(٢٧) إلى الراية المحمدية أيها العرب.

(٢٨) إلى شاطئ النجاة.

(٢٩) إلى قمة القيادة العالمية.

(٣٠) إلى ممثلي البلاد الإسلامية.

(٣١) الإمام الحسن البصري.

(٣٢) الإمام عبد القادر الجيلاني.

(٣٣) الإمام الذي لم يوف حقه من الإنصاف والاعتراف به (أحمد بن عرفان الشهيد).

(٣٤) الإمام الشهيد حسن البنا.

(٣٥) الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وكتابه صحيح البخاري.

(٣٦) الأمة الإسلامية وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل.

(٣٧) أمريكا وأوروبا وإسرائيل.

(٣٨) إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب.

(٣٩) أهمية الحضارة في تاريخ الديانات وحياة أصحابها.

(٤٠) أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية وأثره البعيد في اتجاهاتها وقياداتها.

(ب)

(٤١) بين الإنسانية وأصدقائها.

(٤٢) بين الجباية والهداية.

(٤٣) بين الدين والمدنية.

(٤٤) بين الصورة والحقيقة.

(٤٥) بين العالم وجزيرة العرب.

(٤٦) بين نظرتين.

(ج)

(٤٧) جوانب السيرة المضيئة في المدائح النبوية الفارسية والأردية.

(د)

(٤٨) الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته.

(٤٩) دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المرويَّة.

(٥٠) درس من الحوادث.

(٥١) دعوة وتاريخ.

(٥٢) الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر: جبهاتها الحاسمة ومجالاتها الرئيسة.

(٥٣) الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها.

(٥٤) الدعوة إلى الله حماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف.

(٥٥) الدعوة والدعاة مسؤولية وتاريخ.

أ) الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر.

ب) كيف انتشر الإسلام في الهند.

ج) دور الجامعات الإسلامية المطلوب في إعداد الدعاة.

(٥٦) دور الإسلام الإصلاحي في مجال العلوم الإنسانية.

(٥٧) دور الإسلام في تقدم البلاد التي دخلها.

(٥٨) دور الإسلام في نهضة الشعوب.

(٥٩) دور الأمة الإسلامية في إنقاذ البشرية وإسعادها.

(٦٠) دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء وتكوين الدعاة وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة.

(٦١) دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته.

(٦٢) دور المسلمين القيادي والاجتهادي في الهند.

(هـ)

(٦٣) هلال رمضان يتكلم.

(و)

(٦٤) وأذن في الناس بالحج.

(٦٥) واقع العالم الإسلامي وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه.

(٦٦) وا معتصماه!

(ز)

لا شيء.

(ح)

(٦٧) حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي.

(٦٨) حاجة العالم إلى الدعوة الإسلامية.

(٦٩) حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي أفضل.

(٧٠) الحاجة إلى التركيز على جانب حاسم.

(٧١) حديث مع الغرب.

(٧٢) الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل المثقف كما يراه شاعر الهند الكبير لسان العصر السيد أكبر حسين الإله آبادي.

(٧٣) حكمة الدعوة وصفة الدعاة.

(ط)

(٧٤) الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة.

(٧٥) الطريق إلى المدينة المنورة.

(ي)

لا شيء.

(ك)

(٧٦) كارثة التعصب اللغوي والثقافي.

(٧٧) كارثة العالم العربي الحقيقية وأسبابها.

(٧٨) كلمة عن أدب التراجم والحديث عن الكتب.

(٧٩) كيف توجه المعارف في الأقطار الإسلامية؟.

(٨٠) كيف دخل العرب التاريخ؟.

(٨١) كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة بهم، وكيف يحافظون عليها؟.

(٨٢) كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز والجزيرة العربية؟.

(ل)

لا شيء.

(م)

(٨٣) المأساة الأخيرة في العالم العربي ودراستها من الناحية الدينية والخلقية والمبدئية والدعوية، وتحليل أسبابها وانعكاساتها.

(٨٤) المأساة الفلسطينية في بيروت.

(٨٥) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟.

(٨٦) المجتمع الإسلامي المعاصر: فضله وقيمته، حاجته ومتطلباته، وطريق الانتفاع به.

(٨٧) محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (جمعها السيد عبد الماجد الغوري).

(٨٨) محمد رسول الله ﷺ الأعظم وصاحب المنة الكبرى على العالم، ومسؤولية العالم المتمدن؛ الصفات الأدبية والخلقية ونحوه.

(٨٩) مختارات من أدب العرب.

(٩٠) المدخل إلى الدراسات القرآنية.

(٩١) المد والجزر في تاريخ الإسلام.

(٩٢) مذكرات سائح في الشرق العربي.

(٩٣) المرتضى (سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه).

(٩٤) مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج.

(٩٥) المسلمون تجاه الحضارة الغربية.

(٩٦) المسلمون في الهند.

(٩٧) المسلمون ودورهم.

(٩٨) المسلمون وقضية فلسطين.

(٩٩) مصادر العلوم الإسلامية.

(١٠٠) مطالبة القرآن الانقياد التام والاستسلام الكامل.

(١٠١) مع الإسلام.

(١٠٢) معقل الإنسانية.

(١٠٣) المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي.

(١٠٤) مقالات إسلامية في الفكر والدعوة للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي.

(١٠٥) ملة إبراهيم وحضارة الإسلام يجب أن ندعو إليها على بصيرة وثقة.

(١٠٦) من الجاهلية إلى الإسلام.

(١٠٧) من دون أحد.

(١٠٨) من غار حراء.

(١٠٩) من مؤلفات الشيخ، تتضمن:

أ- صلاح الدين الأيوبي.

ب- نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان.

ج- وسائل الإعلام.

د- دور الإسلام الجذري في مجال العلوم الإنسانية.

(١١٠) من نفحات القرن الأول.

(١١١) من نهر كابل إلى نهر اليرموك.

(١١٢) منهج أفضل من الإصلاح للدعاة والعلماء.

(١١٣) مواساة أم مساواة؟

(١١٤) مواقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية.

(١١٥) موقف المسلم إزاء أسلافه الجاهليين.

(ن)

(١١٦) النبوة والأنبياء.

(١١٧) النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة.

(١١٨) النبي الخاتم.

(١١٩) النبي الخاتم والدين الكامل وما لهما من أهمية في تاريخ الأديان والملل.

(١٢٠) نحن الآن في المغرب.

(١٢١) نحو تكوين مجتمع إسلامي جديد.

(١٢٢) ندوة العلماء ـ تاريخها ورسالتها.

(١٢٣) ندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة.

(١٢٤) نظامان إلهيان للغلبة والانتصار.

(١٢٥) نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية وأثره البعيد في اتجاهاتها وقياداتها؛ يتضمن محاضرتين حول التربية:

أ- أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية.

ب- حياة الشباب المسلمين ومسؤولية نظام التعليم والتربية.

(١٢٦) نظرات في الأدب.

(١٢٧) نظرات على الجامع الصحيح للإمام البخاري وميزات أبوابه وتراجمه.

(١٢٨) نظرة جديدة على التراث الأدبي العربي.

(١٢٩) نظرة مؤمن واع إلى المدنيات المعاصرة الزائفة.

(١٣٠) نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان.

(س)

(١٣١) سياسة التربية والتعليم السليمة.

(١٣٢) سيرة خاتم النبيين.

(١٣٣) السيرة النبوية.

(ع)

(١٣٤) عاصفة يواجهها العالم الإسلامي والعربي.

(١٣٥) العرب والإسلام.

(١٣٦) العرب يكتشفون أنفسهم.

(١٣٧) العقيدة والعبادة والسلوك.

(١٣٨) على الخشبة.

(١٣٩) العوامل الأساسية في كارثة فلسطين.

(ف)

(١٤٠) فاستخف قومه فأطاعوه.

(١٤١) الفتح للعرب والمسلمين.

(١٤٢) فضل البعثة المحمدية على الإنسانية.

(١٤٣) في ظلال البعثة المحمدية.

(١٤٤) في مسيرة الحياة.

(ص)

(١٤٥) الصراع بين الإيمان والمادية أو (تأملات في سورة الكهف).

(١٤٦) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية.

(١٤٧) صلاح الدين الأيوبي.

(١٤٨) صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية.

(ق)

(١٤٩) القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام.

(١٥٠) القاديانية مؤامرة خطيرة وثورة على النبوة المحمدية.

(١٥١) القادياني والقاديانية.

(١٥٢) قارنوا بين الربح والخسارة.

(١٥٣) القراءة الراشدة.

(١٥٤) القرن الخامس عشر الهجري الجديد في ضوء التاريخ والواقع.

(١٥٥) قصص من التاريخ الإسلامي.

(١٥٦) قصص النبيين.

(١٥٧) قصة كتب يحكيها مؤلفها.

(١٥٨) قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم.

(ر)

(١٥٩) ربانية لا رهبانية.

(١٦٠) رجال الفكر والدعوة في الإسلام.

(١٦١) رحلات العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي.

(١٦٢) ردة ولا أبا بكر لها.

(١٦٣) رسائل الأعلام.

(١٦٤) رسالة التوحيد.

(١٦٥) رسالة سيرة النبي الأمين على إنسان القرن العشرين.

(١٦٦) روائع إقبال.

(١٦٧) روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة.

(ش)

(١٦٨) شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال.

(١٦٩) شخصيات وكتب.

(ت)

(١٧٠) تأملات في القرآن الكريم.

(١٧١) التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية.

(١٧٢) ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد.

(١٧٣) ترشيد الصحوة الإسلامية.

(١٧٤) تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية.

(١٧٥) تعالوا نحاسب نفوسنا وقادتنا.

(١٧٦) التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي وسيد قطب.

(ث)

(١٧٧) ثورة في التفكير.

(خ)

(١٧٨) خليج بين الإسلام والمسلمين.

(١٧٩) خواطر وفصول.

(ذ)

لا شيء.

(ض)

لا شيء.

(ظ)

لا شيء.

(غ)

(١٨٠) غارة التتار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام.

الفصل الثالث

آراء الندوي التربوية
عرض ومناقشة وتحليل

أولاً: مفهوم التربية

مفهوم التربية عند الندوي نقتطفه من رسالة وجهها الشيخ أبو الحسن في شكل مقالة أعدها لمؤتمر تكوين الدعاة الذي عقدته رابطة الجامعات الإسلامية بالقاهرة في ضيافة جامعة الأزهر، وبتعاون مع وزارة الأوقاف المصرية في الفترة ما بين ٢٠-٢٢ من شعبان ١٤٠٧هـ الموافق (١٨-٢٠ إبريل ١٩٨٧م). يقول الشيخ الندوي بأنه يوافق خبيراً تعليمياً بريطانياً معروفاً هو السير برسي نين (Sir Prrcy Nenn) والذي كتب في مقال له عن التعليم (Education) في دائرة المعارف البريطانية (The Encyclopcdai Britannica) - كتب ما يلي: (لقد سلك الناس مسالك مختلفة في التعريف بالتربية، ولكن الفكرة الأساسية التي تسيطر عليهم جميعاً: أن التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه؛ لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها. إن وظيفة المدرسة أن تمنح القوى الروحية فرصة التأثير في التلميذ، تلك القوى الروحية التي تتصل بنظرية الحياة، وتربي التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب...)[1]. والشيخ الندوي يصرح بموافقته على ما ذهب إليه الخبير التعليمي البريطاني في مقالته، ولكنها موافقة على عموم التعريف بالتربية؛ ذلك لأنه يستدرك ويبين مفهومه للتربية الإلهية التي جاء بها الإسلام، يقول معلقاً: (هذا تعريف جامع جداً، لكن إذا كان الأمر أمر أمة عقائدها ليست من عند نفسها؛ بل هي نابعة من الوحي الإلهي والكلام الإلهي، والنبوة والرسالة والعلم اليقيني الغيبي الأزلي الذي لا يحول ولا يزول، ولا يتغير قليلاً أو كثيراً، فهناك تتضاعف المسؤولية وتتضخم)، ونرى أن الشيخ أبا الحسن يريد بيان ما تعنيه التربية الإسلامية بالنسبة للمسلمين من حيث ارتباطهم بها ارتباطاً لا غنىً عنه لأنها تربية إلهية، وإن

---

(١) أبو الحسن الندوي، دور الجامعات الإسلامية...، ط١، المطبعة الندوية (مؤسسة الصحافة والنشر)، ندوة العلماء - لكهنؤ (الهند)، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م)، ص٧، والطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت (لبنان)، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م)، ص١٢٨.

جاز لأمة أن تستعير تربية وضعية؛ لأنها تناسبها، فهذا لا يجوز بالنسبة للأمة الإسلامية؛ لأن تربيتها نابعة من كتاب الله خالق الوجود، والمدبر للكون، والعليم بما ينفع خلقه. وهي نابعة كذلك من سنة النبي الخاتم الذي لا ينطق عن الهوى.

هكذا يتضح مفهوم التربية، والتربية الإسلامية عند العلامة الندوي من خلال ما استشهدنا به من رسالته آنفاً، وهذا يتوافق مع ما ذهب إليه الدكتور محب الدين أبو صالح الذي اعتمدنا على موجز بحث له بعنوان: (التربية الإسلامية عند سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي)، يقول الدكتور محب الدين أبو صالح بأنه ـ من خلال فهمه لآثار العلامة الندوي ـ: قد خرج بما يفيد أن التربية الإسلامية عند الشيخ الندوي: هي النظام التربوي الذي جاء به الإسلام، لتحقيق غاياته وأهدافه؛ لصياغة المسلم صياغة ربانية، وهذا ما نوافقه عليه، غير أن الدكتور أبا صالح أورد في ذات الموضوع بأن الشيخ الندوي لم يعط تعريفاً للتربية الإسلامية، لكن ما استشهدنا به يمكن أن يكون رأياً صريحاً للشيخ أبي الحسن في بيان التربية الإسلامية، وهو بمثابة تعريف لها.

ثانياً: مصادر التربية

(١) **الكتاب الكريم**: وهو القرآن، كلام الله الذي أنزله على نبيه محمد خاتم النبيين ﷺ عن طريق الوحي، وهو المصدر الأول للعقيدة والشريعة والأخلاق والسلوك، وهو الكتاب الخالد، ودستور الإسلام، وعماد الملة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يقول عنه الشيخ أبو الحسن: (وقد قرنت حياة المسلمين به صلاة وتعبداً، وأحكاماً ومدنيةً واجتماعاً، وعلماً وأدباً، فبلغ تعلق قلوب المسلمين به إلى حدٍّ الغرام والهيام، وكثر عدد حفاظه فيهم من أقدم العصور)[1]. ويتحدث الدكتور يوسف القرضاوي عن

(١) أبو الحسن الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ط٧، دار القلم دمشق، ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م)، ص١٣١.

صلة الشيخ أبي الحسن بالقرآن قائلاً: (مصدره الأول، منه يستمد، وعليه يعتمد، وبه يأنس، وإليه يحتكم، يتعبد بتلاوته، ويتلذذ بقراءته، ويزداد إيماناً إذا تلي عليه، ويعيش في رحابه، متجاوباً مع آياته، متدبراً لمعانيه، يستخرج منه اللآلئ والجواهر، يعرضها في محاضراته وكتبه ورسائله بعقل متفكر، وقلب متأثر، يشهد بذلك كله من استمع إليه محاضراً، أو قرأ كتبه الكبيرة والصغيرة، فهو رجل القرآن حقاً، ومن كان القرآن إمامه فلن يضل أبداً)[1]. وفيما يلي بعض آثار الندوي في القرآن الكريم:

أ) تأملات في القرآن الكريم.

ب) تأملات في سورة الكهف.

ج) المدخل إلى الدراسات القرآنية.

د) مطالبة القرآن الانقياد التام والاستسلام الكامل.

(٢) **السنة:** مصدر فكر الندوي بعد كتاب الله (عز وجل) هي السنة النبوية المطهرة بكل تعريفاتها، المنسوبة إلى الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وهي المبينة لكتاب الله والشارحة له. وفي ذلك يقول العلامة الندوي: (إن الكتاب الوحيد الذي لا تبلى جدته، ولا يؤثر فيه الزمان هو كتاب الله المعجزة الخالدة، وسنة رسوله الثابتة، وما صح في حديثه ﷺ. أما ما عداهما فهو خاضع لناموس التغيير، قابل للتطوير والتنقيح، والحذف والزيادة، والاختيار والتخليص)[2]. وفيما يلي بعض آثاره التي غذى بها المكتبة الإسلامية:

أ) السيرة النبوية للكبار.

ب) سيرة خاتم النبيين (للأطفال).

---

(١) يوسف القرضاوي، الشيخ أبو الحسن كما عرفته، مرجع سابق، ص١١.

(٢) أبو الحسن الندوي، العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، ط٤، دار القلم، الكويت، ١٤١٥هـ (١٩٩٤م)، ص١٨.

ج) الحديث وأثره في الحياة الإسلامية.

د) جوانب السيرة المضيئة في المدائح النبوية الفارسية والأردية.

ه) دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة والمروية.

و) محمد رسول الله ﷺ الأعظم وصاحب المنة الكبرى على العالم.

ز) رسالة سيرة النبي الأمين إلى إنسان القرن العشرين.

ح) المدخل إلى دراسة الحديث النبوي الشريف.

هكذا بيّن العلامة الندوي أثر القرآن الكريم، ثم سنة رسوله وسيرته باعتبارها التطبيق العملي للقرآن، ومنها يأتي التأسي به ﷺ، وقد جعلها محور دعوته إما بالتدريس في دار العلوم لعدة سنوات أو في سائر كتاباته ومحاضراته، وأحاديثه العامة والخاصة على مدى أكثر من ستين سنة يرحمه الله!.

ثالثاً: أسس التربية، وهي:

(١) **العقيدة الصحيحة** ويبيّنها الشيخ الندوي بقوله: (منحة الإسلام الأولى ومأثرة محمد ﷺ الكبرى، هو أنه منح الإنسانية عقيدة التوحيد الصافية الغالية، فهي عقيدة ثائرة معجزة متدفقة بالقوة والحياة، مقلبة للأوضاع، مدمرة للآلهة الباطلة، لم تنل ولن تنال الإنسانية مثلها إلى يوم القيامة)[1]. وقد جعل الشيخ أبو الحسن العقيدة الصحيحة، والإيمان الصادق شرطاً أساساً لقبول العبادة والعمل عند الله سبحانه، يقول: (وقوام العبودية تصحيح العقيدة والإيمان. ومن تطرق إلى عقيدته خلل وتعرض إيمانه لفساد، لم يتقبل منه عبادة، ولم يصح له عمل. ومن صحت عقيدته واستقام إيمانه، كان القليل من عمله كثيراً، وهنا وجب على كل إنسان ألا يدخر وُسعاً في تصحيح إيمانه وأن يكون الحصول عليه والاستيثاق منه

---

(١) أبو الحسن الندوي، الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، بدون رقم طبعة، مطبعة ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند): مطبوعات المجمع الإسلامي العلمي رقم ١٩٠، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م)، ص١٦.

غاية عمله، ونهاية سؤله، ولا يعدل به شيئاً ولا يتأخر فيه دقيقة)[1]. ويتابع الندوي في التأكيد على العقيدة الصحيحة من خلال حديثه عن الشرك حيث يقول: (... الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله ويساوي بينهما، فلا فرق، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلالٍ وأعمالٍ خصها الله بذاته العلية، وجعلها شعاراً للعبودية لأحد من الناس، كالسجود لأحد والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، وكل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح الإنسان به مشركاً، وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان، أو الملك، أو الجني الذي يسجد له، أو يذبح أو ينذر له، أو يستغيث به، أقل من الله شأناً، وأصغر منه مكاناً، وأن الله هو الخالق وهذا عبده وخلقه...)[2]، وقد وصف الله اليهود والنصارى، الذين غلو في أحبارهم ورهبانهم، مثلما غلا المشركون في آلهتهم، بما وصف به عباد الأوثان والمشركين، وغضب على هؤلاء الغلاة المنحرفين، كما غضب على الغلاة المشركين، فقال تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣١) سورة التوبة.

لقد أولى العلامة الندوي جهداً مقدراً في نظرنا ـ عندما أخذ يؤلف للمتعلمين والمطالعين في سير الأنبياء وقصصهم والتي تدور حول كلمة التوحيد والتأكيد عليها، وهي التي جاء بها جميع الأنبياء والرسل من لدن آدم ـ عليه السلام ـ إلى محمد ﷺ، وبذلك كان الندوي جامعاً بين الجهد العملي والفكر النظري التأملي عند حديثه عن العقيدة في كثير من

---

(١) أبو الحسن الندوي، العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، ص ص٦٨-٦٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ص٧٠-٧١.

كتبه، والتي منها كتابه (العقيدة والعبادة والسلوك...)، وعن هذا الكتاب يقول د. عبد الحليم عويس الكاتب الإسلامي المعروف والأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً في سياق حديث له عن الشيخ الندوي بعد وفاته مبيناً جانباً من جهوده في تأليف هذا الكتاب: (وعبر ثلاثين صفحة من صفحات هذا الكتاب ـ بخلاف ما ورد في غيره من الكتب ـ يتتبع الشيخ الندوي أركان العقيدة وجوانبها المختلفة تتبعاً يجعلك تشعر ـ لو لم تكن عارفاً بالكتاب ـ كأنك تقرأ للإمام ابن تيمية أو للإمام محمد بن عبد الوهاب أو لشيخهما الإمام أحمد بن حنبل، بل أنه بعد أن يتكلم عن جهود ابن تيمية في غرس العقيدة الصحيحة والدفاع عنها يقول عنه: إنه جمع بين الإيمان القوي والاقتناع بعقيدة السلف الصالح والاطلاع الواسع الذي لا يرام فوقه)[1]. ومن هنا نستطيع أن نوافق رأي من ذهب من العلماء إلى أن الشيخ أبا الحسن الندوي يريد إقامة الإصلاح على أساس تصحيح العقيدة والعقل والقلب معاً، وقد بيّن ذلك د. عبد الله بن عبد المحسن التركي المدير السابق لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي حالياً ـ في سياق حديثه عن الندوي الذي كان (في رأيه) يمثل مدرسةً فكرية افتقدها العالم الإسلامي برحيله، يقول د. التركي: (شعر الشيخ بهذه المسؤولية واطمأن على أن إمكاناته العاطفية والعقلية والثقافية تسمح بذلك، ولهذا قرر أن يتجاوز مصلحته الفردية، وطموحات مراحل الفتوة والشباب، وراح يجاهد ويكتب فيما يستطيع أن يكتب من العلم والمعارف، كتابة الذي يريد إنهاض الأمة وبعثها وليس الذي يريد شهادةً من الشهادات، أو جائزةً من

---

(١) عبد الحليم عويس، (الشيخ أبو الحسن الندوي وجهوده في مجال العقيدة)، الصحوة الإسلامية (عدد ممتاز)، العدد ٣٦، القسم العربي بالجامعة الإسلامية دار العلوم حيدرأباد (الهند)، محرم ١٤٢١هـ (أبريل ٢٠٠٠م)، ص٥٥.

الجوائز، فحسبه أن تصل كلمته إلى عقول المسلمين وقلوبهم، وأن يهز جذوع العقول وأغصانها، بحيث تتساقط الأتربة والأفكار الجامدة وأن يهز ـ أيضاً ـ القلوب التي استمرأت الجمود والتقليد، أو التبعية العمياء لشيخ من الشيوخ أو طريقة من الطرق، فعمد الشيخ إلى هز أوتارها بالحديث عن الجوانب العاطفية والروحية في إطار الكتاب والسنة، قائلاً للمسلمين: وعليكم باتباع دين النبي العربي.. لا دين ابن عربي، وعليكم بالفتوحات المدنية لا الفتوحات المكية...)[1] في إشارة لمعارضة فكر محي الدين بن عربي الذي كان من غلاة المتصوفة.

والشيخ أبو الحسن الندوي يرى الناس فيما يتصل بأمور العقيدة (معرفة الله تعالى وعلم ذاته وصفاته وأفعاله) فريقين:

أ) فريق من الناس استند على ما جاء به النبيون، ثم استعملوا عقولهم تفكراً وتأملاً في خلق هذا الكون؛ فازدادوا يقيناً على يقين؛ فصفت عقيدتهم.

ب) فريق اعتمد على العقل المجرد وخاض في ذات الله ـ تعالى ـ وأفعاله وصفاته وفي آيات القرآن الكريم، وأخضعوها ـ حباً للإسلام تارة وضعفاً فيهم تارةً أخرى، أو أوّلوها تأويلاً يطابق ما ثبت وتقرر في الفلسفة اليونانية (فلسفة عتيقة وعريقة، جامعة بين العلم والديانة، مليئة بالأساطير والخرافات، وتغلغلت في نفوس أصحابها وشعورهم وأدبهم وديانـاتهم)[2]. ويؤكد الشيخ أبو الحسن في مصادر تلقي العقيدة الصحيحة بأنَّ أجلّ علم أخذ عن الأنبياء عليهم صلوات الله

---

(١) المرجع السابق، ص٥١.

(٢) أبو الحسن الندوي، العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، مرجع سابق، ص٥٩.

وسلامه، معرفة الله ـ تعالى ـ وعلم ذاته وصفاته وأفعاله، وذلك علم يختص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذ هو علم ليست له وسائل وآلات، ومعلومات أولية وتجارب عند البشر ولا يتناوله القياس ولا يفيد فيه الذكاء والفطنة لفقدان أساس القياس ـ وتعالى الله عن الأشياء والنظائر ـ وسموّه وتقدّسه وتنزّهه عن التشبيه والتمثيل، ولبعده عن كل ما عرف البشر وألفه وجربه في عالم الحس والمادة؛ لأنه ليس حلبةً تجري فيها جياد العقول، ويتسابق فيها عتاق العلم والتجربة[1].

ومن هنا نستطيع أن نقول بأن الإمام الندوي يرجّح الوحي (القرآن) الذي هو من لدن عليم خبير، على القياس العقلي الفلسفي؛ وذلك لأن العقل له حدود في أمر الغيبيات ولا يمكن له أن يتعداها. وهذا ما ذهب إليه الدكتور يوسف القرضاوي الذي جعل إعلاء الوحي على العقل في الشرعيات (العقيدة والنبوة والبعث والجزاء والأحكام) ركيزة من ركائز الدعوة عند الشيخ أبي الحسن الندوي حيث يقول: (... الركيزة الثانية من ركائز الدعوة عند الشيخ أبي الحسن الندوي: إعلاء الوحي على العقل في الشرعيات، وتتجلى في اعتبار الوحي هو المصدر الأوحد في المعرفة الدينية، فلا تتلقى الشريعة والأحكام الآمرة والناهية إلا منه... ومهمة العقل ـ وإن أوتي من الذكاء والعبقرية ما أوتي ـ أن يفهم نصوص الوحي وأن يفقه في ضوئها العقيدة التي تفسر الوجود، والشريعة التي تقرر العبادات وتضبط السلوك والمعاملات، وفق أمر الله تعالى ونهيه. ولكن العقل ليس هو مصدر العقيدة والشريعة)[2].

---

(١) مستخلص من: أبي الحسن الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، مرجع سابق، ص ص٢٦-٢٩.

(٢) يوسف القرضاوي، الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص٩٤.

ومما تقدم نستطيع أن نستخلص ما يلي:

أ) الأمة الإسلامية ذات مبدأ وعقيدة تميزها على سائر الأمم غير الإسلامية؛ لذا يجب أن تكون فلسفة التربية فيها قائمة على مبدأ التوحيد الخالص لا غيره.

ب) اعتماد أية فلسفة تربوية أجنبية (غير التربية الإسلامية) لن يتوافق مع ما تريده الأمة الإسلامية، التي تؤمن بعقيدة توحيد الله تعالى، ورسالة الإسلام الخاتمة.

(٢) **العبادات:** يذكّر الشيخ الندوي بمكانتها الرفيعة، وأهميتها البالغة في أنها الغاية الأولى التي خلق الله الإنسان من أجلها، يقول الشيخ أبو الحسن مبيناً هذا المفهوم: (جاءت بها الشريعة الإسلامية في صورة أكمل، وعني وشغف بها النبي ﷺ عنايةً وشغفاً يفوقان الوصف، وجاءت عشرات من الآيات القرآنية ومئات من الأحاديث النبوية، ترغّب فيها وتنوّه بشأنها وتشيد بذكر فضائلها وتحرّض على التنافس فيها، وتثني على المكثرين منها والمعنيين بها، وتندد بالراغبين عنها أو المقصرين فيها)[1]. يقول مؤكداً على مكانتها التي تلي العقيدة في الأهمية: (... ونظرة على القرآن الكريم تدل دلالة صارخة على أن العلاقة مع الله والعبودية، والعبادات المعنية ـ الصلاة والصوم والزكاة والحج ـ مطلوبة من العبد رأساً، حيث يسأل عنها يوم القيامة، ويستحق العقاب لو تركها، أو أهمل فيها)[2]، يقول تعالى وهو يصور الحوار مع الذين استحقوا النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ (٤٢ـ٤٧) سورة المدثر،

---

(١) أبو الحسن الندوي، العقيدة والعبادة والسلوك...، مرجع سابق، ص ص٨١-٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص٨٢.

ويقول: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى ۞ وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۞ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ (٣١-٣٣) سورة القيامة.

وفي معرض حديثه عن الغايات والوسائل في الدين يقول الشيخ أبو الحسن: (فالعبادات وأركان الدين هي حجر الزاوية في نظام الدين كله، يؤاخذ عليها العبد ويحاسب يوم القيامة، أما الأمور الأخرى فهي وسائل وفي درجة ثانوية من الدين)[1]. وقد أشار إلى أن الجهاد والحكومة من هذه الوسائل ولكن الصلاة من الغايات.

هكذا كان الندوي يرى أن العبادة مرتبطة بالعقيدة، وتمثل الدور المهم الذي اطلع به الرسل ألا وهو اقتلاع عبادة الأصنام والأوثان وغيرها مما يعبد من دون الله، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) سورة الأنبياء، وهكذا فهم الصحابة كلمات القرآن ومصطلحاته في هذا الشأن أن لا معبود بحق إلا الله؛ فأقلعوا عن الانقياد والخضوع والذل إلا له، وصرفوا كل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة إليه، هذا مثلما فهم المؤمنون الصادقون قبلهم في مختلف الأزمنة والأمكنة ما جاءت به رسلهم إليهم.

وقد اتبع الشيخ أبو الحسن القول بالعمل عندما ألّف كتابه (الأركان الأربعة...) متناولاً العبادات الكبرى: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، عندما شعر بالحاجة إلى تبيان مقاصدها وفقاً للكتاب والسنة، مبرزاً لمعاني الإيمان والاحتساب الذي هدف إليه الدين من فرضها، وقد جاء الكتاب في لغة سهلة وأسلوب يفهمه الجيل الإسلامي المعاصر. كما عقد مقارنة بين هذه العبادات الإسلامية وعبادات الديانات الأخرى

---

(١) المرجع نفسه، ص٨٣، ومستخلص من: أبي الحسن الندوي، التفسير السياسي للإسلام، ط٣، دار القلم (الكويت)، ١٤٠١هـ (١٩٨١م)، ص ص١٤٠-١٤١.

كالهندوسية، والبوذية، واليهودية والمسيحية، وظهرت إصدارات لهذا الكتاب في اللغة الأردية والإنجليزية.

(٣) **الأخلاق**: القيم الأخلاقية الفاضلة التي جاء بها الإسلام نِتاجُ للإيمان الصادق والعبادة الخالصة لله تعالى؛ وبذلك فإن القيم الأخلاقية أصيلةٌ في الدين، وهي: (... نابعة من الدين، وهي جزء منه.. وهي الثمرة الحقيقية للعقيدة والعبادة. والتدين الحقيقي يورث الأخلاق القويمة السديدة، ولا دين بلا خلق)[1].

والرسول ﷺ هو قدوة المسلمين، ومثلهم الأعلى، وصفه (الله تعالى) بالأخلاق العظيمة الكريمة الفاضلة فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) سورة القلم، وذكر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن من مقاصد بعثته إكمال مكارم الأخلاق التي جاء بها إخوانه من النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام يقول: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) كما جاء في موطأ مالك وغيره. وهذه أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) ألصق الناس بحياته ﷺ تصف أخلاقه التي أدبه بها ربه فأحسن تأديبه، تقول: (كان خلقه القرآن). كما جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة.. وهكذا كانت التربية الإلهية لخاتم المرسلين تربية لا تخضع لخطأ ولا نقص لأنها من الله ـ سبحانه وتعالى ـ وليست من تربية البشر الخاضعة لمعايير الخطأ والصواب، وبهذه التربية الإلهية ربى النبي أصحابه بسلوكه وأخلاقه، وبما كان يعلمهم إياه من الآيات التي نزل بها الوحي، يطهر بها نفوسهم ويزكيهم بها ـ يقول العلامة الندوي في ذلك: (وكانت هذه الحكمة والتزكية من أعظم ثمرات الصحبة النبوية ومجالسته ﷺ وعشرته، فنشأ في أحضانه جيل تحلى بأفضل الأخلاق وأكرم الصفات،

---

(١) محمد عبد الله الشرقاوي، الفكر الأخلاقي، ط١، دار الجيل - بيروت، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م)، ص١١١.

وتجرد عن رذائل الأخلاق، ومهلكات العادات وذمائم الصفات، وغوائل النفوس، وبقايا الجاهلية، ومغالطات الشيطان، وقد شهد القرآن باستقامة قلوبهم، وصلاح نفوسهم، ووصولهم إلى ذروة تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس، فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ۞ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٧ـ٨) سورة الحجرات. وشهد لهم رسول الله ﷺ بقوله مما رواه البخاري: (خير الناس قرني...)، وشهد لهم أحد رفاقهم: عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بقوله البليغ: (أبر الناس قلوباً، وأعمقهم علماً، وأقلهم تكلفاً، فقد كانوا زرع الإسلام، وغرس النبوة، وصنائع التربية النبوية، والتزكية المحمدية)[1].

إن التربية المستوردة التي لا تمثل عقائد المسلمين، والتي اجتاحت بلادهم (منذ أكثر من قرن ميلادي مضى) بخصائصها المتمثلة في الروح المادية المتمردة على الأخلاق والقيم الروحية الإسلامية، والمتجردة من التقوى والإنابة إلى الله وتقدير الآخرة والعطف على الإنسانية كلها، لا سبيل إلى اجتثاثها إلا بتفعيل تربية وتعليم مرتبطين بالقيم الخلقية النابعة من تعاليم الدين الإسلامي، ارتباطاً لا يقل عن ارتباط الروح عن الجسد، وهذا ما يدعو إليه الإمام الندوي، وما كان يعمل له طوال حياته.

رابعاً: الإنسان والكون والحياة

نظرة الشيخ أبي الحسن الندوي للإنسان والكون والحياة هي نظرة السلف الصالح لهذه المخلوقات، وتختلف عن نظرة أصحاب الفلسفات التربوية المستجلبة

---

(١) أبو الحسن الندوي، العقيدة والعبادة والسلوك...، ط٤ مرجع سابق، ص ص١٣٥-١٣٦.

لبلاد المسلمين من الشرق والغرب، وقد أكد هذه الفكرة اطلاعنا على آراء تلاميذه ممن كتبوا حول هذه القضايا التي استخلصناها من خلال كتاباتهم عن الرجل، أو ممن توجهنا إليهم بأسئلة مباشرة حولها، أو مما اطلعنا عليها من آثار العلامة الندوي التي سيرد ذكرها خلال العرض والمناقشة أدناه:

(١) **الإنسان:** إن الإنسان في مفهوم الشيخ أبي الحسن الندوي مخلوق مكرم وهبه خالقه ـ جل وعلا ـ العقل ليعبده وحده، وليكون خليفةً له في الأرض يعمرها بما يصلح البشرية.

وفي مقالة للندوي قرأها نيابةً عنه بالإنجليزية ـ في كلية: سنت كراس في بريطانيا ـ الدكتور فرحان النظامي، وكان عميداً سابقاً لإحدى الكليات الجامعية، وحضرها جمع غفير من المهتمين بالفكر، قال الندوي: (إنني قبل أن أختم مقالي هذا أريد أن ألفت انتباهكم إلى هذه الحقيقة الأساسية، إنه لا يجوز أن الإنسان إلا خليفة، استخلفه الله ـ تعالى ـ في الأرض، إنه ليس مصدراً للعلوم ولا منتهىً لها، إن عليه أن يحقق مرضاة الله ـ تعالى ـ ومشيئته، وأن يقوم بأداء حق الخلافة، إن الله ـ تعالى ـ ذكر تعليم الأسماء لآدم بعد استخلافه وفي سياقه، الأمر الذي يدل دلالة صريحة على أنه مأمور باستخدام علمه كخليفة.. ولقد كان من مأساة تاريخ العلوم، بل تاريخ العالم أنَّ الإنسان نسي أو تناسى أنه خليفة، وأنه حمل رسالة هذه الأرض، إنه لم يبعث فيها سيداً مطاعاً أو ملكاً مطلقاً ليستخدم خزائن الأرض المودعة في باطنها، أو الظاهرة على وجهها للمصلحة الشخصية، أو القومية، أو السلالية أو الطبقية أو للسيادة السياسية.. ولقد كان يوماً مشئوماً لتاريخ البشرية والعلم، حينما اختارت هذا الطريق للهلاك والدمار، إن هذا الشعور وحده بأنَّ الإنسان مستخلف في هذه الأرض وأنه ليس مالكاً لها وسيداً، لقادر بأن يثبته على الطريق

المستقيم، إذ إنّ إدراك هذه الحقيقة ليحول بينه وبين التصرفات العشوائية التي يمليها الهوى)[1].

ثم يتحدث الشيخ أبو الحسن عن الإنسان المثالي، وعن عظم المسؤولية الأخلاقية الملقاة على عاتقه كمسلم حتى يقف ضد تيار الفساد الجارف الذي أصبح يجري في الناس مجرى الدم في العروق - في هذا الزمان في كل مكان - إلا من رحم الله. ثم يبيِّن عواقب التأخير والتقصير عن إزالة هذا المنكر (بحسب مفاهيم الإسلام)، ويحض أهل الملة على الاستقامة على حسن الخلق الذي اتصف به الرعيل الأول ممن رباهم النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن سار على دربهم إلى يوم الدين، على أن يتخذوهم أسوةً لهم في حياتهم، وسلوكهم الخاص والعام، يقول مخاطباً جموعاً من الناس في مدينة حيدر آباد لاجتماع دعت له حركة رسالة الإنسانية التي أسسها هو لنشر الفضيلة في مجتمعه: (إن المسلمين مدعوون إلى بذل جهدهم لمكافحة الفساد، وينذر القرآن بعاقبة إذ قصر المسلمون في هذا الجهاد لإنقاذ الإنسان من الفساد، وإقامة مجتمع عادل.. ولا يتم ذلك إلا ببناء كيان عقائدي وخلقي، واتباع الثقافة الخلقية، وقلت: إن العقيدة لها دور فعال في تعيين سلوك الإنسان، وقد كان المسلمون في السابق أسوة للناس، يهتدي بهم الناس في حياتهم، وقد انتشر الإسلام بسلوك المسلمين من السلف في مناطق شاسعة. ويجب أن يصحح المسلم سلوكه في ضوء تعاليم دينه، فيوماً إليه بالبنان ويقال: إنه مسلم فلا يسرق، إنه مسلم فلا يخدع، إنه مسلم فلا يكذب، ولا يتردد الناس في إسناد أية مسؤولية ضخمة إليه بثقة في سلوكه، وإنه من حق المسلمين أن يتقدموا بحكم دينهم لإصلاح الأوضاع في البلاد)[2].

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج٢، مرجع سابق، ص٢٠٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧١.

(٢) **الإنسان والكون:** وإذا كان الله قد اختص الإنسان بالتكريم، وجعله مكلفاً مسئولاً، فإنه من ناحية أخرى قد خلق له الكون وسخره له ليمارس فيه أنشطته المادية والروحية، وحول هذه المعاني يتحدث الإمام الندوي قائلاً: (الإنسان خليفة الله في الأرض سخر له البحار والأنهار، وسخر له الشمس والقمر، وسخر له الليل والنهار، وآتاه من كل ما سأله بلسان المقال أو بلسان الحال)[1].

ويفيدنا النص أعلاه جملةً من المفاهيم المستخلصة، ومنها:

أ) الإنسان أشرف مخلوقات الله تعالى.

ب) لم يخلق الله الإنسان عبثاً إنما خلقه لعبادته، وهو بذلك مبتلىً.

ج) الإنسان مستخلف في الأرض.

د) الإنسان أمين على خزائن الله في الأرض.

ه) جميع ما في الكون مسخر للإنسان.

و) الناس متساوون، والله يرزق الجميع (لا فرق بين مؤمن ومشرك).

إن الإنسان جزء من الكون الفسيح المتمثل في السماوات والأرض، والشمس والقمر والنجوم، والهواء والجبال والبحار والأنهار، والحيوان والأشجار، ونحو ذلك من مخلوقات الله التي لا تحصى؛ ولهذا فالارتباط بين الإنسان والكون ارتباط الجزء من الكل، إذ الإنسان جزء من هذا الكون، وكلاهما عبد منقاد لمولاه. وفي سياق حديث للعلامة الندوي عن عقيدة التوحيد وأثرها في الحياة نقتطف: (أعلن القرآن والرسالة المحمدية

---

(١) أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ط١، المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ (الهند)، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م)، ص١٣.

أن هذا العالم له ملك واحد وهو خالقه وصانعه وحاكمه ومدبره له الخلق والأمر كله وله الحكم ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾، ولا يحدث في هذا العالم شيءٌ إلا بأمره وقدرته، وإن العلة الحقيقة لوجوده هي إرادته وقدرته ـ إن هذا الكون كله خاضع له في كونه ووجوده، ومنقاد له وطوع أمره ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وعلى المخلوقات التي تملك إرادةً واختياراً أن تخضع له ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾)[1].

ويستطرد في ذات المعنى المتقدم ذكره؛ عن الإنسان والكون موضحاً العلاقة بينهما بعد نزول الوحي على خاتم النبيين ـ عليه الصلاة والسلام ـ حيث يعرف الإنسان قدر نفسه السامي كأشرف مخلوقٍ في الكون على الإطلاق، والمميز بالعقل من أجل قبول التكليف له بالعبادة ـ إن شاء ـ أو رفضها إن شاء؛ لتقوم لديه الحجة من لدن خالقه الذي لا معبود بحقٍ سواه، يقول الندوي: (... فأعان ﷺ الإنسان بعقيدة صافية نقية سهلة سائقة، حافزة للهمم، باعثة للحياة؛ فتخلص من كل خوفٍ ووجل، وصار لا يخاف أحداً إلا الله، وعلم علم اليقين أنه وحده هو الضار النافع، والمعطي المانع، وأنه وحده الكفيل لحاجات البشر، فتغير العالم كله في نظره بهذه المعرفة الجديدة والاكتشاف الجديد، وصار مصوناً عن كل نوع من العبودية والرق، وعن كل رجاءٍ وخوفٍ من مخلوق، وعن كل ما يشتت البال، ويشوش الأفكار، فقد شعر بوحدة في هذه الكثرة، واعتبر نفسه أشرف خلق الله، وسيد هذه الأرض، وخليفة الله فيها، يطيع ربه وخالقه، وينفذ أوامره، ويحقق بذلك هذا الشرف الإنساني العظيم، والعظمة الإنسانية الخالدة، التي حرمتها الدنيا من زمنٍ بعيد)[2].

---

(١) أبو الحسن الندوي، الإسلام: أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، مرجع سابق، ص ص١٨-١٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٩.

(٣) **الإنسان والحياة:** الحياة عند أبي الحسن الندوي وسيلة لا غاية؛ وسيلة للوصول إلى الفوز الأكبر في الآخرة؛ تلك الدار الباقية الخالدة. أما الحياة الدنيا فهي قصيرة وزائلة لا محالة، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (٣٨) سورة التوبة، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٤) سورة العنكبوت، ويقول تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٢٠) سورة الحديد، ويورد الشيخ الندوي مفهوم الحياة من وحي القرآن الكريم بأنها وسيلة توصل إلى غاية سامية ألا وهي الفوز بالجنة ونعيمها[1]، وفي تقديمه لكتاب (الزهد الكبير) للإمام البيهقي والذي قام بتحقيقه والتعليق عليه بروفيسور تقي الدين الندوي أستاذ الحديث بجامعة الإمارات سابقاً، يكرر العلامة الندوي نظرته وهي نظرة السلف الصالح التي يبيّن فيها الاختلاف مع أصحاب الفلسفات التربوية المادية الغازية لبلاد المسلمين بقوله: القرآن يقرر قصر هذه الحياة الدنيا وتفاهتها وتضاؤلها في جنب الآخرة، والآيات في ذلك أكثر من أن تستوعب في هذا التقديم، ويقرر في صراحة ووضوح أنها قنطرة للآخرة وفرصة للعمل، ويقرر أن الآخرة هي خير وأبقى، وهو يذم ويشنع على من يؤثر الدنيا ـ هذه الفانية العارضة ـ السقيمة الناقصة على الآخرة الباقية الواسعة والصافية من الأكدار الخالية من الأخطار، ويمدح من يجمع بين

---

(١) أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية...، مرجع سابق، ص٢٠٧.

خيري الدنيا والآخرة، مع إيثار جانب الآخرة على جانب الدنيا، ومعرفته قيمتها وفضلها والحرص عليها فيقول: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠٠ـ٢٠١) سورة البقرة. وهنا تتعارض التعاليم النبوية مع الفلسفات المادية، والتفكير المادي الذي يلح على أن هذه الحياة الدنيا هي كل شيء، وهي المنتهى، ويبالغ في تمجيدها وتقديسها والاحتفاء بها، والحرص على ترفيهها، وتحسينها وتزيينها، وقد تجلت هذه النفسية القرآنية، أو النظرة القرآنية إلى الحياة في كلام النبي ﷺ إلى حدٍ لا يحمل معه بادرة، أو تأثر مؤقت وتجلت في سيرته، وفي حياته العائلية والشخصية وفي موقفه من متاع الدنيا، وفي حالة الضيق والسعة، وفي زمن العسر واليسر تجلياً لا يتطرق إليه الشك ولا يحتمل التأويل.

نظرة الإسلام إلى الإنسان والكون والحياة (هذه المخلوقات ذات العلاقة المترابطة) تقودنا إلى عرض واستخلاص رأي العلامة أبي الحسن الندوي عن حياة الإنسان بين المادة والروح، وهنا يتجلى الاختلاف ـ أيضاً ـ بين أصحاب المناهج المادية وبين فكر الشيخ أبي الحسن، والذي نستطيع أن نبني عليه نتيجة قاطعة في اختلاف الرؤى بين تربية الإنسان عند الندوي بدعوته إلى تفعيل التربية الإسلامية لتحيا الأمة بمناهج فكرها الإسلامية الأصيلة، وتنبذ كل ما يتعارض مع عقيدتها من مناهج تربوية أخرى، يقول الندوي: (إن الحياة الإنسانية تشتمل على ناحيتين: الناحية الطبيعية، وهي التي تفرض على كل إنسان أن يأكل ويشرب، ويكسب ويحصل القوت، وإذا مرض فيتعالج، إلى غير ذلك من طبائع الحياة الإنسانية، والناحية الثانية وهي تلقي الإنسان الأحكام من خالقه والعمل بها، فيعرف ماذا يحل وماذا

يحرم، ومن أين يكسب، وما هي الطرق المشروعة للكسب، وتحصيل القوت، وجمع الأموال، وما هي الطرق المحظورة، وما غاية هذه الحياة، وما مصير هذا العالم، وماذا يرضي الله، وماذا يسخطه؟)[1]. ويمضي الشيخ الندوي قائلاً بعد بيان ما فطر الله عليه الإنسان مما أوجده له على الأرض، ثم بيان ما جاءت به الأديان السماوية من إيمان لتنظيم حياة الناس والاستفادة مما أنعم الله به عليهم من خيرات، يقول شارحاً دور المرسلين (عليهم الصلاة والسلام) إزاء تنظيم حياة الناس بالموازنة بين المادة والروح: (... والأنبياء ـ عليهم السلام ـ لم يبعثوا لبيان الناحية الأولى ـ الطبيعية ـ فهي ناحية فطرية يهتدي بها الإنسان بسائر فطرته...، ولم يبعثوا ليزيدوا نشاطها، ويحثوا على العناية بها ـ فإن العالم لم يزل يعاني طغيان هذه الناحية، وثورتها على الناحية الإيمانية، وطالما تضخمت هذه الناحية، وكبرت على حساب الناحية الإيمانية ـ وإنما بعثوا لينصفوا لها من الناحية المادية الطاغية ويوجدوا التوازن الصحيح بين الناحيتين)[2].

هذا هو الإنسان (في فكر أبي الحسن الندوي) الذي يمثل العنصر المهم في المنظومة الكونية (الإنسان والكون والحياة)، وانطلاقاً من هذه الأهمية كان الإنسان كذلك موضوع التربية في جميع المجتمعات في مختلف الأمكنة وعلى مر العصور. وقد كان للتربية الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم وسنة رسوله ﷺ تصورها المميز عن غيرها من الفلسفات المادية، فعلى سبيل المثال: هي تزود الشخص بمجموعة من العلوم والمعارف التي يكتسب فيها نظرة متكاملة تجاه الإنسان والكون والحياة من خلال تعاليم الدين، وهنا يمكن التعارض بين المفهوم الذي ينادي به الشيخ أبو

---

(١) نقلاً عن مجلة البعث الإسلامي (العدد الممتاز)، المجلد ٤٥، إصدار مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء لكهنؤ (الهند) ص ص٢٧٣-٢٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧٤، كما يمكن الرجوع إلى الندوي (سياسة التربية والتعليم السليمة)، ص ص٩-١٤.

الحسن الندوي وبين ما ينادي به أصحاب الفلسفات المعادية للدين (Anti-religious) والذين يتسترون بالعلمانية (Secularism) زاعمين عدم عدائهم للدين، قائلين بأنهم غير دينيين فقط (Non-religious) ولكنهم لا يعادون الدين ولا يرون ضرورة لارتباط تعاليم الدين بالعلوم والمعارف، وهؤلاء لهم ظروف تاريخية أحاطت ببلادهم الأوروبية منذ بداية نهضتها؛ فأبعدت الدين عن الحياة، وسجنته في دور العبادة، وجعلته علاقةً خاصة بين الفرد وربه، ولا دور له خارج المعابد، وهذا مفهوم لا علاقة له بالتصور الإسلامي الذي يدعو إليه الندوي في تربية الإنسان الذي ينوب عن الله ـ سبحانه ـ لكونه خليفة له؛ فيتصرف وفق ما أمره الله به في كل شؤون الحياة، على عكس أصحاب المذاهب المادية في الغرب والشرق الذين يتصرفون في جميع أمور حياتهم من منطلق الأصالة، يفعلون ما يشاؤون بحسب ما تمليه عليهم عقولهم، ومن هنا يتباين المفهوم الإسلامي عند الندوي والمفهوم المادي الغربي.

خامساً: فلسفة التربية

إن ما بيناه آنفاً من مؤثرات استعمارية على الأمة الإسلامية منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وحيث شاهد أبو الحسن الندوي ذلك الواقع وعاش فيه حقبةً من الزمن، تشكلت فيها عقليته المميزة وأثمرت أعمالاً جليلة تمثلت في جهوده الفكرية والعملية التي أبرزنا أهم ما تيسر لنا منها بالعرض والمناقشة، ولمزيد من إلقاء الأضواء على ما تم استخلاصه من آثاره المتصلة بنظام التربية والتعليم الاستعماري وأثره على الأمة الإسلامية، نود التأكيد على أن الشيخ أبا الحسن يركز على حقيقة مهمة ألا وهي أن التربية في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية وفي كل زمانٍ ومكان ـ من سالف العصور إلى الآن ـ تنبع من معتقدات المجتمع، ومفاهيمه وثقافته وتقاليده، وأن النظام التعليمي والتربوي الذي فرضه المستعمرون الغربيون على الأمة الإسلامية لا صلة له بعقيدتها، ولا صلة له

بمفاهيمها الثقافية والحضارية، يقول في مقالته القيمة التي قدمها في المؤتمر التعليمي الإسلامي الأول الذي عقدته ندوة العلماء في سنة ١٩٧٥م بمدينة لكهنؤ حيث اعتبرت المقالة ورقة عمل للمؤتمر حول العمل التعليمي للمسلمين، يقول العلامة الندوي: (وجاء عهد الاحتلال الأجنبي وغزو الغرب الفكري والثقافي. ووقع الشرق الإسلامي - بإرادة أو بغير إرادة - في حضانة التربية الغربية، ونظمها التعليمية، ومناهجها الفكرية، وقيمها ومثلها العليا وتصورها للحياة والإنسان، ونظرتها للعلم والأدب كما يترامى الطفل الصغير في أحضان مرب كبير، ويقبل نظامه التعليمي، وبالأصح فكرته التعليمية، بحذافيرها وعلى علاتها، التي ولدت ونشأت واختمرت في بيئة تؤمن بعقائد وأسس، ومبادئ وقيم، ومفاهيم ومثل، تختلف كل الاختلاف عن العقائد والأسس، والمبادئ والقيم، والمفاهيم والمثل، التي يؤمن بها المجتمع الإسلامي أو يجب أن يؤمن بها ويعيش لها، ويجاهد في سبيلها، بل تقوم على نفيها وهدمها أحياناً، والتهكم بها والاستهانة بقيمها أحياناً أخرى، فكان مثله كمثل رجل يتناول السم الزعاف ليعيش، ويشرب الماء المالح الأجاج ليروي غلته)[1].

ولا نرى مثلاً أبلغ مما مثل به العلامة أبو الحسن الندوي حال الأمة الإسلامية التي تهلك بسبب استعارة تربية لم تُفصل لها، ولا تناسب بيئتها، ولا تناسب ماضيها ولا حاضرها ولا مستقبلها. وقد عرف المحتلون بعد دراسة كيف يحققون أهدافهم بزعزعة مفاهيم الأمة الأصيلة ومن ثم استئصالها، وكان ذلك بالتدخل في تخطيط برامج التعليم وسياسات التربية ومؤسساتها تدخلاً سافراً لا يراعي في مجتمعات المسلمين إلاً ولا ذمة. يقول الشيخ الندوي: (وحكموا في تخطيط برامجهم التعليمية، ومؤسساتهم العملية، الأخصائيين أو المستشارين من البلاد

---

(١) أبو الحسن الندوي، نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية، طبعة مؤسسة الصحافة والنشر (المطبعة الندوية)، ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)، ص ص١٥-١٦.

الأجنبية، ولم يستوردوا فيها المقررات الدراسية فحسب، بل النظرات التعليمية والتصورات التربوية، وأرسلوا البعثات إلى الخارج لتنشأ في أحضان المربيين الغربيين والأساتذة الأجانب، ثم أطلقوا أيديهم ومنحوهم كل حرية في تخطيط البرامج التعليمية وسياسة التعليم في هذه الأقطار...؛ فكانت النتيجة وجود طبقة مضطربة في العقائد والأفكار، والسيرة والأخلاق، أحسن أحوالها أن تكون مذبذبة بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية، وإلا فهي تنسلخ في أكثر الأحيان من كل ما يدين به مجتمعها وأمتها وبلادها)[1].

ويستشهد الشيخ أبو الحسن الندوي بما قاله كتّاب وعلماء تربويون غربيون ذهبوا إلى أن اضطراباً فكرياً، وتناقضاً مبدئياً تتعرض له الأجيال بسبب التربية التي لا تنبع من معتقداتهم وقيمهم وتقاليدهم، ومن هؤلاء الذين استشهد بآرائهم: أ. دون آدمز (Don Adams) مع آخر، في كتابهما: "Education Patterns in contemporary societies"، بتاريخ ١٩٦٤م (صفحة ٣٥٢)، ويقتطف العلامة الندوي من الكتاب نصاً ترجمه إلى العربية محتواه كما يلي: (إنَّ أبلغ مثل يضرب للأضرار التي تلحق بالشعوب بخطأ يصدر من المستشارين التعليميين الأجانب، ما جاء في حكاية شرقية يصور فيها موقف هؤلاء الماهرين تصويراً دقيقاً؛ زعموا أن ناحية من النواحي أصيبت بفيضان عظيم، تورط فيه قرد وسمكة، وكان القرد شاطراً ومحنكاً، فقد جرب مثل هذه الفيضانات، فتسلق فرع الشجرة وأمن من خطر هذا الفيضان، ووقع بصره على السمكة تكافح تيار الفيضان، وتطفو على سطح البحر، واحتمل القرد العطف على هذه السمكة المسكينة ورقَّ لها قلبه، فنزل من الشجرة وأنقذ السمكة بكل إخلاص من هذا الخطر، وجاء بها إلى الساحل وألقاها على الرمال حيث لا تصل إليها الأمواج، وكانت النتيجة ظاهرة لا تحتاج إلى تفسير).

---

(١) المرجع السابق، ص١٦.

كما يحيلنا العلامة الندوي إلى رأي آخر لواحد من أئمة التربية الأمريكيين هو جون ديوي (John Dewy) في مقالة له كتبها في دائرة المعارف البريطانية ينقلها إلينا مستشهداً بها عما يقرأه (أي الندوي)؛ من أن تربية أمة من الأمم لا تنفك عن التقاليد الموروثة، والآداب المفضلة، والغايات المرجوة، والعقيدة الراسخة لتلك الأمة، وما يعلنه ديوي في مقاله هو أن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد، وتغذيتها بالاقتناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز، ونقلها سليمة إلى الأجيال القادمة، وأن أفضل تفسير لنظام التربية هي أنها السعي الحثيث المتواصل الذي يقوم به الآباء والمربون لإنشاء أبنائهم، على الإيمان بالعقيدة التي يؤمنون بها، والنظرة التي ينظرون بها إلى الحياة والكون، وتربيتهم تربية تمكنهم من أن يكونوا ورثةً صالحين للتراث الذي ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم، مع الصلاحية الكافية للتقدم والتوسع في هذه الثروة[1].

وهذا تقرير تربوي آخر قدمه كبار خبراء التربية في بريطانيا ينقله إلى العربية الشيخ أبو الحسن من:

Secondary Education With Special Reference to Grammar & Technical School. H.M.S.O. 1931 PP147-148

يقول التقرير: (إن مصلحة الحكومة في أن تطمئن إلى أن المدارس القائمة في حدودها كفيلة بنقل جميع أجزاء الحياة القومية إلى الأجيال القادمة، جيلاً بعد جيل.. إن الفكرة التي يجب أن تسيطر على سياسة الحكومة التربوية المرسومة، وتسندها، هي أن ينشأ الأطفال ورثة للخصائص القومية وخلفاء لآبائهم بالجدارة)[2].

---

(١) المرجع السابق، ص ص١٨-٢١.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠.

وينقل الندوي رأي خبير تربوي آخر هو قرادفورد (F.W. Gradford) في كتابه (التربية والغاية الاجتماعية) ما يلي: (إن أفضل محك لنجاح التربية وإخفاقها، هو تقاليد المجتمع والقيم السائدة، فهي الأسس التي تقوم عليها خصائصها وبقاؤها، ومما لا بد منه ألا تكون بينها وبين التربية فجوة فكرية أو عدم انسجام، فعلينا أن نلاحظ دائماً أن كل محاولة للتقدم تقوم على القيم المقررة التي يؤمن بها هذا الشعب، فيجب أن تقوم عليها جميع التجارب التي يقوم بها رجال التربية)[1].

كما يستشهد الشيخ أبو الحسن بشهادة أخرى أكثر تركيزاً وأشد صراحة لواحد من علماء التربية هو فيرنون مالينسون (Vernon Mallinson) من مؤلفه مقدمة في دراسة التربية المقارنة:

"An Introduction to the study of comparative Education" (London1957 P4).

يقول: (إن التعليم القومي عبارة عن ميثاق فكري تتجلى فيه غاية المجتمع المشتركة ومساعيه المشتركة، ويمثل هذا الميثاق العاطفة القديمة، ويكون مزيجاً من خصائص لا بد منها لتحقيق مطامع هذا المجتمع وأهدافه)[2]. ولمزيد من التأكيد على التمسك بالهوية التربوية وفق مبدأ الاعتماد على عقائد المجتمع وموروثاته، يبيّن أبو الحسن الندوي رفض البلاد السوفيتية (سابقاً) الأخذ بمبدأ التربية والتعليم ـ كمبدأ عام ـ واستيراد منهج من الخارج، ويبيّن غيرتها على عقيدتها وفلسفتها الإلحادية، يقول على لسان واحد من أعلام التربية في تلك البلاد وهو (M.C. Govern): (إن العلم الروسي ليس قسماً من أقسام العلم العالمي، إنه قسم منفصل قائم بذاته يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف، فسمة العلم السوفيتي الأساسية، أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة، إن التحقيقات العلمية لا تزال في حاجة إلى أساس، وإن أساس علومنا الطبيعية؛ الفلسفة المادية التي قدمها

---

(١) المرجع نفسه، ص ص ٢٠-٢١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١.

(ماركس وإنجلس ولينين وستالين)، إننا نريد أن نخوض - وفي أيدينا هذه الفلسفة- في معترك العلم الطبيعي العالمي، ونصارع جميع التصورات الأجنبية التي تناهض فلسفتنا المادية الماركسية بكل حزم وقوة)[1]. ويعلق الشيخ أبو الحسن على شهادة العالم التربوي السوفيتي تحت عنوان: العلم السوفيتي له سمة خاصة وأساس مستقل، يقول: (وهكذا استطاعت أن توفق بين العلوم التي احتاجت إليها والمبادئ التي آمنت بها، وتجعل منها وحدة متكاملة متناسقة، ولم تترك فجوة بين الحياة التي تعيشها أو تسعى إليها وبين المبادئ التي تؤمن بها)[2].

وفي ذات السياق يورد الشيخ أبو الحسن أدلة التمسك بفلسفة الأمة وعقيدتها في نظمها التعليمية والتربوية من الغرب الرأسمالي، مع ما اشتهرت به تلك البلاد بمبدأ التسامح الديني والحرية المطلقة في المذاهب والآراء، والاستفادة من كل مصدر، ومن كل إنتاج بشري في مجال العلم والتجربة، يقول: (إن هذه البلاد كذلك لا تسمح بالمواد الأجنبية والمناهج التعليمية التي تبذر بذور الشيوعية.. ولم يقف الأمر على هذا الحد بل قد أصبح قادة التربية والتعليم في الغرب، لا يرون استيراد منهج تعليمي من بلد على بلد ولو كانا يلتقيان على العقيدة والفكرة الأساسية في الاجتماع والنظرة الواحدة في الإنسان والكون والحياة)[3]، ويستشهد برأي أحد الموجهين لسير التربية والتعليم، والواضعين لسياساتها في أمريكا وهو الدكتور ج. ب كونانت (Dr. J.B. Conant) نقلاً عن كتابه (التربية والحرية) (Education and liberty).. يقول المؤلف: (إن عملية التربية ليست عملية تعاطٍ وبيع وشراء، ومن التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الإنجليزية والأوروبية إلى بلادنا)[4].

---

(١) أبو الحسن الندوي، سياسة التربية والتعليم السليمة...، مرجع سابق، ص١٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٣.

(٣) المرجع نفسه، ص١٣-١٤.

(٤) أبو الحسن الندوي، نظام التربية والتعليم،... مرجع سابق، ص١٤.

وإجمالاً نرى أن سماحة الشيخ الندوي، يؤكد على أن تجعل الأمة الإسلامية عقيدتها، ومفاهيمها الثقافية، وموروثاتها الحضارية مصدراً لنظامها التربوي والتعليمي، ولا بأس عنده في أخذ النافع من الحضارات الأخرى، وبخاصة الحضارة الغربية في مجال العلوم والفنون الصناعية، يقول: (والمسلمون إذا تبنوا ـ كما هو من واجبهم أن يفعلوا ـ الطريق والوسائل الحديثة في العلوم والفنون الصناعية أكثر من اتباع غريزة التطور والارتقاء التي تجعل الناس يفيدون من خبرات غيرهم، ولكن إذا تبنوا ـ وهم في غير حاجة إلى أن يفعلوا ذلك ـ أشكال الحياة الغربية والآداب والعادات والمفاهيم الاجتماعية الغربية، فإنهم لن يفيدوا من ذلك شيئاً، ذاك أنّ ما يستطيع الغرب أن يقدمه لهم في هذا المضمار لن يكون أفضل وأسمى مما قدمته لهم ثقافتهم نفسها، ومما يدل عليه دينهم نفسه.. ولو أن المسلمين احتفظوا برباطة جأشهم، وارتضوا الرقيّ وسيلة لا غاية في ذاتها، إذن لما استطاعوا أن يحتفظوا بحريتهم فحسب، بل ربما استطاعوا أيضاً أن يعطوا إنسان الغرب سر طلاوة الحياة الضائع)[1].

خلاصة الفلسفة التربوية عند الندوي كما نراها:

(١) التربية ترجمان فلسفة وثقافة مجتمعاتها، وهذا ما تم استخلاصه من أقوال المفكرين والمربيين.

(٢) التربية الإسلامية تنبع من عقيدة الأمة، وتعاليم دينها، وهدي رسولها، وسيرة سلفها الصالح؛ لذا يلزم التمسك بها في المجتمعات الإسلامية.

(٣) الحضارة الغربية الحديثة والفلسفة الشيوعية، قائمتان على فلسفات مادية لا صلة لها بالحضارة الإسلامية، غير أن لهما مزايا لا يمكن

---

(١) أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، طبعة دار القلم (الكويت)، نقلاً عن مجلة البعث الإسلامي، المجلد ٤٥، العدد ١٠، جمادى الآخرة ورجب ١٤٢١هـ (سبتمبر وأكتوبر ٢٠٠٠م)، ص٤.

إغفالها كالتقدم العلمي التكنولوجي، وطرق البحث والاكتشاف؛ مما يمكن الاستفادة منها في إطار تعاليم الإسلام، وهذه حقائق لم تغب عن فكر العلامة أبي الحسن الندوي.

(٤) التربية في الحضارتين الغربية (الرأسمالية) والشرقية (الشيوعية) تهملان الجانب الروحي (الديني)، وهو مصدر أساس للقيم الأخلاقية، وهذا ما يركز عليه العلامة الندوي في فكره التربوي الإسلامي.

سادساً: أهداف التربية

التربية الإسلامية كانت تمثل الشغل الشاغل للعلامة الندوي، وكانت تحتل أكبر حيز من تفكيره النظري، وجهده العملي. يقول في ذلك الشيخ محمد المجذوب في كتابه (علماء ومفكرون عرفتهم) الجزء الأول ص١٥١: (وينحصر جل تفكير هذا العالم المعاصر والداعية الإسلامي الكبير في قضايا التربية والتعليم في عالمنا الإسلامي، ذلك لأنه شديد التركيز على هذا الجانب في معظم أعماله الفكرية فهو بنظره المعوّل الأهم في تكوين الجيل الصالح، ونظرة مستوعبة إلى أحاديثه الكثيرة في هذا الموضوع كافية لاستبانة هذا الموضوع..)[1]. ومما استوعبناه من خلال وقوفنا على آثاره في ماله صلة بالتربية والتعليم، نستطيع القول بأن غاية التربية عند الإمام أبي الحسن الندوي تنحصر في:

(١) **تكوين الفرد الصالح**: والفرد الصالح عند الندوي هو: (المؤمن بالله الخائف من عقابه، الخاشع الأمين، المؤثر للآخرة على الدنيا، والمستهين بالمادة المتغلب عليها بإيمانه وقوته الروحية، يؤمن بأن الدنيا خلقت له، وأنه خلق للآخرة)[2]. وهو يرى بأن هذا الفرد الصالح قد وجد في عالم الواقع، ومن هؤلاء الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، الذين قادوا المسيرة من بعد

---

(١) محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ط٢، عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)، ص١٥١.

(٢) أبو الحسن الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن...، ط٧، مرجع سابق، ص١٠٢.

رسول الله ﷺ، وقادوا الفتوحات لنشر الرسالة الخالدة، ومن ثم تواصلت المسيرة في عهد التابعين ومن تبعهم بإحسان. وهناك نماذج امتلأت بها كتب التاريخ والسِّيَر.

إن تكوين الشخصية العصرية الصالحة التي يريدها العلامة الندوي يمكن إعدادها كما يلي:

أ) تفعيل التربية الإسلامية النابعة من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح (مثال ذلك غرس قيمة الصدق، وليس إعطاء معلومة عن الصدق وكفى).

ب) الاستفادة من إنجازات الحضارة الحديثة مما لا يتعارض مع ثوابت الأمة الدينية (مثال ذلك ما يتصل بالتقنية الحديثة كالجلوس أمام التلفاز لمشاهدة محاضرة علمية ونحوها، والإضراب عن البرامج الأخرى التي تهدر الوقت).

يقول الشيخ أبو الحسن في مواصفات هذه الشخصية: (... إن المسألة الحقيقية هي وجود الرجل المختار، الرجل الذي يملك عزيمة وإيماناً، واعتزازاً بالدين، وإرادة قوية صارمة لتغيير الوضع...)[1].

ومما تقدم نستطيع التأكيد بأن الإمام الندوي كان يعتقد بأن السر الحقيقي وراء كل المكاسب، والفتوح والانتصارات التي سجلها تاريخ المسلمين هو وجود الشخصية الإيمانية المتميزة بالعمل الصالح، وهي الجديرة بتحقيق مكاسب وانتصارات جديدة لخير الأمة الإسلامية والمجتمع الإنساني، وهي (الشخصية ذاتها) التي حدد القرآن مواصفاتها كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (١-٣) سورة العصر.

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج٢، مرجع سابق، ص ص١٢-١٣.

ويمكن الإشارة إلى ما ورد في بعض آثار العلامة الندوي كنماذج من سلف الأمة الصالح عبر التاريخ، من الذين كتب عنهم للتأسي بهم، ومن هذه الآثار (ما أوردناه في الفصل الثاني من هذا البحث: مؤلفات الندوي) ما يلي:

أ) قصص من التاريخ.

ب) شخصيات وكتب.

ج) أضواء على الحركات والدعوات الدينية.

د) الإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

ه) الإمام الحسن البصري.

و) الإمام عبد القادر الجيلاني.

ز) صلاح الدين الأيوبي.

ح) ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد.

ط) الداعية الكبير محمد إلياس الكاندهلوي.

ي) الإمام حسن البنا.

(٢) **تكوين المجتمع الصالح**: والمجتمع الصالح عند الشيخ الندوي، هو الجيل الإسلامي الأول الذي شرفه الله بتربية النبي ﷺ، وهو المجتمع الذي يتأسى المسلمون به خلفاً عن سلف، يقول العلامة الندوي: (وبالجملة فقد كان هذا الجيل الذي أنشأته دعوة الرسول ﷺ وأحكمت تربيته، من أفضل الأجيال البشرية في تاريخ الإنسان كله، وأجملها وأكملها وأجمعها للمحاسن الإنسانية)[1]. ويستشهد العلامة الندوي بوصفٍ لأحد أفراد ذلك المجتمع، يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: (وقد وصفه أحد أفراده، عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ببلاغة نادرة، وكلمات موجزة عميقة ورقيقة، زاخرة بالمعاني الكبيرة البعيدة المدى فقال: أبر الناس قلوباً، وأعمقهم علماً

---

(١) أبو الحسن لندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ط٧، مرجع سابق، ص١٠٢.

وأقلهم تكلفاً اختارهم الله لصحبة نبيه وإعزاز دينه)[1]. وهكذا ربى النبي الجيل الأول من الصحابة الذين استسلموا للشريعة، التي أنزلها الله لهم وللعالمين جميعاً؛ ليحققوا عبادته في الأرض، فتطوروا وتهذبوا، ولا عجب فقد اقتدوا بالنبي ﷺ فأصبحوا صالحين لحمل الأمانة وتحقيق الخلافة، وهذا التطوير والتهذيب وفق تعاليم الدين، هو التربية الإسلامية[2].

إن الأزمة التي يعاني منها المجتمع الإسلامي اليوم في جميع وجوه حياته؛ الاجتماعية منها والفكرية والاقتصادية والسياسية (منذ القرن التاسع عشر الميلادي إلى الآن) لا مخرج منها إلا بالتربية الإسلامية النابعة من دين هذه الأمة وعقيدتها، وميراثها الثقافي والحضاري، مع الأخذ بأسباب التقدم؛ مما أنتجه العقل الإنساني، ومما لا يؤثر على ثوابت الأمة، وهذا هو المخرج الذي يراه الإمام الندوي، ولا سبيل إلى هذا المخرج مما لازم الأمة من أزمات إلا عن طريق الدعوة التي بدأ بها النبي في تربية الجيل الأول، على أن يلعب التعليم مع وسائل أخرى فعالة (سيرد ذكرها لاحقاً) في تحقيق الصحوة ثم النهضة المرجوة.

إن الدعوة إلى الله عند الندوي غاية لا تعدلها غاية؛ لأن التكليف بها قائم إلى قيام الساعة، وأن هذه الرسالة يحملها الدعاة إلى الله من العلماء على بصيرة ونور من ربهم؛ لأنه لا نبي بعد محمد ﷺ، والدعوة عند الندوي وسيلة كذلك؛ لإعداد الفرد الصالح، وإقامة المجتمع الإنساني القائم بالعدل والإصلاح والخير، بلا ظلم ولا فساد ولا طغيان ولا شر ـ كما يسود في عالم اليوم ـ بسبب قعود المجتمع الإسلامي عن القيام بواجبه في قيادة المجتمعات الإنسانية، مما أدى إلى حالة من الفوضى بسبب المادية الطاغية،

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٢.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ط٢، دار الفكر، بيروت، (١٩٨٣م)، ص١٨.

حيث أُبعد الدين عن الحياة، فصارت الحضارة القائمة اليوم وحشاً ضارياً يدمر ما يعمر، لغياب الجانب الروحي والأخلاقي الذي جاءت به الرسالة الخالدة.

ويمكن الإشارة إلى بعض مؤلفات الإمام الندوي التي صب فيها عصارة فكره ونظراته الصحيحة في بناء المجتمع الصالح، والتي استخلصنا منها ما تم عرضه بالمناقشة والتحليل، ومن هذه الآثار:

أ) العودة إلى حماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف.

ب) الدعوة والدعاة مسؤولية وتاريخ.

ج) الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر.

د) دور الأمة الإسلامية في إنقاذ البشرية وإصلاحها.

ه) وأذن في الناس.

و) حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي.

ز) حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي أفضل.

ح) حاجة العالم إلى الدعوة الإسلامية.

ط) الطريق إلى السعادة، والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة.

ي) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟

ك) المجتمع الإسلامي المعاصر.

ل) المسلمون ودورهم.

م) نحو تكوين مجتمع إسلامي جديد.

سابعاً: وسائل (أساليب) التربية

وسائل التربية عند الشيخ الندوي هي كل أداة مؤثرة، ووسيلة ميسرة لإنشاء جيل يحمل حقيقة الإسلام لا صورته، وهي:

(١) **القدوة:** ونعني بها القدوة الصالحة، والمثل الأعلى، وهي عنده تتمثل في شخصية الرسول ﷺ وإخوانه من الأنبياء والمرسلين السابقين (عليهم أفضل

الصلاة والسلام) وشخصية النبي محمد تستلهم فيها الأجيال أروع روايات الوفاء والفداء والتضحية، والصدق والصبر والإخاء، والشجاعة والجود والنجدة، والرفق والعفاف والرحمة، والحلم والحب والحياء، والصفاء والمواساة ونحوها من مكارم الأخلاق والقيم الربانية النبيلة، والتي تلقاها ﷺ من التربية الإلهية له.

إن الرسول ﷺ بشخصه، وشمائله، وسلوكه، وتعامله مع الناس، كان ترجمة عملية بشرية لمبادئ القرآن وتعاليمه، وآدابه وتشريعاته، قالت عنه أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): (كان خلقه القرآن). وقد تأسى به الخلفاء الراشدون والصحابة (رضوان الله عليهم) والتابعون ومن تبعهم بإحسان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) سورة الأحزاب.

ومن هذا المنطلق نجد العلامة الندوي يركز على سيرته ﷺ، ويجعلها محوراً لكتاباته وأحاديثه، ولا يخلو أي أثر له عن ذكر النبي الخاتم والأنبياء والمرسلين، والصالحين من المؤمنين السابقين واللاحقين، وذلك لإدراكه أهمية القدوة باعتبارها وسيلة تربوية، وهذه بعض مؤلفاته التي ذكرناها آنفاً، والتي أبرز الإمام الندوي فيها الأنبياء كصفوة للخلق ومثل كامل للإنسانية، ومنها:

أ) قصص النبيين (للأطفال).

ب) سيرة خاتم النبيين للأطفال (المتوسطين).

ج) السيرة النبوية (للكبار): دراسة موسعة في مجلد كبير.

د) الطريق إلى المدينة: وقد ظهرت فيه براعة أسلوب الندوي الأدبي الرفيع، وقد هدف بهذا الأسلوب التعبيري البليغ إثارة الحب الدفين في أعماق النفوس.

إن الشيخ أبا الحسن الندوي قد نشأ محباً للرسول الكريم، وقد استقى هذا الحب من بيئته الأسرية منذ طفولته، وها هو يحدثنا عن أثر مطالعته كتب السيرة على قلوب الأطفال وأرواحهم تأثيراً يلازم صاحبه بقية عمره، وشهادة الندوي هنا شهادة مجرب تغذى بسيرة النبي المثل الكامل للإنسانية والقدوة المباركة للمؤمنين، يقول محدثاً عن كتاب اختاره له أخوه عبد العلي الذي كان يرعاه بعد وفاة والده: (... قدم إليّ في أول ما قدم كتاب "سيرة خير البشر" لمؤلف هندي، وكان حريصاً على أن أكثر من مطالعة كتب السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام؛ لأنه يعرف أنها المؤثر الأكبر في تكوين السيرة والعقيدة والخلق وغرس الإيمان، وقد نشأت لذلك على حب كتب السيرة، والحرص على اقتنائها ومطالعتها)[1].

ثم يصف أثر كتاب آخر ساعد على تكوين الوجدان الروحي لديه، وهو كتاب (رحمة للعالمين)، يقول: (بدأت أقرأ الكتاب وبدأ الكتاب يهز قلبي، وليست بهزة عنيفة مزعجة إنما هي هزة رقيقة رفيقة، وبدأ قلبي يهتز ويطرب...)[2]. ثم يمضي واصفاً اللذة الروحية التي وجدها وهو طفل: (وبدأت تتجاوب نفسي لهذا الكتاب وتستسيغه كأنما كانت منه على ميعاد، وشعرت في أثناء قراءتي لهذا الكتاب بلذة غريبة... إنها لذة أعرف طعمها ولا استطيع وصفها واعترف أني لا استطيع حتى اليوم أن أصفها بدقة وأعبر عنها بكلمة، إنما غاية ما استطيع أن أقول إنها لذة الروح، وهل الأطفال لا يحملون أرواحاً ولا يشعرون باللذة الروحية؟ بلى والله إن الأطفال أشف روحاً وأصح شعوراً وإن عجزوا عن التعبير)[3].

---

(١) أبو الحسن الندوي، الطريق إلى المدينة، ط٦، المجمع الإسلامي العلمي لكهنؤ (الهند)، ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م)، ص١٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٨.

(٣) المرجع نفسه، ص١٨.

ومن هنا نستخلص أن الندوي يرى ما يلي:

أ) تنشئة الأبناء على حب النبي ﷺ القدوة الأولى للمسلمين والمثل الأعلى لهم؛ لأن هذا الحب له عظيم الأثر في غرس العقيدة السليمة، وتكوين الخلق الفاضل، والسلوك المستقيم.

ب) النبي قدوة مستمرة يستلهم منها المربون الشمائل الكريمة؛ فينشئون أجيالاً صالحة.

ج) المربون مثل الوالدين أو المعلمين ونحوهم، قد يكونون قدوة صالحة، والعلامة الندوي وجد في والديه وأخيه الأكبر ومعلميه قدوة صالحة؛ لما تعلم منهم من الفضائل والتهذيب، ومما رآه فيهم من الرقة والعطف والاهتمام بالآخرين، ورجاء الخير لهم مع كثرة العلم والقدرة الفائقة على العطاء.

(٢) **التربية عن طريق الجولات والرحلات الدعوية:** بدأ الشيخ أبو الحسن الندوي عمله التربوي في نواحي لكهنؤ بشمال الهند ـ بعد انتمائه إلى حركة الدعوة والتبليغ ـ بصحبة طلابه النجباء الذين كان يدرسهم في دار العلوم بندوة العلماء، وكانت جولاته الدعوية مع طلابه من أجل التوعية الدينية، والحث على الصلاة، وإثارة الشعور الديني لدى الفقراء وسكان الأحياء الفقيرة والمساكين، وقد كان العلامة الندوي يلاحظ الأثر التربوي الإيجابي على الطلاب وعلى الناس المستهدفين بالدعوة، بسبب التحام طلاب الندوة بالمجتمع وخدمته دينياً وثقافياً. يقول عن هذه الرحلات: (كنا نخرج يوم الخميس بعد العصر بعد أن نأخذ زاد الطريق، ونحمل معنا حسب مقتضى الفصل بُسُطَنا وفُرُشَنا، وكنا نمشي على الأقدام نذهب إلى القرى المجاورة، وكنا ننقسم ـ من هناك ـ يوم الجمعة في جماعات، ونخرج إلى النواحي والقرى القريبة، وقد أفادت هذه الجولات والتحركات طلاب دار العلوم من

النواحي الدينية الإصلاحية؛ من تحسن وتقدم في الاهتمام بالصلوات، والمحافظة على ذكر الله تعالى، وقيام الليل، مع فوائد أخرى كثيرة، من تقشف وتحمل للمشاق، وتآلف وتحابب، وأخوة وصلة قريبة شخصية بالمدرسين، والاطلاع على مواضع الضعف وعلل النفس في الجماهير المسلمة، ومشاهدة تخلف العامة دينياً وخلقياً، وفشوّ الجهل فيهم، ونشأ في المارسين لهذا العمل الشعور بمسؤوليتهم الدينية، وقد توثقت بيني وبين بعض الطلاب من الصلات ما أغنى كثيراً في الأعمال الدعوية، وكان سبباً في تقدم دار العلوم ورقيها)[1]. ومن خلال هذا النص نستطيع حصر الفوائد التربوية لمثل هذه الرحلات والجولات (عند الندوي) في الآتي:

أ) المحافظة على الصلوات في الجماعة.

ب) الارتباط بالمساجد.

ج) المحافظة على الذكر.

د) التقشف والصبر.

ه) الحب في الله.

و) الصلة القريبة بالمدرسين.

ز) التعرف على جماعات المسلمين وعلى علل العامة؛ من تفشٍّ للجهل فيهم، وتخلف ديني وأخلاقي.

ح) الشعور بالمسؤولية (بالنسبة للطلاب) تجاه أنفسهم، ومجتمعهم.

ط) الحديث بالعربية، والعلامة الندوي كان يريد من طلابه ـ أثناء الرحلات التربوية ـ أن يصونوا ألسنتهم وجوارحهم عما لا فائدة

---

(١) المرجع السابق، ص١٨.

منه؛ وهو يرى ضرورة إتقان العربية فهماً وحديثاً وقراءة وكتابةً بالنسبة للدعاة، يقول: (ولما كان من أصول هذه الجولات الدعوية وآدابها الاحتراز عما لا يعني من العمل والكلام، والتورع من المحادثات التي لا فائدة فيها، وكان من الصعب فرض الحظر كلياً في هذا الصدد على الطلاب، رأيت من المصلحة أن أفرض على الطلاب ألا يتكلموا في هذه الفترة إلا بالعربية، وكانت تحصل منه فائدتان: أولهما: قلة الكلام فيما بينهم، والثاني تمرينهم على لغة الكتاب والسنة) [1].

إن المنهج التطبيقي لتربية السلوك الديني الذي كان يرعاه الشيخ أبو الحسن الندوي يتحقق منه ما يهدف إليه من بناء الشخصية المسلمة لدى طلابه، كما تحقق منه فرصة القيام بنشر الدعوة وتصحيح المعتقدات والعبادات، والإرشاد والتوجيه في جماعة المسلمين، مما يحقق تربية مستمرة للمخاطبين بها ممن كانت تستهدفهم تلك الرحلات الدينية، والتثقيف العام.

(٣) **التوجيه والإرشاد للعامة:** اعتمد الإمام الندوي هذا الأسلوب لما كان يلقاه (يرحمه الله) من القبول من العامة والخاصة. وقد احتوت خطبه المنبرية، وأحاديثه في وسائل الإعلام، وللتجمعات في بلاده وخارجها على الموعظة المخلصة النابعة من فكره الديني، الذي انطلق منه أسلوبه الإصلاحي الاجتماعي وفقاً لتصوره للإنسان والكون والحياة، والذي بنى عليه فلسفته الدعوية الإسلامية ناذراً حياته لها، ففي بلاده أسس (حركة رسالة الإنسانية) وكانت فكرةً عنده وجدت طريقها لتكون واقعاً في عام ١٩٨٠م، يقول في ذلك: (... أما حركة رسالة الإنسانية فهي تختلف عن

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص١٨٧.

غيرهـا... إن تفكيرهـا انبعـث مـن داخـل الـنفس، واسـتولى علـى القـوة التفكيرية والخطابية، وملك الأعصاب وحوَّلني داعية شارحاً لها)[1].

ثم يبيّن أن الدوافع الفكرية التي حدت به إلى إنشائها حركة إصلاحية اجتماعيـة هـي الفوضـى الخلقيـة الـتي انتـشرت في الـبلاد، وكـان مـن مظاهرهـا الـصراعات الطائفيـة وسـيادة الماديـة الـتي اسـتحكمت في حيـاة الناس، يقول: (لقد كان من المشاهدات اليومية أن هذه البلاد تسير بخطىً حثيثة إلى الفوضى والانتحار الجماعي، فتداس القيم الخلقية، ويصاب الناس بجنون النفعية والانتهازية ــ باستثناء أولئك الذين أثر فيهم الدين تأثيره، أو الذين اعتزلوا معترك الحياة ـ ويُفقد سريعاً احترام الأعراض والأمـوال والأنفـس، فيُـضحَّى لأغـراض تافهـة حقـيرة بمـصالح قوميـة واجتماعيـة، وتنتـشر اللامـسئولية، وإضـاعة الوقـت، والرشـى والـسوق السوداء، والادخار والاكتناز، وكل ما يخالف الدين والعرف والقانون، وقد أصبحت الحياة بذلك جحيماً لا يطاق)[2].

ثم يمضي ليبرر قيام هذه الحركة بواجبها الإيجابي تجاه الدين والوطن (إن على المسلمين مسؤولية ذات وجهين: إحداهما أن كتابهم الأخير الخالد القـرآن، ورسـولهم الخـاتم محمـداً ﷺ لا يرشـدانهم إلى اجتنـاب هـذا الفسـاد العـام والحريـق المستطير، ووحـل عبـادة المـادة والمـال فحسب، بل يـأمرانهم بـالوقوف دونـه وسـد سـبيله وحمايـة النـاس منـه.. والمـسؤولية الثانيـة: أنهـم كـانوا وردوا هـذه الـبلاد برسـالة احـترام الإنـسانية والعمـل الاجتمـاعي والمساواة الإسلامية وقد أسعفوا هذه البلاد في ساعات حرجة دقيقة، ولا تـزال هـذه الرسـالة محفوظـة في صحائفهم الدينيـة، فلو لم يبـذلوا جهودهم

---

(١) المرجع السابق، ص ص٣٣٧-٣٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ص٣٣٧-٣٣٨.

المستطاعة في الأخذ بهذه السفينة الغارقة أو المتورطة، لكانوا عند الله أصحاب ذنب وتقصير وجريمة، وسجلهم التاريخ غير قائمين بالواجب، كافرين بالنعمة مجرمين بالغفلة)[1].

إننا نستطيع أن نؤكد من خلال هذا العمل الإصلاحي الاجتماعي (حركة رسالة الإنسانية) بأن الشيخ أبا الحسن الندوي لم يكن مفكراً نظرياً فقط، ولكنه يتبع القول بالعمل الإيجابي.

اعتمد الشيخ الندوي على القرآن والسيرة النبوية والاستشهاد بمآثر السلف من التاريخ القديم والحديث، وكانت لتوجيهاته مناسبات ومواقف إسلامية أو وطنية أو إنسانية، يوجهها للناس عامة وللمسلمين خاصة، يلفت فيها الأنظار لرأي الإسلام في الحدث الذي يكون من أجله الخطاب. فعلى سبيل المثال عند مقتل رئيسة وزراء الهند (أنديرا غاندي) في ١٩٨٤/١٠/٣١م على أيدي حرسها الخاص المنتمين لطائفة السيخ، ثم ما ترتب على ذلك من عدوان على الطائفة السيخية كلها بسبب جرم أفراد منهم، وما صاحب ذلك من فوضى، وقتل للأنفس، وسلب للأموال، وتعد على الأعراض التي هي من المحرمات، يقول الشيخ الندوي: (وكان من نتيجة رد الفعل الذي أحدثه هذا الواقع موجة عارمة من الغضب والمقت ضد طائفة السيخ، تعدت الحدود والقياس، وتجاوزت جميع مقاييس العدل والقسط والوعي والذكاء...)[2]. وهنا يمكن ملاحظة عبارات الشيخ الندوي التي تدين الظلم والانتقام والإسراف فيه، والذي وصل إلى حد حرق الناس أحياء؛ الناس الذين هم من السيخ، ولهم عداء مع المسلمين شديد. وقد أعلن الإمام الندوي شجبه لتصرف بعض المسلمين لمشاركتهم المعتدين في ظلم السيخ حيث يقول موجهاً

---

(١) المرجع نفسه، ص ص٣٣٩-٣٤٠.

(٢) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج٢، ط١، مرجع سابق، ص ص٦٩-٧٠.

ومرشداً: (ولما علمت ذلك رأيت من واجبي أن أرفع صوتي ضد هذه الهمجية والضراوة البشعة، لا سيما أن أحاول كف هؤلاء المسلمين الجهلة، وسمعت أن بعض الممتلكات المسلوبة وصلت بأيدي المسلمين إلى قرية قريبة إلى قريتنا، فبدأت أقول في مجالس وأكرر أن كل من يدخل في بيته هذا المال فسوف تنزل عليه البلايا وتفتك به الكوارث، وتعم فيه الأمراض، وقد شاعت عني هذه الكلمات ووصلت إلى مسامع بعض من هؤلاء فتخلوا عن هذه الأموال وردوها إلى أصحابها، وكف آخرون عن أخذها.. وعلم السيخ أيضاً في البلد، فجاؤوا إليّ منفردين ومجتمعين وشكروني)[1].

هذا نموذج من الخطاب الإرشادي الديني للإمام الندوي العالم المربي، الذي يلتزم بمبادئه الأخلاقية العادلة، التي تأمر بالقسط في الناس، انطلاقاً من التوجيه الرباني في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨) سورة المائدة.

وفي إحدى جولاته في البلاد العربية نستخلص بعضاً من سمات فكره التربوي من أحاديث له في اليمن، وكان في زيارة لها بتاريخ ١٤٠٤/٨/٤هـ (١٩٨٤/٥/١٥م) ملبياً دعوة من الهيئة العامة للمعاهد العلمية واتحاد طلاب اليمن، وقد أتيحت له فرص خطاب الشباب من الطلاب ثم الجنود في مركز المدرعات بصنعاء، وكان يركز في أحاديثه على إيقاظ الروح الإيمانية والإخلاص، ويبيّن ما يترتب عليهما من آثار لا تضاهيها أي آثار أخرى لغيرهما، ثم يبيّن للجنود مصدر القوة التي يتحلى بها الجندي المسلم، ويدعوهم إلى التمسك بقيم أسلافهم الذين يروي التاريخ روائع مجاهداتهم، وكعادته كان الندوي يعتمد على القرآن والحديث والسيرة النبوية،

---

(١) المرجع السابق، ص٧٠.

والاستشهاد بمآثر السلف من التاريخ القديم والحديث. كما نراه في موقف آخر يحذر في خطبة له من أخطار بعض الأمراض الاجتماعية على حياة الناس، ويسوق قصصاً قرآنية تتحدث عن تلك الأمراض في الماضي، ويربط ذلك بما يشاهده من واقع العصر الذي يعيش فيه، بهدف لفت أنظار سامعيه إلى عِبَر الماضي، للاستفادة منها في الحاضر، وهذا ـ كما نرى ـ أسلوب تربوي غايته إصلاح النفس البشرية، وعلاج أمراضها بوصفات دينية. ففي حديثه عن مرض البطر والتنفير منه نقتطف من خطبة له في جامع مشهد في اليمن: (إن من مواطن الضعف في طبيعة الإنسان أنه إذا استمرت به حالة واحدة من النعمة والراحة والخير يملها ويسأمها ـ رغم ما تحمل له من لذة ورفاهية وراحة ـ ويريد التغيير والتبديل مهما كلفه من ثمن باهظ وجر إليه بالبلاء والمحن، وهذا هو الحال الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ۞ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١٨ـ١٩) سورة سبأ. وبعد أن يستفيض في الحديث في شرح الآيتين من سورة سبأ، ينتقل من الماضي إلى الحاضر ويقول: إنني أشعر في كثير من البلاد الإسلامية والعربية والمجتمعات الإسلامية بوجود هذا المرض...)[1].

ويستمر في الشرح، ثم يخلص بأن هذا المنهج من التفكير، وهذه النفسية المتقلبة التي لا تستقر على حال، تنذر بخطر كبير قد يؤدي إلى مصير قوم سبأ، لكنه يدعو إلى شكر الله ـ تعالى ـ على عظيم نعمه على عباده؛ حتى يزيدهم من فضله وإحسانه.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠.

وللإمام الندوي محاضرات عديدة في الإرشاد والتوجيه، جمعها تلميذه سيد عبد الماجد الغوري في ثلاثة مجلدات بعنوان: (محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة لسماحة العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي). وله حوارات مع غير المسلمين، قادها من أجل التواثق على مبادئ أخلاقية، تمنع الصراعات الطائفية والعرقية والثقافية في بلاده، من خلال حركته (حركة رسالة الإنسانية) الآنف ذكرها.

أما فيما يتعلق بجهوده الإرشادية التربوية للجاليات الإسلامية في الغرب، والتي نختار منها حديثاً توجيهياً له في إحدى الجاليات الإسلامية بأمريكا يحذرهم فيه من الانغماس في الحياة المادية، ومن ذوبان الهوية الإسلامية خاصةً بالنسبة للناشئين من الأبناء والبنات ممن تربوا في تلك البيئة، فنراه يسدي نصحه لأولياء الأمور من الآباء ألا يبيعوا دينهم ودين أبنائهم من أجل حياة الرفاهية والعيش الرغيد، وأنهم متى ما شعروا بذلك عليهم بالرجوع إلى مجتمعاتهم الأصلية؛ ليعيشوا وفق نظمهم الاجتماعية التي تستمد كثيراً من أنماط حياتها من تعاليم الدين. أما إذا استطاعوا الاحتفاظ بشخصيتهم الإسلامية والقيام بواجبهم الديني نحو الدعوة فإن الشيخ الندوي يرى في ذلك خيراً (... إنه لا بد من إيثار الإيمان والدين على كل رقي وتقدم مهما كلفكم ذلك واطمئنوا - قبل كل شيء - على النشء الجديد، فإن كان هو خطر الردة الفكرية والحضارية فلا مبرر لكم في بقائكم هنا ولو يوماً واحداً، وإن كنتم على يقين وطمأنينة بأنكم تستطيعون أن تعيشوا هنا وفق مرضاة الله تعالى، ويشهد لكم ضميركم الحي بأنكم تحافظون على إيمانكم وعقائدكم ومستقبل جيلكم الجديد، فإن بقاءكم هنا لا يجوز فحسب بل يفيد ويبارك فيه)[1].

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص٣٨٨.

(٤) **مناصحة ولاة الأمور وأهل الحل والعقد:** كرَّسَ الندوي جهوده المخلصة في مناصحة الحكام من الملوك والأمراء والرؤساء والقادة والمفكرين، عن طريق الاتصال الشخصي والمقابلات، وإرسال الكتب والرسائل، وكان أسلوبه في ذلك إنزال المخاطبين منزلتهم اللائقة بهم عند التحدث إليهم في القضايا التي تهم أمر الأمة الإسلامية، وكان يحث الحكام ومتخذي القرارات في بلاده وفي البلاد العربية والإسلامية، على الالتزام بالعدل ورعاية شؤون الناس بالرفق والإنصاف؛ حتى يحققوا السعادة لأنفسهم ولمن ولاهم الله عليهم. وقد عرف الإمام الندوي بزهده وثباته على مبادئه، لا يقبل إحساناً من أحد من الأغنياء ولا أصحاب الجاه والسلطة، مما مكنه ذلك أن يعد صاحب فكر حر في رسائله وأحاديثه إلى ولاة الأمور، وهو يفعل ذلك من موقع المسؤولية الدينية، التي حملها على كاهله كداعية ومرب وعالم معروف.

إن الإمام الندوي تربوي رفيق حصيف، يأخذ بأسلوب حكيم في عمل الخير خاصة مع أهل السلطان والنفوذ، وقد تأثر بمنهج الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي (١٠٣٤م) والمشهور عن المسلمين في الهند بمجدد الألف الثاني. والشيخ السرهندي اعتمد في منهجه التربوي (مع السلاطين المغول) على المناصحة بالرفق والحكمة، وبهذا الأسلوب استطاع ذلك العالم الرباني رد أبناء وأحفاد السلطان جلال الدين أكبر بن همايون بن بابر؛ ليكونوا حكاماً صالحين بعد الانحراف الذي أصاب الحكم الإسلامي في الهند: بسبب انتقال العادات الجاهلية والعقائد الشركية والفلسفات اليونانية والهندية إليهم، والتي كادت أن تقود إلى محو هوية المسلمين في الهند، يقول فيه العلامة الندوي: (وهكذا استطاع أن يعيد ـ الإمام السرهندي ـ إلى الإسلام مركزه من جديد، ويعيد إلى السنة اعتبارها)[1].

---

(١) أبو الحسن الندوي، منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء، ط المجمع الإسلامي العلمي، لكهنؤ، ١٣٨٩هـ، ص٣١.

إن عمل الإمام السرهندي الإصلاحي التجديدي (بالنسبة لإصلاح الحكام) والذي انبثق في فجر القرن الحادي عشر الهجري، قد اعتمده الشيخ أبو الحسن أسلوباً ناجعاً في مناصحة الحكام، يقول: (إن أنجع تجربة للدعوة والإصلاح والثورة البناءة هي التجربة التي قام بها الإمام أحمد بن عبدالأحد السرهندي، فقد حاول أن يوصل الإيمان إلى أصحاب الكراسي، بدلاً من أن يحاول وصول الإيمان إلى الكراسي، فقد استطاع الإمام السرهندي بموقفه الدعوي الإيجابي تحويل أصحاب العرش والسلطة إلى حماة للإسلام، ورافعي لوائه الذين قاموا بأداء الدور الذي كان يريد هو أن يؤديه)[1].

إن هذا الأسلوب في مناصحة الحكام آمن به الإمام الندوي كمبدأ ديني، من موقع مسؤولية العلماء في الإصلاح، ورسخ عنده بالتجربة العملية التي قادها أستاذه الإمام السرهندي. والباحث يرى بأن الإمام الندوي ربما كان يعتقد أن صلاح ولاة الأمور طريق قصير لصلاح الرعية، ويوفر كثيراً من الوقت والجهد للإصلاح الاجتماعي الكامل؛ لذا لم يتردد من منطلق تقاليده الأسرية المتميزة بنشر الدعوة بالقلم واللسان، ومن منطلق طبيعته الخاصة التي تملك العقل الواعي والقلب الحي النابض بالإيمان، في استثمار فرص لقاء ولاة أمور المسلمين حاثاً إياهم بالتقوى، والرجوع إلى التمسك بالكتاب والسنة بدون أن تأخذهم في ذلك لومة لائم، وقد تحقق له اللقاء بعدد من الملوك والأمراء والرؤساء والقادة، كما تبادل الرسائل مع كثيرين ورد ذكرهم في عدد من المؤلفات اعتمدنا على بعضها ومنها:

أ) في مسيرة الحياة لأبي الحسن علي الحسني الندوي.

ب) أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكر والداعية الأديب تأليف سيد عبد الماجد الغوري.

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج٢، مرجع سابق، ص ص٢٣-٢٤.

ج) الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته ليوسف القرضاوي.

ومن هؤلاء الملوك والأمراء والرؤساء والقادة:

- التقى الإمام الندوي بالملك عبد الله بن الشريف الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية (١٩٥١م) بدعوة ملكية عند عودته من القدس، ثم التقى به عدة مرات، وقرأ الملك كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) وعلق عليه تعليقاً طيباً، وكان الشيخ أبو الحسن يُذكّر الملك بأسلوب الداعية الحكيم بقضية فلسطين، وعلى وجه الخصوص القدس والمسجد الأقصى الشريف، وقضايا اللاجئين الفلسطينيين.
- التقى العلامة الندوي بأبناء الملك عبد العزيز مؤسس المملكة العربية السعودية، والذين تقلدوا الحكم من بعده وهم:
  أ) الملك سعود في عام ١٩٦٢م.
  ب) الملك فيصل (التقى به عدة مرات).
  ج) الملك خالد (التقى به في زيارات مختلفة).
  د) الملك فهد (التقى به في زيارات مختلفة).

وتبادل الأحاديث معهم عما يهم البلاد والعباد، بأسلوب دعوي مخلص وحكيم وجد القبول والتقدير منهم.

- التقى الإمام الندوي بالملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية عام ١٩٧٦م عند تلبية الدعوة لحضور مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية، وحدثه قائلاً: (إنني أسعد بتبليغ رسالة كريمة إليكم عن العالم الإسلامي، أراها أمانة في عنقي ومسؤولية على عاتقي، وهي أن المسلمين اليوم في مشارق الأرض ومغاربها ينظرون بفارغ الصبر أن يطلع من أفق العالم الإسلامي نجم جديد، يعلقون به آمالهم، إنهم يعيشون وضعاً مترديا عصيباً عجيباً، يحتاجون فيه إلى قائد

عصامي، مؤمن ألمعي، يمتاز بإخلاصه ويقينه، وعزمه الراسخ وقلبه الواثق)[1].

- التقى الإمام الندوي بالأمير سلطان بن محمد القاسمي بدعوة خاصة حيث وصل إلى الإمارات العربية المتحدة في سنة ١٩٧٤م، وتبادلا الآراء. كما وجه إليه سماحة الشيخ الندوي رسائل دعوية وفكرية، وقد رد الأمير زيارة العلامة الندوي في مقر دار العلوم ـ ندوة العلماء بلكهنؤ عام ١٩٨٠م[2].
- التقى العلامة الندوي الرئيس علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية اليمنية لدى زيارته لليمن عام ١٩٨٤م، وتبادلا وجهات النظر.
- في عام ١٩٨٦م وصل الشيخ أبو الحسن الندوي من تركيا لزيارة جماعة من أسرته في باكستان في طريق العودة إلى الهند، وكان الرئيس محمد ضياء الحق قد دعا الشيخ أبا الحسن الندوي لزيارة إسلام أباد لما سمع بوصول الشيخ، ولكن الشيخ اعتذر لظروف خاصة، فإذا بالرئيس يأتي إليه زائراً في كراتشي؛ ليتناول الغداء معه، يقول الندوي: (وكان اللقاء متواضعاً أخوياً أبدى فيه الجنرال ضياء الحق كل بساطة وثقة)[3]. وكان الشيخ الندوي يقدم له النصح والتذكير بالمسؤولية التي تقع على عاتقه، وقد ذكر الشيخ أن هذا اللقاء كان الأخير مع الجنرال ضياء الحق، حيث اغتيل بعد ذلك في ١٩٨٨/٨/١٧م، وقد أبدى العلامة الندوي أسفه لتلك

---

(١) السيد عبد الماجد الغوري، أبو الحسن علي الحسني الندوي: الإمام المفكر والداعية الحكيم، مرجع سابق، ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م)، ص٢٨١.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٨١.

(٣) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج٢، مرجع سابق، ص ص١٢٩-١٣٠.

الحادثة، كما وصفها بأنها إحباط للمساعي في سبيل تطبيق المنهج الإسلامي السياسي والتشريعي في باكستان.

أما في داخل بلاده فقد قام بدوره الوطني بصفته أحد أعلام البلاد، وكان يلتقي بالرؤساء والمسؤولين لإسداء النصح لهم، وكان يجد التقدير والاحترام، وذلك لاتزانه واعتدال خطابه مع ثباته على مبادئه الإسلامية، وقد اتصل ببعضهم مثل:

- أنديرا غاندي وراجيف غاندي: أما بالنسبة لأنديرا غاندي فإنه كان يُذكّرها بما يلي:

أ) ضرورة التعايش السلمي بين المواطنين بمختلف دياناتهم وطوائفهم وأعراقهم.

ب) العمل على إعادة الثقة المتبادلة بين الأكثرية غير المسلمة، والأقلية الكبيرة من المسلمين، والوحدة المتينة بينهما بدلاً من التغاضي عن الدعوات العدائية ضد المسلمين، والتي يتعرضون لها من حين إلى آخر من بعض الفئات والحركات المتطرفة التي تريد أن تمحو أي أثر للدين الإسلامي.

ج) يدعو الرئيسة إلى الإخلاص والعمل وفق رؤية دعوية إصلاحية، يقول في رسالة طويلة وجهها إليها: (وأقول أخيراً كرجل له دينه وعقيدته، وكطالب لتاريخ العالم السياسي القديم والحديث، ومؤلف في موضوع التاريخ، إنه قد أثبت التاريخ والتجارب الماضية، أن أكبر سياسة وأعظم دبلوماسية هو الإخلاص، وهو الذي ينتصر أخيراً، ويكتب الفتح لصاحبه، والعاقل الكَيِّس من يجعل أعداءه أصدقاءه، وأصدقاءه أحبته المفيدين له، هذا هو الإخلاص الذي يظهر دائماً في حنان الأمهات، ورحمة الأنبياء ورأفتهم، وشفقة المربين المخلصين، وفي علو همة القادة الذين يحررون البلدان ويؤثرون

الأباعد على الأقارب، وصلاح البلاد وازدهارها، وعزها وتقدمها على عزهم ومجدهم، ومصالح أنفسهم وأسرهم، ولا يزال الإخلاص يحمل من الطاقة ما يستطيع به الإنسان أن يحمي هذه البلاد الواسعة العظيمة التي تضم بين جنباتها مختلف الشعوب والديانات، ونحن نؤمل ذلك ونرجوه والحاجة شديدة إليه)[1].

وقد استمر الإمام الندوي في اتصالاته بالمسؤولين بحسب المواقف التي تقتضي الاتصال بهم، تنبيهاً لدرء المفاسد وتشجيعاً على جلب المصالح. وهنا نورد بعضاً من الجهود التي كان الإمام الندوي يقوم بها بسبب محاولة إلغاء ما كان معمولاً به من قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين، بحجة الاحتكام إلى القانون المدني الموحد لجميع مواطني البلاد، وكان إلغاؤه قد صدر به حكم المحكمة العليا، إلا أن جهود العلامة الندوي في توحيد صف المسلمين، وتكوين مجلس للأحوال الشخصية برئاسته، ورفعه للمذكرات واتصاله بالمسؤولين، ودعوته للمسلمين بإحياء الذكر والابتهالات إلى الله أن يحفظ لهم حقوقهم؛ كل ذلك أدى إلى استجابة حكومة راجيف لمنطق الإفهام والإقناع الذي قاده الإمام الندوي مع رئيس الوزراء شخصياً، والذي لم يكتف بالاقتناع فقط، ولكنه تبنى القضية واحتضنها، ودافع عنها بحماس، وتم عرض المشروع في البرلمان الهندي للاحتفاظ بهذا القانون الخاص للمسلمين ونقض ما أصدرته المحكمة العليا من حكم الإلغاء حتى وافق عليه البرلمان وأصبح تشريعاً[2]. وهنا نقتطف جزءاً من خطاب له موجهاً لراجيف غاندي يقول فيه: (إن الكتب السماوية، والتاريخ البشري لتدل على

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج٢، مرجع سابق، ص٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص ص١٢٧-١٢٨.

أن العاقبة للصدق.. فمن رأيي المخلص لكم أن تستمروا في السير على هذا الدرب؛ الإخلاص والصدق والجرأة الخلقية والبساطة والواقعية)[1].

ومن هنا نخلص إلى أن المنهج التربوي للعلامة الندوي هو الذي حدد الوسائل آنفة الذكر لتحقيق هدفه الأسمى، وهو إعداد الفرد الصالح ومن ثم المجتمع الصالح.

ثامناً: مؤسسات التربية، ووظائفها

(١) **البيت**: هو البيت الإسلامي، والمحضن الأول للمربَّى، حيث يقوم الوالدان أو من يقوم مقامهما من أفراد الأسرة الأقربين بتربية الأولاد والبنات، ينشئونهم على مكارم الأخلاق، وهذا ما وجده أبو الحسن الندوي في طفولته المبكرة، حيث منَّ الله عليه برعاية أسرة صالحة، بدأت بتهذيب الوالد ورعايته له، إلى أن توفاه الله ولما يتجاوز أبو الحسن العاشرة من عمره، ثم واصلت والدته وأخوه الأكبر رعايته وتهذيبه بعد وفاة أبيه. وكان لتربية الأسرة أثر كبير في تكوين عقلية أبي الحسن الندوي.

لقد أورد الشيخ أبو الحسن في كتابه (في مسيرة الحياة) كثيراً من الأساليب المتصلة بتربية الأسرة له، وها نحن نورد جانباً من تنشئته الدينية والخلقية، التي يحكيها لكونها تجربة عملية تلقاها في طفولته من أمه، وظلت عالقة بذاكرته ومؤثرة على سلوكه؛ تترجم جانباً من القيم الفاضلة إلى واقع ظل يعيشه طوال حياته، يقول: (... إذا تعديت ـ مثلاً ـ على أبناء الخادم أو الخادمة، أو أيِّ طفل من أطفال الفقراء والمساكين و عاملته بالعُجب والكِبر، أو احتقرته عاقبتني أمي على ذلك، وأمرتني بأن أطلب منه العفو وأتصاغر أمامه مهما شعرت في ذلك بإهانة وجرح كرامة، وقد

---

(١) المرجع نفسه، ص١٠٧.

انتفعت بذلك كثيراً واستولى عليّ الخوف من العجب والكبر والظلم والعدوان، وبدأت أشعر بأن إيذاء شخص وكسر قلبه واحتقاره كبيرة من الكبائر؛ ولذا سهل عليّ الاعتراف بالخطأ والإقرار بالغلط)[1].

ثم يعلق الشيخ أبو الحسن مؤكداً حقيقة راسخة عنده ألا وهي: أنَّ تهذيب سلوك الطفل في البيت على حب الخير للآخرين، والتواضع والتزام حدود الآداب المرعية في المعاملات مع الكبار والصغار، يضمن للطفل حياة سعيدة في المستقبل عندما يكبر، ثم يضيف أمراً آخر يراه في غاية الأهمية، وهو تحري رب الأسرة للكسب الحلال من أجل إعاشة أبنائه، حتى تنمو أجسامهم معافاة من أي كسب حرام، وهذه نصيحة أخرى يهديها للقائمين بأمر تربية الأطفال (ويحلو لي دائماً وأنا أذكر هذا النمط من تربية الوالدة أن أذكر حقيقة عملية وتوجيهاً للمربين والمربيات: أنَّ في نشأة الأطفال الدينية والخلقية، واستعدادهم لأن يوفقهم الله ـ تعالى ـ لخدمة دينه، ويشرفهم بقبوله دخلاً كبيراً لأمرين، أولهما: أن يُجَنَّبوا من الظلم والتعدي وكسر القلوب، حتى لا يؤثر أنين رجل جريح القلب، أو دعاء مظلوم متعدىً عليه على مستقبلهم، والثاني: أن يكون طعامهم حلالاً)[2]، ثم يواصل الشيخ أبو الحسن إسداء نصائحه للمربِّي والمربَّى وكل من له صلة بهذه العملية أن يدركوا أن النجاح والفلاح لطالب العلم لا يتحقق إلا بأسباب ينبغي مراعاتها، وتتمثل في:

أ) الاستعانة بالله تعالى، يقول الندوي في ذلك مرجعاً الفضل بعد الله ـ سبحانه ـ لمربيته الأولى، وهي والدته: (لما بدأت أشدوا وأكتب، نصحتني والدتي بأن أبدأ بـ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللهم آتني

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، مرجع سابق، ص ص٧٢-٧٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ص٧٢-٧٣.

بفضلك أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين"، وقد بقي ذلك عادتي وديدني مدةً من الزمن، ولا أزال أذكر في مناسبات كثيرة هذه الكلمات الصالحات)[1].

ب) دعاء الوالدين، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَـهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢) سورة النمل، ومن هنا يتبين أن الندوي يعول على التنشئة المنزلية كدعامة أولى في التربية. والبيت عنده بيئة اجتماعية صالحة؛ لأن الوالدين يقومان بواجبهما في التربية والتنشئة للأبناء كأمانة (كلّكم راعٍ، وكلّكم مسئول عن رعيته..." الحديث.

(٢) **المدرسة**: أنشأ المجتمع مؤسساته التعليمية من رياض أطفال ومدارس ومعاهد وجامعات؛ للقيام نيابة عنه بتهذيب سلوك أبنائه وبناته، وتثقيف عقولهم وفق القيم التي يؤمن بها في الحياة. ورؤية الشيخ الندوي لمؤسسات التعليم والتربية لدى المسلمين تنطلق من رؤية بيّناها ـ عند حديثنا عن مفهوم التربية عند أبي الحسن الندوي ـ سابقاً، والذي يفيد بأن وظيفة المدرسة الإسلامية يجب ألا تخرج عن حاجات المجتمع المسلم، الذي يتميز بعقائده وثقافاته الخاصة، مع الاستفادة من تجارب الآخرين، التي لا تؤثر سلباً على عقول ووجدان الناشئين من أبناء المجتمع الإسلامي، مما يتعارض مع ثوابت المجتمع. يقول العلامة الندوي مبيِّناً هذه الفكرة (يجب أن يكون في الاعتبار عند إنشاء كل مدرسة أو جامعة أو اتخاذ منهج تعليمي لتعليم هذه الأمة أن يكون الهدف من كل ذلك ترسيخ الإيمان بالعقائد والحقائق التي آمنت بها من ذي قبل، وأن يأتي هذا الترسيخ عن طريق القلب والعقل معاً)[2].

---

(١) المرجع السابق، ص٧٥.

(١) أبو الحسن الندوي، دور الجامعات الإسلامية المطلوب...، مرجع سابق، ص٢٥.

إن الشيخ الندوي عندما يتحدث عن دور المؤسسات التعليمية (المدارس والجامعات) فإنه يبرز الدور المنوط بها، وهو لا يخرج عما يلي:

أ) تعميق العقائد والحقائق التي جاء بها الدين الإسلامي في التلاميذ.

ب) تربية السلوك والسيرة الحسنة.

ج) تخريج شباب يتحلون بروح التضحية والفداء والاحتساب.

د) توظيف العملية التعليمية لإعداد جيل يكون أداة تغيير نحو الإصلاح الذي يتمثل في حماية الدين من التحريف، والمجتمع الإسلامي من الانحراف.

وهؤلاء الخريجون الذين يريدهم الندوي لهم مواصفات منها:

أ) الاتصاف بالصفات المثالية السامية النابعة من تعاليم الدين.

ب) العمل في ميادين الدعوة من خلال تخصصاتهم المختلفة بدوافع متجردة من نيل المكاسب الشخصية.

ج) الثقة بخلود الرسالة الإسلامية.

د) التمكن العلمي والمهني.

(٣) **المسجد:** ارتبطت حياة المسلمين بالمسجد بعد هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، حيث كان أول عمل قام به بناء مسجد قباء، يقول الشيخ الندوي: (وأقام رسول الله ﷺ بقباء أربعة أيام، وأسس مسجداً هناك)[1]. أما عن المسجد النبوي الشريف فيذكر الندوي أن الرسول ﷺ دعا غلامين لشراء أرض لهما بالمربد ليبني عليه المسجد (ودعا رسول الله ﷺ الغلامين، فساومهما بالمربد، ثم بناه مسجداً...)[2]. وهذا الاهتمام بالمسجد يبيّن الندوي أهميته لما يؤديه من أدوار عديدة في حياة المسلمين، ومن بينها الدور التربوي

---

(١) أبو الحسن الندوي، سيرة خاتم النبيين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م)، ص٩٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٦.

والتعليمي والثقافي (وتتمثل الأهمية التربوية للمسجد في أنه يؤثر في قطاع عريض من الناشئة، بما يقوم به من شرح وتوضيح أمور الدين وأصول العبادات والعقائد والمعاملات، وغرس القواعد والقيم الأخلاقية والاجتماعية، مثل التراحم والعطف، والإحسان والتضحية، والجهاد في سبيل الله والوطن وفعل الخير، والابتعاد عن المنكر، والتحرر من الخرافات والتقاليد والأعراف البالية التي لا تتفق مع ثوابت الدين، كما يسهم المسجد أيضاً في تكوين رأي عام مستنير يجمع بين الحماس الديني والاقتناع العقلي ويعمق فهم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تواجه المجتمع)[1].

وقد استمر تشييد المساجد والاهتمام ببنائها منذ الهجرة النبوية إلى يومنا هذا، وينقل العلامة الندوي شهادةً للمؤرخ الفرنسي (د. غوستاف لويون) الذي يقول في كتابه (حضارة العرب)، ترجمة عادل زعيتر ـ يقول في صفحة ٤٣٤: (والعرب كانوا إذا ما استولوا على مدينة صرفوا همهم إلى إنشاء مسجد وإقامة مدرسة فيها، وإذا ما كانت تلك المدينة كبيرة، أسسوا فيها مدارس كثيرة)[2].

وهكذا فإن الباحث قد شاهد كيف يتم توظيف المسجد في دار العلوم بندوة العلماء في مدينة لكهنؤ وبعض المدارس التابعة للندوة مما ذكرنا آنفاً، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تفعيل دور المسجد التربوي بوصفه مؤسسة مرتبطة بالمدرسة تتعلق قلوب التلاميذ بها، وهو هدف

---

(٣) محمد منير مرسي، التربية الإسلامية: أصولها وتطورها في البلاد العربية، طبعة عالم الكتب، القاهرة (٢٠٠٠م)، ص١٩٥، نقلاً عن نبيل عبد القادر متولي وآخرون، المدخل في أصول التربية، ط١، مطبعة الرشد الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ، ص١٩٣.

(١) أبو الحسن الندوي، دور الإسلام الإصلاحي في مجال العلوم الإنسانية، ط١، دار الصحوة القاهرة، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م)، ص١٥٤.

يسعى الندويون إليه، وقد كتب العلامة الندوي عن المساجد وفضلها ومركزها ووظيفتها في حياة المسلمين، يقول: (لا يوجد لها نظير في معابد الأمم والملل في البساطة والنظافة والسكينة، وفي الجو الخاشع الروحاني الذي يسودها، وفي شعائر التوحيد التي تتجلى فيها... وكانت هذه المساجد - ويجب أن تظل هكذا - مركز حياة المسلمين وتعلمهم ودراستهم، ومصدر الإصلاح والتوجيه، تعالج فيها قضايا المسلمين الاجتماعية والدينية، ويتلقون فيها أحكاماً في حياتهم ومهماتهم، فكان رسول الله ﷺ إذا حدث حدثٌ أو نزل بالمسلمين أمرٌ وكانوا في حاجة إلى توجيه جديد، أو تعليم مزيد، أمر أن ينادى في الناس... وظلت المساجد هكذا فكانت القطب الذي تدور حوله رحى الحياة وتتفجر منها عيون العلم والهداية، وينبثق منها نور الإصلاح والإرشاد وتنطلق منها موجة الكفاح والجهاد... ولا بد لنشأة المسلمين الجديدة أن تعود هذه المساجد والجوامع إلى مركزها الأول، في حياة المسلمين وقيادتهم)[1].

(٤) **البيئة الاجتماعية العامة:** إن المؤسسات التربوية التي تم تناولها مع أدوارها المقدرة في تربية الأبناء؛ وهي البيت والمدرسة والمسجد، لن تتحقق الفائدة المرجوة منها (في نظر العلامة الندوي) ما لم تقم البيئة الاجتماعية العامة المحيطة بالمربَّى بترسيخ المفاهيم الصالحة التي تغرسها تلك المؤسسات التربوية. والعلامة الندوي عرف هذه الحقيقة؛ لأنه بدأ حياته العملية مربياً للناشئة من شباب دار العلوم بندوة العلماء، وانقطع لذلك من أجل إنشاء الذوق السليم لدى طلابه حتى يتمكنوا من فهم القرآن الكريم، وتذوق العربية وآدابها؛ لأنها الوسيلة التي يفهم الدارسون بها الإسلام على وجهه

---

(1) أبو الحسن الندوي، الأركان الأربعة...، ط١، دار القلم - دمشق، ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م)، ص ص٥٠-٥١.

الصحيح، وكان قريباً من طلابه يشعر بمرارة عند حلول العطلة؛ لأنه سيفارقهم، غير أن عوامل هدامة في مجال التربية أدت إلى خروجه عن محيط التربية والتعليم الضيق في المدرسة إلى دائرة أوسع هي الحياة الاجتماعية العامة من أجل إيجاد دور له في الإصلاح الشامل، يقول عن عوامل الهدم الخارجي للتربية الصالحة: (وبدأت أشعر بأن ما يتركه فساد البيئة الخارجية، والتأثيرات الهدامة التي تسود الجو العام، وتُحدثُ الفوضى والاضطراب في الآراء والأفكار، وتأتي عن طريق كتب المطالعة الفاسدة، والرسائل والصحف، والأدب "التقدمي" المزعوم، وتنفذ عن طريق المرئيات والمسموعات إلى عقول الطلاب وقلوبهم من أثر، لا يقاومه ما يزود به الطلاب من زاد ديني، وتغذية صالحة، فإن السم الذي ينفذ من مختلف النوافذ والمسارب إليهم، أضعاف أضعاف ما يقدم إليهم من ترياق، وما تبذل في سبيل إصلاحهم من جهود ومحاولات)[1]. ولكن الشيخ أبا الحسن بحكم تربيته في أسرة تهتم بأمر المسلمين، وتدرك المخاطر التي تحيط بالمجتمع من كل جانب، ما كان ينبغي له أن يقف مكتوف الأيدي تجاه ما يجري من منكرات تهدد كيان الأمة الإسلامية التي كان يعيش فيها في ذاك الوقت (النصف الأول من القرن العشرين الميلادي وما تلاه)، ولم يتقبل الاستسلام لعوامل هدم التربية الصالحة التي يتلقاها أبناء المسلمين من أسرهم ودور العلم والعبادة في محيطهم الاجتماعي، وهكذا هو حال المصلحين في مجتمعاتهم، يتصدون لحمل راية الإصلاح، وهذا الذي رأيناه من خلال تتبعنا لسيرة الندوي وجهوده الفكرية والعملية.

كانت للإمام الندوي مساهمات مقدرةٌ منذ ولوجه العمل الإصلاحي العام في داخل بلاده وخارجها حوالي (١٩٣٩ـ١٩٩٩م)، فقد اشترك في

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص١٥٥.

لقاءات ومؤتمرات عديدة، إلى جانب نشاطه العملي والتأليف المتصل طوال هذه المدة الطويلة، وفي واحدة من الندوات المتصلة بقضايا الشباب والتي انعقدت بعمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية في عام ١٩٧٣م، والتي حضرها لفيف من العلماء والمختصين في هذا الموضوع، حيث أدلى سماحته بأفكار حول مشكلة الحيرة التي يعاني منها الشباب في العالم الإسلامي عارضاً أسبابها ومبيناً علاجها، يقول: (من أعظم أسباب الحيرة التي يعانيها الشباب المسلم اليوم هو التناقض في المجتمع الذي يعيش فيه، تناقض بين ما ورثوه وبين ما يعيشونه، وبين ما يُلقّنونه تلقيناً، وبين ما يطلبه علماء الدين، هذا التناقض العجيب الذي سُلّط عليهم وآمنوا به، هو السر في هذه الحيرة المردية...)، ثم يتحدث مفصلاً أصل الداء مبيناً أن ما تلقاه الشباب من جهود تربوية دينية منذ طفولتهم، ثم ما كانوا يتعرضون له ـ في الوقت نفسه ـ إلى كل ما ينقض الذي أبرمته بيئاتهم، وكل ما غرسته في قلوبهم وعقولهم من تربية إسلامية أو ـ على أقل تقدير ـ لما يقلل قيمة الذي تمت تربيتهم عليه من قيم، وهذا هو الذي أوقعهم في صراع فكري، وارتباك نفسي. والإمام الندوي لا يتردد في أن يعزو ذلك إلى كثير من البرامج المسموعة والمرئية والمقروءة الفاسدة في بلاد هؤلاء الشباب، يقول: (إنه يتلقى هذا الصراع من مؤسسات تعليمية، ومن التلفزيون، ويسمع إذاعات وأحاديث، وبرامج تقضي على البقية الباقية من آثار التربية القديمة، ومن الصحافة التي تقدم إليهم في أول النهار الغذاء الفاسد العفن والمواد المثيرة المهيجة...). ثم يتحدث ـ بجرأته المعهودة في قول الحق ـ عن تناقض التربية الموروثة والتربية الحديثة الغازية وتجاذبهما، ثم يجسد ذلك التجاذب في صورة بليغة حيث يعلن: (إن مثل ذلك أيها السادة! كمثل عجلة أو مركبة ركب فيها فرس في الأمام وفرس في الوراء، وكلاهما قويان، فكما أن هذه العجلة من المعقول جداً

أن يكون ركابها في حيرة من أمرهم، هذا يجرها إلى الأمام وهذا يجرها إلى الوراء، فكذلك الشباب يتأرجحون في أرجوحة يميناً وشمالاً)[1].

إن الكاتب يستطيع التأكيد بأن الإمام الندوي يرى أكبر مؤثرين سالبين على تربية الأبناء في البيئة الاجتماعية العامة للأمة، هما:

(١) وسائل الإعلام التي يمكن أن تهدم ما تبنيه الأسرة والمسجد والمدرسة؛ لذا لا بد أن تكون هذه الوسائل في أيدي أناس صالحين.

(٢) ثنائية التعليم في العالم الإسلامي (تعليم تقليدي وتعليم حديث) يؤدي إلى تناقض في تربية أبناء الأمة الإسلامية؛ لذا لا بد من التخلُّص من هذه الثنائية بإحكام ربطه بعقيدة الأمة، على أساس أن التعليم وحدة لا تقبل التجزئة بين قديم وحديث، إنما هناك ثوابت ومتغيرات، على ألا يساوم في الثوابت، أما المتغيرات التي لا تؤثر على ثوابت الأمة فيمكن استثمارها وفقاً لمتطلبات العصر، ولا شك أن هذا العلاج يحتاج إلى جهود جبارة ومخلصة، ومشاريع كبيرة مدعومة معنوياً ومادياً من قبل الحكومات والهيئات العلمية والتربوية والإعلامية، التي تتضافر جهودها المخلصة لإزالة هذا التناقض.

إن الإمام الندوي يربط بين التربية الإسلامية والدعوة إلى الله ربطاً يجعلنا لا نفرق بينهما، حيث يعتبر وظائف الدعوة شاملة لتربية الإنسان عقلياً ووجدانياً وبدنياً، وهذه نفس وظائف التربية التي يقول بها المتخصصون في هذا المجال. يقول: (إنما هي دعوة الإسلام التي تشمل العقيدة والأخلاق والأعمال والعبادة والسلوك الفردي والاجتماعي، وتتناول العقل والقلب والروح والجسم...)[2].

---

(١) أبو الحسن الندوي، الطريق إلى السعادة والقيادة...، مرجع سابق، ص ص١٦٢-١٦٤، والتربية الإسلامية الحرة...، مرجع سابق، ص ص١٠١-١٠٣.

(٢) أبو الحسن الندوي، نحو تكوين إسلامي جديد، ط٢، المطبعة الندوية بندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م)، ص٩.

تاسعاً: عناصر العملية التعليمية

(١) **المعلم:** المعلم عند أبي الحسن الندوي مربٍّ يؤدي عبادة، ويطلع بأمانة لا تضاهيها أمانة؛ لذا فلا بد من أن يكون حكيماً يؤثر على سلوك طلابه، ماهراً في فنه، مخلصاً محتسباً. والمعلم كالأب العطوف، يتصف بالجد في العمل مع استقامة في السلوك، ويكون قريباً من طلابه ويهتم بشؤونهم، ويتفقد أحوالهم، والندوي كان معلماً في مقتبل شبابه، منذ تعيينه مدرساً للأدب والتفسير بدار العلوم التابعة لندوة العلماء منذ (١٩٣٤-١٩٤٤م)، حيث ترك هذه المهنة وتفرغ للدعوة والتأليف بعد قضاء فترة حافلة في إعداد المقررات الدراسية، وتربية الطلاب تربية إيمانية وعبادة مخلصة، قائمة على العلم والإخلاص والتواضع، ويشهد بذلك تلاميذه الذين لازموه مدة طويلة من الزمن - عندما كان رئيساً لندوة العلماء على مدى سبع وثلاثين سنة تقريباً، أما هو فيحدثنا عن المعلم الرباني في نظره، حديث الخبير بواقع هذا العمل الشريف قائلاً: (... لا بد أن ينهض هؤلاء الربانيون الذين ذكرنا بعض النماذج من سيرتهم ومن دعوتهم للإسلام في كتابنا "رجال الفكر والدعوة" و"ربانية لا رهبانية" فإن الربانيين العُبّاد من الراسخين في العلوم، المتبعين للسنة، فيهم وحدهم قدرة على تربية النفوس على الإيمان والإسلام والخلق المستقيم، والتمرد على المادة والشهوات، والتغلب على المغريات المعاصرة، وكان ما زال في العالم الإسلامي هذا النمط من الربانيين ما خلا منهم، ولكن اجتمعت عدة أدوات لمحاربة هذه الربانية الصافية...)[1]. ويضرب الشيخ الندوي أمثلة ببعض أساتذته الذين أخذ عنهم علوم اللغة

---

(١) أبو الحسن الندوي، (واقع العالم الإسلامي وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه؟)، مجلة الصحوة الإسلامية، إصدار القسم العربي بالجامعة الإسلامية - دار العلوم حيدرآباد، العدد ٢٩، جمادى الأولى ١٤١٦هـ (أكتوبر ١٩٩٥م)، ص ص٥٤-٥٥.

والدين في سن الصبا؛ لكونهم نماذج نادرة قل أن يجود الزمان بمثلهم، وهؤلاء يمثلون القدوة التي يجب أن يحتذيها من يشتغل بالتدريس عموماً، وبتدريس اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي خصوصاً؛ لأنهم يتصفون بصفات فريدة، منها:

أ) يُطعِّمون التلاميذ بذوقهم وآرائهم.

ب) ينفخون الروح في الكتب التي يدرسونها.

ج) ينشئون الذوق الصحيح، والملكة الصالحة في الفن الذي يدرسونه.

د) يدركون أن مهمتهم مهمة روحية وخلقية ومهنية ـ أيضاً ـ فهم معلمو سلوك ومهارات.

إن الشيخ أبا الحسن يحدد لنا مواصفات المعلمين الربانيين، ويصرح بأنهم نادرون، ومن يتصفون بهذه الصفات قليلون (لا يوجد أمثالهم في الآلاف إلا واحداً بعد الواحد، تلك المهارة والبراعة وذلك النبوغ ملكة موهوبة وليست مكتسبة)[1].

وإجمالاً فإننا نرى أن ملاحظة العلامة الندوي فيما يتصل بندرة أمثال هؤلاء المربين والمعلمين الربانيين الذين تتلمذ على أيديهم من الذين يراقبون الله في عملهم، ويتصفون بسلامة الظاهر وسلامة الباطن حقيقة واقعة وأمر مشاهد، إلا أن الأمل معقود على شباب الصحوة الإسلامية، والتي يعتبر العلامة الندوي أحد دعامتها، ومن الذين ساهموا في دفعها برؤية ثاقبة، وفكر حكيم، وعمل مخلص. كما يرى الكاتب أن دوراً مهماً ينتظر معاهد تدريب المعلمين والمعلمات وكليات التربية، ودورات التدريب القصيرة والطويلة لتأهيل مربين حاذقين للعلم، ماهرين بفن التدريس، مزودين بثقافة متنوعة، ناضجين في تفكيرهم، مع استقامة في سلوكهم نابعة من تعاليم

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص ص٧٨-٧٩.

دينهم الحنيف. ثم ينقل الندوي نصيحة يسديها للمعلمين والمتعلمين، استخلصها أثناء عمله بالتدريس بدار العلوم، والنصيحة هي: أن ينقطع المعلمون والمتعلمون للعلم وتجويده، والإخلاص فيه والعناية به جلباً للمصلحة، يقول في ذلك: (وقد كان هذا الاعتكاف الفكري والعملي، والانكباب على التدريس والمطالعة في صالح المدارس العربية بل المدارس عامة؛ حتى يتركز كل جهد الأستاذ والطالب على الدراسة والتدريس. ولقد أدى الضعف في هذا الانصراف عن الدرس والمطالعة والعكوف على تربية الطلبة إلى الفوضى والصراع في المدارس)[1].

(٢) **المتعلم**: المتعلم هو محور العملية التعليمية؛ يتصف بالمواظبة في دروسه، والهمة العالية في تحصيل العلم مع الصبر والاحتساب والتواضع والتهذيب. والمتعلم عند الندوي يطلب العلم إلى أقصى درجة ممكنة (من المهد إلى اللحد). ولقد كان اهتمام هذا المربي بالمتعلم كبيراً، حيث ألف له الكتب التعليمية، وعامله معاملة مليئة بالعطف والحنان. وفي إطار التعليم أخرج طلابه خارج الصفوف الدراسية (في حرم دار العلوم) للمطالعة في الصحف والمجلات وبعض الكتب المختارة في جمعية الإصلاح. وساعد طلابه كذلك بالانخراط في أنشطة ثقافية تجرى فيها المسابقات التي تثري ثقافة الطالب بكثير من المعلومات المفيدة في المستقبل. وقد علم الباحث بأن هذه الأنشطة تجرى حتى اليوم بهمة ومسؤولية، كما في النادي العربي على سبيل المثل. وقد أخرج طلابه المتميزين إلى خارج حدود المدرسة في نشاط متمثل في جولات تربوية وثقافية يقوم بها أولئك الطلاب في آخر الأسبوع، يعلّمون فيها الناس في الحواري والأحياء الفقيرة أمور دينهم، كما يحيون لأنفسهم برامج لتهذيب النفس وتزكيتها بالعبادات من تلاوة وذكر وصوم وصلوات.

---

(١) المرجع السابق، ص ص١٥٣-١٥٤.

والإمام يبرهن بذلك عن حقيقة أجمع عليها كثير من المربين (في الماضي والحاضر) وهي ألا يكون التركيز على حشو ذهن المتعلم بالمعلومات وحسب، فليست هذه غاية التعليم، وإنما غايته عند الندوي هي إعداد المتعلم لحياة الطهر والإخلاص في العبادة، فضلاً على ربطه بمجتمعه في أنشطة تدريبية تعده داعيةً في المستقبل، علماً بأن مجال الدعوة عند الندوي يقتحمه الطبيب المسلم، والمهندس المسلم، والمعلم المسلم، والقاضي المسلم ونحوهم ممن تخصصوا في شتى التخصصات، على أن يكون الهدف هو تبليغ الدعوة كل بقدر استطاعته قولاً وسلوكاً. إن هذا الالتزام الشامل في بناء شخصية المتعلم ـ على أساس المثل العليا والأخلاق المنبثقة من تعاليم الدين ـ هو أسمى ما يسعى إليه الإمام الندوي. وإن اهتمامه بالمتعلم تؤكده كتاباته وما أثر عنه، ويحفظه تلاميذه، ويتمثل هذا الاهتمام عنده في:

أ) العلوم التي يتلقاها المتعلم

ب) الثواب والعقاب في التعليم

ج) طريقة الحفظ وأفضل ساعات الاستذكار

د) مأكل المتعلم ومشربه وملبسه

ولم يقتصر اهتمام الشيخ عند هذا الحد، بل تعداه ليتحدث عن التخرج الذي يعتقد كثير من الناس بأنه غاية التعليم، يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: (إن التخرج في المدارس وسيلة لا غاية، وهو عبارة عن بدء السير والشروع في الرحلة الطويلة في مسار العلم الشاسع البعيد، ولذلك يرى بعض أصحاب البصيرة أن استخدام لفظ الفراغ من التعليم ـ التخرج ـ خطأ في التعبير ووضع الشيء في غير محله)[1]. وهذا يؤكد بأن التعلم عند الندوي عملية مستمرة تبقى مع الإنسان ما بقي على وجه البسيطة، وهو

(١) المرجع السابق، ص١١٢.

مبدأ إسلامي نادى به الدين قبل غيره؛ ممن يتحدثون عنه اليوم من أصحاب النظريات المادية.

(٣) **المنهج التعليمي**: ينظر الشيخ الندوي إلى العلم ـ كما تناولنا آنفاً ـ على أنه وحدة واحدة لا ينقسم إلى قديم وحديث، وشرقي وغربي، فإن انقسم فإنما ينقسم إلى صواب وخطأ، ونافع وضار، وأصول وفضول، وغايات ووسائل. أما عن موقفه من الأخذ والترك، والانتفاع والطرح مما أنتجه العقل الإنساني، فإن الشيخ يعتمد على تعاليم الدين (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها). واستناداً على هذه المبادئ فإن العلامة الندوي يرى أن حاجة المسلمين تكمن في إيجاد نظام تعليمي له أهدافه ووسائله المستمدة من دين الإسلام؛ لذا فإن الكتب المقررة في المنهج الدراسي، يجب ألا تخلو من روح الإيمان كما جاء به الدين الإسلامي، وهذا يساهم في تحقيق الهدف الأسمى للتربية الإسلامية، ألا وهو إعداد الإنسان الصالح العابد لله بمعنى العبادة الشاملة المستوعبة لجميع جوانب الحياة، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) سورة الأنعام.

إن حركة ندوة العلماء التي ساهمت في نمو عقلية هذا الإمام، كانت لها وجهة نظر تعليمية خاصة، ومطالعات ودراسات وتجارب معينة كان القصد منها نفخ روح جديدة في أنظمة التعليم الديني ومناهجه، وتطورها حسب مقتضيات ظروف العصر المتغيرة، وكانت تدعو إلى الاهتمام بالفن نفسه أكثر من الكتاب المقرر، وبالمقاصد والغايات أكثر من المباحث الجانبية والقضايا الفرعية، وإحياء منهج المتقدمين الذي كان يغذي العاطفة والعقل، ويقوم على فكرة ترسيخ العلم وإنشاء الذوق بدلاً من النزاعات والخلافات اللفظية والافتراضات العقلية، وشق الشعرة، وصنع

القبة من الحبة، وصرف كل الذكاء والعبقرية في الشروح والحواشي عند المتأخرين، وكانت ترمي إلى تعليم العربية بوصفها لغة حية نابضة تكون وسيلة للدعوة، وتنشئ في طلاب المدارس العربية وخريجيها ملكة الخطابة والإنشاء والتحرير؛ لذلك أنشأت دار العلوم لتكون ذراعها في مجال التعليم عام ١٣١٢هـ، وقد اقتضى هذا أمرين.

أ) إعداد منهج دراسي يحمل هذه الخصائص والمميزات (حسب رؤية ندوة العلماء)، ويغني عن تلك الكتب التي لا تتفق مع هذا المستوى والغرض، والتي دعت الحاجة إلى اعتمادها في الخطة الدراسية لعدم توفر المطلوب.

ب) تربية المعلمين وإعدادهم. ولا يكفي اقتناعهم بوجهة نظر تلك المؤسسة التعليمية وتصوراتها فحسب، بل الواجب عليهم أن يتحمسوا للدعوة إليها، والتبشير بها، ويقدمون من أنفسهم نماذج حية عملية لها، ويبذلون كل ما في وسعهم من صلاحية وكفاءة عملية وتدريسية بكل اهتمام وتركيز وعناية، في إنجاح المناهج التعليمية المطبقة فيها، وإثبات أنها تتميز عن الأنظمة والمناهج الأخرى بكثير من الجودة وحسن الاختيار[1].

لقد ظلت دار العلوم ـ ندوة العلماء والمدارس التابعة لها مركز إشعاع ديني ونموذجاً يحتذى في الهند، وقد توسعت وقطعت مراحل من التطور في عهد أبي الحسن الندوي، ويمكن ذكر بعض التطور ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ ومن ذلك قيادة الشيخ الندوي الحكيمة لها منذ مطلع الستينيات من القرن العشرين الميلادي إلى حين وفاته في عام (١٩٩٩م)، حيث كان يدعو العلماء

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص٤٠، ومحمد طارق زبير الندوي، سماحة الداعية المجاهد الإمام أبي الحسن الندوي (مؤلفاته العربية)، مرجع سابق، ص٣٤.

والخبراء في مجال التربية والتعليم إلى بلاده، من داخل الهند وخارجها من العالم العربي والإسلامي؛ لمناقشة تطوير المناهج، واتباع أنجع السبل في تحقيق ذلك الهدف، فضلاً على جهوده الشخصية في إثراء مكتبة دار العلوم، ومكتبات المدارس التابعة لها، بل المكتبة الإسلامية المعاصرة، بكتب تعليمية وفكرية أخرى، حملت محصول عقليته الكبيرة، وسنتناول بالعرض والتحليل نماذج من جهوده في إعداد المقررات الدراسية أثناء حديثنا هذا.

وفي سياق الحديث عن هذا التطور؛ بفضل جهود الشيخ أبي الحسن الندوي، لا بد من الإشارة إلى أن دار العلوم في عهده قد خرَّجت عدداً كبيراً من العلماء الصالحين والرجال المخلصين في مجال العلم والدين، ولهم جهود وآثار جليلة ومقدرة في شرح كتب العلوم الإسلامية، وهؤلاء التلاميذ هم غرس يدي هذا المصلح الداعية، تعلموا من فكره ومن التأسي به كقدوة صالحة، يقول في ذلك الشيخ علي الطنطاوي: (وإذا كان من بنى حصناً أو قاد جيشاً عدَّ في العظماء، فأبو الحسن بنى للإسلام من نفوس تلاميذه حصوناً أقوى وأمتن من حصون الحجر ـ بنى أمة صغيرة من العلماء الصالحين والدعاة المخلصين)[1]. وهذا قول نوافقه عليه من خلال ما عرفناه عن تلاميذه أثناء وجودنا معهم، وإن كانت المدة قصيرة إلا أن الالتصاق الدائم بهم، والتعامل اليومي معهم، أكد لنا صدق ما ذهب إليه الشيخ علي الطنطاوي يرحمه الله.

إنَّ اهتمام الندوي بالتربية والتعليم يرجع إلى اعتقاده الجازم في أن التربية أشد خطراً، وأعمق أثراً، وأكبر مسؤولية في مستقبل الأمة وحياتها. ومما أثر عنه قوله بأنه لو كانت له دعوة مستجابة واحدة لصرفها إلى وزارات المعارف؛ لتقوم بوضع النظام التربوي الذي جاء به الإسلام، لتحقيق غاياته

---

(١) المرجع السابق، ص١٣٧.

وأهدافه في صياغة الفرد المسلم صياغة ربانية. والشيخ أبو الحسن الندوي الذي جرد قلمه ولسانه من أجل الإصلاح التربوي، والدفاع عن حقوق المسلمين في بلاده يقف بحزم في وجه التيارات المغالية ـ من غير المسلمين ـ التي تريد تغيير عقائد أطفال المسلمين من خلال تفعيل مواد دراسية وأنشطة مدرسية في بلده حين (صدرت التوجيهات في ولايته "آترا براديش"، الولاية الشمالية للهند في ١٩٩٨/٧/٢٥م بإلزام المدارس الحكومية البالغ عددها أكثر من مائة ألف مدرسة بضرورة إلقاء الأناشيد الوثنية قبل بدء الدراسة وعند نهايتها، أمام خريطة البلاد وآلهة العلم ـ حسب المعتقدات الهندوسية ـ إظهاراً لحبها والولاء لها وعبادتها، وكان الأمر خطيراً جداً، إلا أنَّ العلامة الندوي كمرشد للمسلمين، وقائد فكري حكيم له وضعه في بلاده وخارجها، استطاع إفشال ذلك المخطط، وبذلك حفظ لأبناء المسلمين عقائدهم من الفساد)[1].

إن المناهج التعليمية في نظر الندوي يجب أن يعاد فيها النظر باستمرار، حتى لا تتخلف عن مستجدات العصر، وتلبية حاجات الدارسين؛ لأن المناهج التي لا تفي بهذا الغرض لن تحقق الأهداف المرجوة منها. وهذه الفكرة تتضح من حديث له عند ترؤسه لجلسة ضمن احتفال للمسلمين في مدينة (كالي كوت) بولاية كيرلا بجنوب الهند في ١٣٨٠/٨/١٧هـ حيث كان يتحدث عن ملة إبراهيم وحضارة الإسلام، يقول: (بقيت مناهج الدراسة عندنا لا تساير الزمان، ولا تفي بالمطلوب ولا تؤتي أكلها كل حين، لقد كان الواجب أن نجدِّدها ونخضعها لغاياتنا، وننفخ فيها روحاً جديدة، ونجمع بين الدين والدنيا، والقديم والحديث). ونلاحظ من مضمون هذه

---

(١) مقتبس بتصرف من: محمد يونس النحرامي الندوي، (المسلمون يعارضون الوثنية في التعليم...) البعث الإسلامي، المجلد ٤٤ (العدد٣)، ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)، ذو القعدة ١٤١٩هـ (يناير ١٩٩٩م)، ص ص٩٠-٩٣.

الكلمات بأن الشيخ الندوي يؤكد على تلبية الحاجات وفقاً لعقيدة الأمة، وإننا نرى أن تؤخذ مثل هذه الأفكار بجدية من قبل أصحاب القرار والمختصين في مجال التربية والمناهج في العالم الإسلامي علها تساعد في إيجاد مخرج للأمة الإسلامية، حتى تسير في الطريق المستقيم الذي ارتضاه لها الله ورسوله.

إن الحقيقة التي لا بد من إبرازها ـ عند تناولنا لآراء العلامة الندوي بالنسبة للمناهج التعليمية ـ هي رؤيته بألا يفرق بين المواد الدراسية كمواد دينية وأخرى مدنية، إذ المواد الدراسية كلها مواد يقصد بها رضاء الله وثوابه؛ لذا لا بد من إعداد مواد تعليمية يتغلغل في أحشائها الإيمان بالله، كما يرى الندوي ـ كذلك ـ أن تكون الكتب التعليمية بالنسبة للأطفال موجهة لعقولهم وعواطفهم. أما من بلغ منهم التمييز بين الخير والشر والصالح والطالح، فلا يرى حرجاً في توفير أنواع من المؤلفات لهم لقراءتها بحرية؛ لأنهم سيعملون عقولهم في التفريق بين الطيب والخبيث. وهو يدعو مؤسسات التعليم إلى عدم الاقتصار على طراز واحد من الكتب بالنسبة للراشدين، وبخاصة الكتب التي تبحث في أمور الدين؛ لأنه لا يوجد مؤلف يمثل النموذج الكامل، يقول الندوي في ذلك: (قد كنت أنا مشغولاً بتنويع الدراسة، وكان من رأيي دائماً أن لا بأس من قراءة كل نوع من الكتب والمؤلفات ما لم يكن مشوباً بالمفاسد والسموم التي تلحق الضرر بالعقيدة، ويُشترط أن يكون الدارس قد بلغ مبلغ التمييز بين الخير والشر)[1]. وهنا نلاحظ أن رأي الندوي في الكتب التي يطالعها الناشئون من الأطفال والراشدون من الكبار، تعكس تجربة شخصية مر بها عند مطالعته للكتب التي كانت تنتقى له وهو ناشئ، ثم لما كبر وبلغ سن العقل صار يقرأ منوِّعاً مطالعاته وقراءاته، ولا شك أن هذه

(١) أبو الحسن الندوي، الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة، مرجع سابق، ص١٩٧.

نصيحة غالية جديرة بالاهتمام والنظر إليها بعين الاعتبار؛ من قبل المربين والمسؤولين عن تربية الأجيال. ثم يخلص مبرراً عدم الاقتصار على كُتّاب معينين لاعتقاده بأن لا عصمة لمخلوق غير الرسول ﷺ. يقول الشيخ الندوي: (ولا يصح الظن في شخصية بأنها النموذج الكامل فلا حاجة إلى غيرها، لأن النموذج الكامل والأسوة الحسنة إنما هي شخصية الرسول ﷺ)[1].

إننا نرى من الضروري في إطار تناولنا لقضية المناهج التعليمية أن نلقي الأضواء على كتب تعليمية مختارة، نقدمها نماذج علها تكشف لنا المزيد الذي يضاف إلى ما توصلنا إليه سابقاً من آراء تربوية، بلورت فكر هذا العالم الإسلامي المعاصر. وسنعتمد عند عرضنا لهذه المؤلفات على ما ذكره الندوي بنفسه عنها، أو على ما ذكره آخرون عنها ومن هذه المؤلفات:

أولاً: مختارات من أدب العرب

الأدب وسيلة يمكن توظيفها لتربية عقلية وأخلاقية صالحة أو طالحة. والإمام الندوي كان يعي هذه الحقيقة ويدرك تلك القيمة للأدب؛ لذا بذل جهداً مقدراً في تأليف جزأين من هذا الكتاب في حدود عام ١٩٤٠م استهدف به الأبناء والبنات من الأجيال الجديدة في هذا العصر الحديث؛ لتهذيب وجدانهم، وتصفية شعورهم، وصقل ذوقهم، وإرهاف إحساسهم، وتعليمهم لغة دينهم، وقد أثبت أهدافه من تأليف الكتاب في مقدمته الرائعة لكتابه هذا قائلاً: (... نعرض على ناشئتنا وعلى الجيل الجديد نماذج جديدة من الكتب القديمة للأدب العربي حتى يتذوق جمال هذه اللغة وينشأ على الإبانة والتعبير البليغ، ويتعرف بهذه المكتبة الواسعة ويستطيع أن يفيد منها)[2].

---

(١) المرجع السابق، ص١٩٧.

(٢) أبو الحسن الندوي، مختارات من أدب العرب، ج١، طبعة مؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)، ١٤١٦هـ (١٩٩٦م)، ص١٨.

لقد شهد كبار الأدباء لكتاب مختارات الندوي باستيفاء شروط الجودة من حيث النواحي الفنية للكتاب التعليمي، ونكتفي بشهادة المفكر الإسلامي الشهير علي الطنطاوي، يقول عن الكتاب: (إذا كان الدليل على ذوق الأديب اختياره، فحسب القراء أن يعلموا أننا عرضنا من أمد قريب كتب المختارات الأدبية لنتخير واحداً منها نضعه بين أيدي تلاميذ الثانويات الشرعية في الشام، ذهب كل واحد من أعضاء اللجنة ـ وكلهم من الأدباء ـ يبحث ويفتش، فعدنا جميعاً وقد وجدنا أن أجود كتب المختارات المدرسية وأجمعها بفنون القول وألوان البيان، مختارات أبي الحسن)[1]، ويمضي الطنطاوي مبدياً ارتياحه وإعجابه بالكتاب ومبرزاً جهد العلامة الندوي في هذا المؤلَّف: (نفض كتب الأدب والتاريخ نفضاً، وحرثها حرثاً، فاستخرج جواهرها، فأودعها كتابه)[2].

ثانياً: القراءة الراشدة

يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء من الحجم المتوسط، وقد استغرق إعداده عامين، حيث فرغ منه الشيخ الندوي في عام ١٩٤٦م، وكانت دواعي تأليف هذا الكتاب سد حاجة الدارسين في دار العلوم، في إطار تطوير المناهج فيها؛ حتى تتماشى مع أهداف ندوة العلماء.

والكتاب ـ كما نرى ـ يعلّم اللغة والأدب من خلال مهارة القراءة المكثفة، ويكسب الدارسين والمطالعين له من الصغار والكبار تربية عقلية؛ من خلال الثقافة الدينية والأخلاقية التي تحتوي عليها نصوص نثرية، وقصائد شعرية، اختارها المؤلف بحرص وعناية؛ تحقيقاً لأهدافه من تصميم مادته. وقد تحسن مستوى إخراج الكتاب وطباعته في الطبعات الجديدة، كما حُلّي ببعض الصور التي لا تسبب حرجاً دينياً (صور جمادات).

---

(١) المرجع نفسه، ص٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٦.

لقد ذكر الندوي بأن سلسلة للقراءة كانت تدرس بدار العلوم بندوة العلماء تسمى سلسلة القراءة الرشيدة، تم إعدادها تحت إشراف وزارة التعليم المصرية، وقد قام الندوي شخصياً بتدريسها، ويقر بأن السلسلة ـ في مجملها ـ كانت ناجحة من حيث صحة اللغة وأصول التدريس، ومن حيث ملاءمتها لسن الدارسين ونفسياتهم ومعلوماتهم العامة، ولا تخلو من الروح الدينية والقيم الأخلاقية، إلا أن بعض المواضيع لا تتلاءم مع البيئة الهندية وظروفها الخاصة؛ لذلك استعيض عنها بالقراءة الراشدة.

يلاحظ الباحث اعتراف الإمام الندوي بدور القراءة الرشيدة، غير أن مبررات موضوعية ذكرناها حتمت استبدالها، وهذا يؤكد مبدأ ثابتاً عند خبراء المناهج وهو المراجعة المستمرة للمقررات الدراسية بهدف تطويرها نحو الأفضل، بحسب الظروف المتغيرة، كما يلاحظ نوعاً من التشابه بين اسم السلسلتين (القراءة الراشدة والقراءة الرشيدة) حيث غيّر العلامة الندوي الصياغة من صيغة المبالغة (الرشيدة) إلى اسم الفاعل (الراشدة) أي الهادية؛ ليميز مؤلفه الجديد الذي جاء بمحتوىً جديد يلائم البيئة الدراسية في دار العلوم. والباحث يرجّح ـ أيضاً ـ تقدير الإمام الندوي للدور الذي أدته السلسلة السابقة (القراءة الرشيدة) في مسار العملية التعليمية بدار العلوم في وقت لم يكن فيه بالإمكان أحسن مما كان. ونرى أن حفظ الجميل هنا من حسن الخلق، الذي هو الاعتراف لصاحب الفضل بفضله، ومعلوم بأن العلامة الندوي أديب راسخ في اللغة وله مؤلفات عديدة تناولت شتى المواضيع ـ هذه المؤلفات التي قلما يكون لها مثيل في هذا العصر (أكثر من ١٨٠ كتاباً عربياً)، وتحمل عناوين صادقة ومعبرة للمتأمل فيها.

إن محتوى القراءة الراشدة يعبّر تعبيراً صادقاً عن فكر مؤلّفه الإسلامي، يقول الشيخ الندوي مبيناً المدة التي أكمل فيها إعداد السلسلة ومتحدثاً عن المحتوى: (تمت الأجزاء الثلاثة في مدة سنتين، والتزمت في إعداد الدروس ألا يخلو أي درس ـ حسب المستطاع ـ من موعظة دينية وموضع عبرة، وأن يستنتج منها الطالب فائدة خلقية ودينية تهذيبية، أو ترشد إلى تعليم خلقي وأدب إسلامي ـ

بحيث لا يشعر بأنها تلقى عليه إلقاءً ويطعم من الخارج، بل يحفظها عفواً في ثنايا الدروس والحكايات)[1].

ثالثاً: كتاب السيرة النبوية

كتبه العلامة الندوي في تفصيل وتوسع، وهو يزيل كثيراً من التساؤلات التي تدور بذهن الدارسين والمطالعين للسيرة. كما يثير بقراءته كوامن الإيمان ويغذي الروح بمبادئ الإسلام الأساسية، ويحي النفوس الخامدة، والهمم الباردة. ومن أهم القيم التربوية فيه التركيز على القيم الأخلاقية وبعث الثقة في النفس. والكتاب في مجمله يصنع من المطالع له نموذجاً صالحاً لنفسه ونافعاً لمجتمعه وأمته، كما أن أسلوبه يمتاز بالسلاسة والمتعة والفصاحة. تلك هي السيرة التي يعوّل عليها الإمام الندوي كثيراً في تربية الأجيال، يقول عنها: (ومن المقرر أن السيرة أقوى العناصر وأكثرها تأثيراً في النفس والعقل بعد القرآن)[2].

وقد ألّف الندوي كتباً أخرى للكبار تم اختيارها في بعض المؤسسات التعليمية (مقرراً دراسياً دينياً) ونذكر منها على سبيل المثال في موضعه ممّا يلي.

رابعاً: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

هذا الكتاب من أهم كتب الندوي، وقد عرف به قبل أكثر من نصف قرن مضى، نشر في القاهرة عام (١٩٥٠م)، ويذكر تلميذ العلامة الندوي الشيخ نذر الحفيظ الندوي الأزهري واصفاً الكتاب (هو أشهر مؤلفات الأستاذ الندوي، وأوسعها انتشاراً في العالم الإسلامي، وأكثرها نقلاً إلى اللغات الشرقية والغربية، صدرت له أكثر من عشرين طبعة)[3]. وقال عنه الأستاذ سيد قطب في تقديمه له: (هو خير ما قرأت في هذا الاتجاه في القديم والحديث... إن الخصيصة

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص١٤٥.

(٢) نقلاً عن: محمد اجتباء الندوي، أبو الحسن علي الحسني الندوي الداعية الحكيم والمربي الجليل، مرجع سابق، ص١٠٥.

(٣) نذر الحفيظ الندوي الأزهري، أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً، مرجع سابق، ص١٨.

البارزة في هذا الكتاب كله هي الفهم العميق لكليات الروح الإسلامية في محيطها الشامل، وهو لهذا لا يعد نموذجاً للبحث الديني والاجتماعي فحسب، بل نموذجاً كذلك للتاريخ كما ينبغي أن يكتب من الزاوية الإسلامية)[1]. كما كتب د. محمد يوسف موسى أستاذ أصول الدين في الأزهر: (إن قراءة هذا الكتاب فرض على كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام)[2].

هذه بعض شهادات كبار المفكرين وقد سقناها باعتبار أن الكتاب يُطَالَع ويُدرس مقرراً للقراءة في مؤسسات تربوية منها المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي بدار العلوم بندوة العلماء.

إن ما تناولناه من الكتب التعليمية ما هي إلا نماذج لجهود الشيخ أبي الحسن الندوي في الإسهام في مجال المناهج التعليمية، وقد كانت له جهود أخرى في التخطيط التربوي والاستشارات في مناهج الكليات في الجامعات في بلاده وفي خارج بلاده. كما توجد له آثار أخرى من كتب ومحاضرات في مختلف فنون المعرفة مثل: دراسات القرآن الكريم والحديث الشريف وسائر الدراسات الإسلامية والأدب، ومجال الفكر عموماً، وقد تضمنتها آثاره المثبتة، والتي تم اختيار كثير منها مقررات دراسية في المدارس والجامعات في بعض البلاد الإسلامية، وفي المهاجر في الغرب والشرق لمحتوياتها المربية للأجيال في هذا العصر.

لم تقتصر جهود العلامة الندوي على إعداد المقررات فحسب، ولكن كانت له جهود أخرى في طرق التدريس بالنسبة للغة العربية وغيرها من المواد الدراسية مما كان يوكل إليه تدريسها، وهذه الجهود كانت تتم في إطار تطوير التعليم الذي تنتهجه دار العلوم. يتحدث العلامة الندوي في محاضرة تطرق فيها للمقررات الدراسية مبيناً أهمية العلوم الإسلامية وعلوم العربية، يقول: (وليس لتعليمها طريقة واحدة، ولا منهاج واحد لكل عصر ولكل بلد، وعلينا أن نختار الأوفق

---

(١) أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، طبعة دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ص٥.

(٢) نذر الحفيظ الندوي الأزهري، أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً، مرجع سابق، ص ص١٩-٢٠.

بطبيعتها وطبيعة البلاد، والأوضاع المحلية بنا والأكفل بالنجاح والأضمن بالنتيجة)[1]، وهذا يدل على رؤية مرنة ـ في رأينا ـ في تسيير العملية التعليمية للدراسات الإسلامية والعربية، ولا شك أن هذه الرؤية تشجع القائمين على التعليم في اختيار المفيد من الأساليب التي ترتقي بالتعليم بحسب متطلبات بيئاته.

لقد كان للعربية نصيب بارزٌ في تطوير مقررات دار العلوم وطرق تدريسها، ويقول العلامة الندوي متحدثاً عن التطوير الذي أولته دار العلوم لتدريس اللغة العربية باعتبار أنها لغة القرآن، ومفتاح فهمه ـ أي القرآن ـ وأمينة خزائنه، وجهت دار العلوم عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة لكونها لغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب، لا كلغة أثرية دارسة لا تتجاوز الأحجار والأسفار، كما كان الشأن في الهند))[2].

هكذا كانت ندوة العلماء في الهند تراقب بوعي ومسؤولية ما كان يحدث للعربية من تدهور لازمها في القرون الأخيرة في ديارها بسبب ضعف الأمة العربية، وبسبب الغزو الثقافي والفكري الاستعماري والذي تآمر على العربية لغة الدين متهماً إياها بالصعوبة والجمود، فحدث ما حدث من تشجيع للعامية، وتبديل لحروف الكتابة العربية إلى اللاتينية، ومحاربة معلمي هذه اللغة والداعين إليها، والسخرية من متعلميها الذين ما وجدوا سبيلاً للوظيفة الحكومية إمعاناً في التضييق عليهم، وقد شمر لهذا التيار الجارف ـ آنذاك ـ رجال لم تثنهم مؤامرة أعداء العربية وحاملي لواء الحرب عليها، وكان من بين هؤلاء المشمرين العلامة الندوي الذي انطلق باذلاً جهده للدفاع عنها، ورافعاً من شأنها بلسانه وقلمه، حاثاً أبناءها من الناطقين بها أن ينهضوا من كبوتهم ويقوموا بواجبهم، وشجع المسلمين من غير الناطقين بها بالانتصار لها وتعلمها؛ لأنها لغة دينهم، كما أعلن

---

(١) أبو الحسن الندوي، ملة إبراهيم وحضارة الإسلام، ط٢، المطبعة الندوية، لكهنؤ (الهند)، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م)، ص١٩.

(٢) عبد الله قادري الأهدل، (مع الشيخ الندوي) مجلة الصحوة الإسلامية، العدد ٣٦، محرم١٤٢١هـ (أبريل ٢٠٠٠م)، ص١٥٩.

في حماس - بسبب ما رأى من تقاعس في الدفاع عنها - أنّ تعلُّمها فرض كالصلاة والصوم، وهذا القول سمعه مؤلف الكتاب من الدكتور أحمد الكبيسي، من قناة دبي الفضائية في برنامج (النبأ العظيم)، في حديث عن السيرة العطرة بتاريخ ١٤٢٤/١١/١٠هـ (٢٠٠٤/١/٢م).

كان للشيخ الندوي رأي في أنجع الطرق لتدريس العربية لغير الناطقين بها، وذلك في أثناء عمله مدرساً بدار العلوم، حيث كان يعتقد بأنَّ الطريقة المباشرة (Direct Method) تحقق نجاحاً أكبر من الطريقة القديمة المعمول بها في دار العلوم وهي: طريقة القواعد والترجمة (Grammar Transformation Method)، وقد خلص الندوي إلى هذا الرأي من متابعته لأداء الطلاب، ثم من خلال تجريب الطريقتين على مجموعتين من الدارسين لتقويمهما، يقول: (كان من تأثير هذا الجو السائد للعربية، ومنهج التعليم المختار لدى الشيخ الهلالي، الذي كان يرى الاستعانة في تعليم لغة بلغة أخرى خطأً من الأساس، وصحبة الأستاذ محمد العربي ليلاً ونهاراً - أن خطر ببالنا تعليم اللغة العربية بالطريقة المباشرة وأسند إليَّ عدد من طلاب الصف الأول... وعدد آخر إلى بعض المدرسين المحترمين الشيوخ لتدريسهم على المنهج القديم) [1]، ثم بعد الفحص والتقويم ظهرت النتيجة: (... فكانت جامعتنا هي الأولى، وقد استفاد الطلاب بهذا المنهج أكثر، وكان لنا بذلك مران على الطلاقة في الكلام بالعربية وتمرين على الخطابة والإفهام، كان أساساً فيما بعد لتلك الخدمات المتواضعة التي تحققت بفضل الله - تعالى - في مجال الدعوة والتربية) [2].

ونستخلص من النصوص المقتبسة أعلاه جملة من الحقائق، منها:

(١) التقويم عن طريق التجريب يؤدي إلى نتائج صادقة.

(٢) الاستعانة بطرق تدريس جديدة يؤدي إلى نتائج مرغوبة.

---

(١) أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، ج١، مرجع سابق، ص ص١١٨-١١٩.

(٢) المرجع نفسه، ص١١٩.

(٣) المراجعة المستمرة للوسائل والأساليب تساعد على نجاح العملية التعليمية.

(٤) توظيف التعليم للدعوة؛ ذلك لأن الشيخ الندوي يعتبر الدعوة غاية ووسيلة؛ غاية يقوم العلماء بها باعتبارهم ورثة النبي، والقيام بالدعوة حفظاً لرسالة التوحيد التي جاء بها النبي الخاتم. وهي وسيلة للتربية ـ كذلك ـ لأن النبي ﷺ ربّى أصحابه بها، وواجب الدعاة إلى الله أن يقوموا بالدعوة كل في مجال تخصصه وبقدر استطاعته ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٨٦) سورة البقرة.

عاشراً: المرأة

أولى الإمام الندوي المرأة كثيراً من الإجلال والتقدير، وذلك لما تقوم به من دور أساس وفعال في تربية الأجيال؛ ومن ثم التأثير على المجتمع والأمة برمتها، نجد هذا من خلال تتبعنا لسيرته وآثاره، حيث تأكد لنا بأنها كانت تحتل حيزاً كبيراً في فكره؛ باعتبارها نصف المجتمع الإنساني من حيث العدد، وأنها عماد الأسرة في التنشئة والرعاية الأولى للطفل.

إن أثر التنشئة والتهذيب والتعليم الذي وجده العلامة الندوي ـ شخصياً ـ من قبل والدته ظل محفوراً في ذاكرته يتحدث عنه في مناسبات عديدة وفاءً وعرفاناً لها، وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (١٤) سورة لقمان، كما أن هذا العالم لا ينسى وهو طفل صغير دور خمس من نساء أسرته، ومنهن أمه وخالته اللائي كن يعشن أجواءً روحية كانت لها بالغ الأثر في تربيته العقلية والوجدانية، والمتمثلة في حبه لله ولرسوله وللسلف الصالح من المؤمنين.

وعن دور المرأة في بناء المجتمع الإسلامي، ألقى العلامة الندوي محاضرة في كلية البنات بجامعة الإمارات العربية المتحدة في مدينة العين، في ١٤٠٤/٢/١٦هـ الموافق (١٩٨٣/١١/٢٠م) يقول: (يسعدني أن أتحدث إلى نصف المجتمع العربي الإسلامي في هذا البلد، وإلى عماد الأسرة الإسلامية وعمودها الفقري، إلى بنات المسلمين السيدات المسلمات، فمثل هذه الفرصة يجب أن تنتهز ويستفاد منها، وكان رسول الله ﷺ إذا انتهى من وعظ الرجال من الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ انصرف إلى وعظ النساء)[1].

إن هذا اللقاء وما يحتوي عليه من كلمات يؤكد ما ذهبنا إليه آنفاً من اهتمام الشيخ أبي الحسن الندوي بالمرأة عموماً، وبالشابات من بنات المسلمين خصوصاً، وهذا من صميم جهوده المبذولة للشباب (الذكور والإناث) حيث تكتمل الرؤية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١٩٥) سورة آل عمران، وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) سورة النحل. ومن هنا يأتي التصور الإسلامي للتكليف بالعبادة، لا فرق بين ذكر وأنثى إذا أراد العمل الصالح، سواء أكان من الرجال أو من النساء، يتقبله الله سبحانه، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأن الحياة الطيبة في الدار الآخرة تنتظر الذين يعملون الصالحات من الجنسين كليهما، وهذا فيه تصريح بالمساواة وعدم التمييز بين الرجال والنساء المتنافسين في أعمال الخير.

---

(١) أبو الحسن الندوي، أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص٣٠.

ثم يتحدث الندوي موجهاً حديثه للطالبات ـ بجامعة العين ـ كأمهات في المستقبل عن الدور الذي ينتظرهن، حيث ينقل إليهن أخبار الأسوة الصالحة من النساء اللاتي ربين رجالاً وفق مبادئ الدين وكان لهن دور في إصلاح المجتمعات، يقول في ذلك: (كانت الأسرة مدرسة كاملة، وتتشئهم على العقيدة الإسلامية، وكثيراً من كبار المصلحين في الإسلام إنما هم غرس أمهاتهم، فهذا سيدنا عبد القادر الجيلاني الذي أحدث انقلاباً روحياً، والذي قامت له حكومة ربما كانت أوسع من حكومة العباسيين هي الحكومة الروحية الخلقية إنما كان من غرس أمه)[1].

ثم يحكي الشيخ الندوي على لسان الجيلاني كيف خرج من جيلان في فارس (إيران) في طريقه إلى مكة المكرمة وهو فتىً يافع، وكيف أوصت الأم وحيدها بوصية واحدة بألا يكذب تحت أي ظرف من الظروف، وكيف تمسك بهذا عندما أغار اللصوص على قافلتهم وسأله أحدهم عمَّا إذا كان معه شيء، فأخبره بمكان الدنانير التي خاطتها أمه في ثوبه، فأخرجها لهم، وكانت سبباً في توبة الرجل ومن بعده جماعة اللصوص الذين أعادوا كل ما نهبوه من القافلة[2].

إن الذي أورده الإمام الندوي في هذا النص أعلاه ـ في نظرنا ـ يؤكد على أهمية الأم الصالحة في الأسرة التي يتخرج فيها الأبناء المسلمون الصالحون؛ رجال المستقبل ونساء المستقبل. وإن أهمية الأم تكمن في أن الأطفال أول ما ينشؤون يقابلون هذه الأم ويلتصقون بها، فإذا كانت صالحة وعلى جانب من الأخلاق وحسن المعاملة، وتربوا على يديها، فإنهم سوف يكون لهم دور كبير في إصلاح المجتمع.

ويستطرد العلامة الندوي مؤكداً على أن عجلة الحياة إذا ما أريد لها أن تستمر وتحقق أهدافها التي أرادها الله ـ سبحانه ـ لها، فلا بد أن يكتمل فيها

---

(١) سيد عبد الماجد الغوري، محاضرات في الفكر والدعوة...، ج٢، مرجع سابق، ص١٩٨.

(٢) المرجع نفسه، ص١٩٨.

دور الرجل والمرأة في غير تناقض (إن المجتمع الإسلامي لا يمكن أن يمشي برجل واحدة. فكل ابن آدم يمشي برجليه، فالمجتمع الإسلامي مجتمع حي نامٍ، بشري إنساني لا يستطيع أن يمشي برجل واحدة مهما كانت قوية ونشيطة، وإن المجتمع الإسلامي لا يستطيع أن يتحرك فضلاً عن أن يمشي إلا برجلين سليمتين، قويتين نشيطتين أمينتين، فلتكن هاتان الرجلان مثلاً للعضو البشري السليم الوفي)[1]. ويمضي مؤكّداً على ما اختص الله به النساء شقائق الرجال (قد خلق الله في النساء كل صلاحية، وكل قدرة للبلوغ إلى الكمال، وفي التقدم في مضمار العلم، وفي الربانية، والروحانية، والتقرب إلى الله، فالأعلام في التاريخ الإسلامي اعترفوا بفضل بعض السيدات في عهدهم، ويذكرون من فضائلهن الشيء الكثير، وكيف استفادوا، وانتفعوا بكلماتهن الحكيمة وسيرتهن العطرة، وهكذا يبقى هذا التيار مستمراً ـ تيار الحياة الإسلامية، والعشرة الإسلامية، والمجتمع الإسلامي في هذا العصر، كما استمر وأدى رسالته وقام بواجبه في العصور الماضية...)[2].

أما عن تعليم المرأة ـ ومن خلال مطالعة آرائه وأفكاره ـ نستطيع أن نقول بأن العلم من مقومات صلاح المرأة عنده، إذا ما كان هذا العلم علماً دينياً يغذيهن بالغذاء الصالح القوي الدسم الذي ينور عقولهن ويعيد فيهن الثقة بصلاحية الإسلام للقيادة وحل مشكلات الحياة؛ العلم الذي يربطهن ربطاً إيمانياً عملياً بالقرآن والسيرة النبوية، وتاريخ الإسلام الأول وتاريخ الإصلاح والتجديد، العلم الذي يُعْنَى بسلوكهن الفردي والاجتماعي والعائلي، وأخلاقهن الفردية والجماعية.

وبالنسبة لعمل المرأة نقول بأن الإمام الندوي يرى البيت ميدان عملها الرئيس. أما خروجها للعمل فيخالف الأصل عنده، وفي هذه الحالة يشترط لها ما يناسب

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٠٠. وأبو الحسن الندوي، أحاديث صريحة...، مرجع سابق ص٣٧.

طبيعتها، وأن يكون عملها في أوساط نسائية كالمجالات الدعوية والتعليمية والطبية ونحوها.

يقف العلامة الندوي موقف المعارض من الداعين إلى تحرير المرأة ودعوتها إلى السفور في المجتمعات الإسلامية، ويعزو ذلك إلى أثر الثقافة الغربية والخضوع لقيمها[1].

وبعد استعراضنا لما تقدم في هذا الفصل وما قبله، نستطيع القول: بأنَّ الفكر التربوي عند أبي الحسن الندوي، فكر إسلامي مستمد من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيرة السلف الصالح، وقد اجتهد مؤلف هذا الكتاب في إبراز هذه الحقيقة من خلال الأفكار التي تم تناولها بالعرض والمناقشة والتحليل.

---

(١) أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، مرجع سابق، ص ص١٠٤-١٠٦.

الخلاصة

(نتائج وتوصيات)

أولاً: النتائج

لقد استطاع الباحث (مؤلف هذا الكتاب) بعون الله (تعالى) الوصول إلى نهاية بحثه بحسب الخطة المرسومة. كما استطاع الوصول إلى نتائج تمثل إجابات شافية لما كان يدور بذهنه؛ عما إذا كان للشيخ أبي الحسن الندوي فكر تربوي؟ وما طبيعة هذا الفكر؟ وما إمكانية الاستفادة منه؟.

وقد تبين للباحث من خلال تناوله للمؤثرات العالمية والإقليمية والمحلية، ومن تناوله لحياة الشيخ أبي الحسن من خلال العصر الذي عاش فيه، ومن قراءات الباحث في آثار الندوي، وما كتب عنه، وما شاهده عند سفره إلى الهند؛ للوقوف على البيئة التي نشأ فيها الندوي ـ تبين له بأن أبا الحسن الندوي صاحب فكر تربوي إسلامي فريد، وذلك لما يلي:

(١) نشأ هذا الفكر في دار غربة؛ بعيداً عن موطن الإسلام الأصلي.

(٢) نشأ هذا الفكر وترعرع وشب عن الطوق في عصر بلغت فيه الحضارة المادية تقدماً تكنولوجياً هائلاً لم يشهده التاريخ من قبل.

(٣) هذا الفكر آثر السياحة في الأرض؛ متجاوزاً به صاحبه حدود المحلية والإقليمية إلى العالمية.

أما طبيعة هذا الفكر الذي تم التوصل إليه فهو كما يلي:

(١) يقوم على الإيمان بالله، والتمسك بمبادئ الدين الإسلامي التي جاء بها النبي ﷺ وسار عليها سلف الأمة الصالح من بعده.

(٢) وسطي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، أي يربط المسلم بقيمه الأصيلة وفق تعاليم دينه وموروثه الحضاري، مع الاستفادة من تجارب الإنسانية الأخرى؛ بهدف التنمية الشاملة للفرد والمجتمع، ومثال ذلك: استجلاب المعارف التقنية وأساليب البحوث التجريبية من المجتمعات الغربية والشرقية (باعتبارها تراث إنساني مشاع للجميع) بعيداً عن المنطلقات العقائدية لتلك المجتمعات، مما يتعارض مع عقيدة الأمة

الإسلامية وثقافتها (خذ ما صفا ودع ما كَدُر: هذا ما أثر عن الندوي في مثل هذه الأمور).

(٣) متوازن يعتمد على الكتاب والسنة كثوابت، أما ما بني على اجتهاد بشري فهو من المتغيرات التي تحتمل الأخذ والرد. وانطلاقاً من هذا المبدأ فإن موقفه من المجددين للفكر التربوي كأبي حامد الغزالي (٤٥٠ـ٥٠٥هـ)، وبرهان الدين الزرنوجي (م٥٩٣هـ)، وابن تيمية (٦٦١ـ٧٢٨هـ)، وابن القيم (٦٩١ـ٧٥١هـ)، وابن رجب الحنبلي (٧٣٦ـ٧٩٥هـ) وغيرهم، فموقفه منهم هو موقف المعترف بفضلهم. أما المتأثرين بالفلسفة من المفكرين كابن سينا (٣٧٠ـ٤٢٨هـ)، والفارابي (٢٦٠ـ٣٣٩هـ)، وإخوان الصفا، وكذا غلاة المتصوفة كالحلاج وابن عربي (٥٦٠ـ٦٣٨هـ) فكان موقفه موقف المعارض لفكرهم؛ لأن الجميع خلطوا الدين الصافي بشوائب لا تسمن ولا تغني من جوع.

(٤) شامل يهتم بتربية الإنسان من جميع نواحي تكوينه؛ الروحي والمادي، باعتبار أن الإنسان قبضة من تراب الأرض ونفخة من روح الله سبحانه وتعالى.

(٥) يسعى لتزكية الفرد، وترسيخ القيم الأخلاقية الدينية، وتطهير المجتمع من الفساد الأخلاقي. وصلاح الفرد والمجتمع عنده جلب لسعادة الدنيا والآخرة.

(٦) يؤمن بأن التربية مستمرة مع الإنسان تلازمه في جميع مراحل عمره، انطلاقاً من مفهوم تصحيح الخطأ بالتوبة والاستغفار منذ سن التكليف، وفي جميع مراحل العمر بعد ذلك (خير الخطّائين التوابون)، وكذا التعلم عنده يستمر مع الإنسان في جميع مراحل عمره (العلم من المهد إلى اللحد).

(٧) يعتمد الدعوة الإسلامية غاية أولى؛ لأنها صمام الأمان للمجتمع من الزيغ والهوى، وهي أمانة في أعناق الدعاة إلى الله. وهي تربية مستمرة ولا تنحصر في الجماهير دون الحكام، فعلى الدعاة إيصال الدعوة إلى الحكام بالتي هي أحسن، وعليهم بالزهد في استلام الحكم، وعدم الطمع في حطام الدنيا.

(٨) إسلامي معاصر يربط الرأي النظري المجرد بالعمل (ليس فكراً سفسطائياً)، ومعلوم أن الرجل يعي قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) سورة الصف.

(٩) يؤمن بصلاحية التربية الإسلامية وإمكانية تأثيرها في التربية المادية القائمة اليوم في الشرق والغرب، والتي حققت رفاهية مادية للإنسان بدون مراعاة للجانب الروحي والأخلاقي، والذي يعتبر أكبر منقصة ملازمة لها؛ لذا فإن التربية الإسلامية يمكن أن تقدم هذا الجانب لتحقيق سعادة للبشرية في جميع أنحاء العالم؛ لأنها تناسب فطرة الإنسان أينما كان.

(١٠) يسعى لنشر التعليم، وترقيته بالقيم الدينية في بلاد المسلمين؛ حتى يكون متوافقاً مع معتقدات الأمة وتراثها الحضاري، وبذا يأمن المجتمع من الصراعات التي تعصف بوحدته وتماسكه.

(١١) يؤمن بضرورة التمكين للغة العربية في مؤسسات التربية؛ وذلك لنشر الثقافة والفكر الإسلامي في أوساط المسلمين.

ثانياً: التوصيات

في ضوء النتائج التي توصل إليها الباحث فإنه يوصي بما يلي، مشاركة منه في توجيه العمل التربوي:

(١) أن يقوم التربويون والباحثون والمثقفون بواجب الدعوة إلى جمع ما صاغه القدامى والمعاصرون من التربويين المسلمين، وأن ينكبوا على

مطالعته وفهمه وتصنيف الثوابت والمتغيرات فيه، والمواءمة بين المختلف عليه، ثم الخروج برؤية تساعد على صياغة مفهوم شامل يساعد على التخطيط التربوي السليم في بلاد المسلمين.

(٢) أن يهتم القائمون على أمر التربية في العالم الإسلامي بتطوير المناهج التعليمية التي أصبحت تشغل بال الغرب، كما تشغل بال المجتمعات الإسلامية، وذلك بسبب الصراعات والغلو الذي يصاحبها؛ لذا فإن تطوير المناهج وفق حاجات الأمة الإسلامية بات أمراً مهماً لا يمكن تجاهله. ولتلبية هذه الحاجات لا بد أن يكون الإيمان بالله متغلغلاً في أحشاء المناهج المتطورة، ومسيطراً على جميع فروعها وجزئياتها.

(٣) أن يقوم رجال الفكر والثقافة في الأمة الإسلامية بدور تبشيري بصلاحية المنهج الأخلاقي النابع من تعاليم الدين، وذلك على المستوى الداخلي والخارجي. وأن يتبنوا إدخال علم السلوك الأخلاقي في مقررات التعليم بجميع مراحله، على أن يقدَّم المقرر على أساس تطبيقي لا على أساس الحفظ والتلقين، بدءاً من التعليم الابتدائي وما قبله، وأن يكون التقويم بمتابعة نمو السلوك.

(٤) أن يهتم أصحاب القرارات التربوية، والعاملون في مجال التربية والتعليم والباحثون في المجتمع الإسلامي بإجراء الدراسات في أصول التربية الإسلامية، والوقوف على نتائجها، ومن ثم الاستعانة بها في الإصلاح التربوي الشامل. كما على طلاب الدراسات التربوية أن يهتموا بالفكر التربوي الإسلامي، ودراسة السير الذاتية لأعلامه.

(٥) أن يقوم رجال الفكر والثقافة بواجب الدعوة إلى إصلاح إعلامي، وذلك بإعداد برامج تتميز بالأصالة والتجديد، لتعزز ما تقدمه المؤسسات التربوية في المجتمعات الإسلامية (البيت والمدرسة والمسجد).

(٦) تمكين الناشئين والشباب من أبناء المسلمين من الإطلاع على آثار الإمام أبي الحسن الندوي، التي أثرى بها المكتبة الإسلامية المعاصرة، لتكون زاداً لهم ضد الهجمات الفكرية العلمانية والإلحادية.

(٧) أن يطلع أصحاب القرار على مبادئ وأسس حركة رسالة الإنسانية (حركة اجتماعية إصلاحية) التي أنشأها الإمام أبو الحسن الندوي (١٩٨٠م) في بلاده؛ لمعرفة مدى إمكانية الاستفادة من أسلوبها في قيادة الحوار مع جميع الفئات والطوائف والمسؤولين، بهدف المحافظة على كيان الأمة ونشر ثقافة السلم الاجتماعي، وإيقاف الفوضى والاحتراب، وتربية جيل جديد من الصرحاء يقول للمخطئ أخطأت وللمصيب أصبت.

(٨) أن تستفيد الجهات المعنية، من التراث العقلي والفكري الموجود بندوة العلماء في لكهنؤ بالهند، مما أعده المجمع العلمي الإسلامي الذي أنشأه الإمام الندوي منذ عام ١٩٥٩م، والذي يزخر بمواد تعالج كثيراً من القضايا السياسية والاجتماعية والتشريعية، وتشرح رسالة الإسلام وصلاحيتها للقيادة في الوقت الحاضر بأسلوب عصري، وباللغات العالمية الأكثر انتشاراً.

(٩) أن تنشأ صلة بين المعاهد والكليات التربوية في المجتمعات الإسلامية؛ لتبادل الأفكار والخبرات التي تخدم المجال التعليمي والتربوي للنهوض به وفق حاجات الأمة، والإفادة من تجارب الآخرين، مما لا يتعارض مع الثقافة، والقيم الحضارية للمجتمعات.

(١٠) أن يكتشف القائمون بأمر التربية والتعليم في الأمة الإسلامية الموهوبين بحسب المعايير المعتمدة علمياً، ورعايتهم وحسن توجيههم وتشجيعهم، لإيجاد نوابغ من العلماء والمفكرين الذين يساهمون في تقدم الأمة وإعلاء شأنها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

(١) القرآن الكريم.

(٢) كتب السنة.

(٣) أبو الحسن الندوي، أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، ط٢، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

(٤) الأركان الأربعة، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م).

(٥) الإسلام، أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، طبعة ندوة العلماء، ندوة العلماء (المجمع الإسلامي العلمي)، لكهنؤ، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

(٦) دور الجامعات الإسلامية، ط١، المطبعة الندوية، لكهنؤ، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).

(٧) دور الإسلام الإصلاحي في مجال العلوم الإنسانية، ط١، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).

(٨) واقع العالم الإسلامي وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه؟، ط١، دار عرفات للترجمة والنشر، رائي بريلي، ١٤١٥هـ.

(٩) أبو الحسن الندوي، الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

(١٠) الطريق إلى المدينة، ط٦، ندوة العلماء (المجمع الإسلامي العلمي)، لكهنؤ، ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م)؟

(١١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، ب.ط، دار الجيل، بيروت، ب.ت

(١٢) مختارات من أدب العرب (جزءان)، طبعة ندوة العلماء، مؤسسة الصحافة والنشر، لكهنؤ، ١٤١٦هـ (١٩٩٦م).

(١٣) منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء، طبعة ندوة العلماء، ندوة العلماء (المجمع الإسلامي العلمي)، لكهنؤ، ١٣٨٩هـ.

(١٤) ملة إبراهيم وحضارة الإسلام، ط٢، المطبعة الندوية، لكهنؤ، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).

(١٥) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ط٧، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م).

(١٦) نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية، المطبعة الندوية، مؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء، لكهنؤ، ب.ت.

(١٧) أبو الحسن الندوي، نحو تكوين إسلامي جديد، ط٢، المجمع الإسلامي العلمي، لكهنؤ، ١٤١٠هـ.

(١٨) سيرة خاتم النبيين، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م).

(١٩) سياسة التربية والتعليم السليمة، طبعة ندوة العلماء، ندوة العلماء (المجمع الإسلامي العلمي)، لكهنؤ، ب.ت.

(٢٠) في مسيرة الحياة، ج١، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).

(٢١) في مسيرة الحياة، ج٢، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م).

(٢٢) العقيدة والعبادة والسلوك، في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، ط٤، دار القلم، الكويت، ١٤١٥هـ (١٩٩٤م).

(٢٣) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ط١، ندوة العلماء (المجمع الإسلامي العلمي)، لكهنؤ، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م).

(٢٤) ربانية لا رهبانية، ب.ط، دار الشروق، بيروت/ القاهرة (١٩٨٣م).

(٢٥) أبو الحسن الندوي، شخصيات وكتب، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م).

(٢٦) التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ المودودي والأستاذ سيد قطب، ط٣، دار القلم، الكويت، ١٤٠١هـ (١٩٨١م).

ثانياً: المراجع العربية

(أ) الكتب

(٢٧) أبو أسامة سيد طالب الرحمن، جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية، ط١، دار البيان، إسلام آباد، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).

(٢٨) أحمد عبد الرحيم السايح، في الغزو الفكري، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤١٤هـ.

(٢٩) أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية، ط١، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة (٢٠٠٢م).

(٣٠) أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، طبعة دار المعارف، دار المعارف، القاهرة، ب.ت.

(٣١) إسماعيل أحمد ياغي وآخر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج١، طبعة دار المريخ، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).

(٣٢) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، طبعة الدار العربية للكتاب، الدار العربية، تونس، (١٩٨٥م).

(٣٣) أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ب.ط، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ب.ت.

(٣٤) جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العالم (نقله إلى العربية لجنة أساتذة جامعيين)، طبعة جديدة ومنقحة، بدون رقم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (١٩٨١م).

(٣٥) السيد عبد الماجد الغوري، أبو الحسن الندوي ـ الإمام المفكر والداعية الأديب، ط٢، دار ابن كثير، دمشق/ بيروت، ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م).

(٣٦) السيد قدرة الله الحسني، العلامة السيد عبد الحي الحسني: عصره ـ حياته ـ مؤلفاته، ط١، دار الشروق، جدة، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

(٣٧) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ط٢، دار الفكر، بيروت، (١٩٨٣م).

(٣٨) عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، طبعة الجامعة الإسلامية، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة، ب.ت.

(٣٩) عزة جرادات وآخرون، مدخل إلى التربية، ط١، المكتبة التربوية المعاصرة، عمّان، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

(٤٠) علي جريشة، نحو نظرية للتربية الإسلامية، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م).

(٤١) محمد اجتباء الندوي، أبو الحسن الندوي: الداعية الحكيم والمربي الجليل، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م).

(٤٢) محمد حسن العمايرة، أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية، ط١، دار الميسرة، عمّان، ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م).

(٤٣) محمد طارق زبير الندوي، سماحة الداعية المجاهد أبي الحسن الندوي ومؤلفاته العربية، طبعة تجريبية، مكتبة حراء، لكهنؤ، ١٤١٧هـ (١٩٩٧م).

(٤٤) محمد عبد الله الشرقاوي، الفكر الأخلاقي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م).

(٤٥) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج١، ط٧، دار الشروق، بيروت/القاهرة، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

(٤٦) منهج التربية الإسلامية في التطبيق، ج٢، ب.ط، دار الشروق، بيروت/القاهرة، ب.ت.

(٤٧) محمد كامل ضاهر، الدعوة الوهابية، أثرها في الفكر الإسلامي الحديث، ط١، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م).

(٤٨) محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ط٢، عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

(٤٩) محمد مرسي أبو الليل، الهند: تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، ب.ط، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، (١٩٦٥م).

(٥٠) محمد منير مرسي، التربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية، طبعة عالم الكتب، عالم الكتب، القاهرة، (٢٠٠٠م).

(٥١) نذر الحفيظ الندوي الأزهري، أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً، ط٢، دار القلم، الصفاة (الكويت)، ١٤٠٧هـ (١٩٨٦م).

(٥٢) وهيب سمعان، دراسات في التربية المقارنة، ط٣، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ب.ت.

(٥٣) يوسف القرضاوي، الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، ط١، دار القلم دمشق، ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م).

(ب) المجلات

(٥٤) البعث الإسلامي، العدد ٨، قسم الصحافة والنشر بدار العلوم ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)، ربيع الثاني ١٤٢١هـ (يوليو ٢٠٠٠م).

(٥٥) البعث الإسلامي، (عدد ممتاز)، الأعداد: ٤ـ٥ـ٦ـ قسم الصحافة والنشر بدار العلوم ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)، ذو الحجة ١٤٢٠/محرم وصفر١٤٢١هـ.

(٥٦) البعث الإسلامي، العدد٣ (مجلد ٤٤)، قسم الصحافة والنشر بدار العلوم ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)، ذو القعدة ١٤١٩هـ (يناير ١٩٩٩م).

(٥٧) البعث الإسلامي، العدد ١٠ (مجلد٤٥)، قسم الصحافة والنشر بدار العلوم ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)، جمادى الآخرة ورجب ١٤٢١هـ (سبتمبر وأكتوبر ٢٠٠٠م).

(٥٨) الصحوة الإسلامية، العدد ٢٩، الجامعة الإسلامية دار العلم حيدرأباد، جمادى الأولى ١٤١٦هـ (أكتوبر ١٩٩٥م).

(٥٩) الصحوة الإسلامية، العدد ٣٦، الجامعة الإسلامية دار العلوم حيدرأباد، محرم ١٤٢١هـ (إبريل ٢٠٠٠م).

(٦٠) البيان، العدد ١٧٣، الرياض، محرم ١٤٢٣هـ (مارس/إبريل ٢٠٠٢م).

(٦١) المعلومات، ب. ر، ط١، مؤسسة الآفاق المتحدة العالمية، الرياض (السعودية)، ١٤١١هـ (١٩٩١م).

ثالثاً: المراجع الإنجليزية

(62) Maulana Wahiduddin Khan, the Teachings of Islam, Good-Wond books, Nizamuddin New Delhi, (2001).

رقم الإيداع
٢٠١٠ / ٣٣٤

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة